الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: (الفتح وحتى آخر المنافقون)

إعداد الباحث
عادل عبد القادر الهور

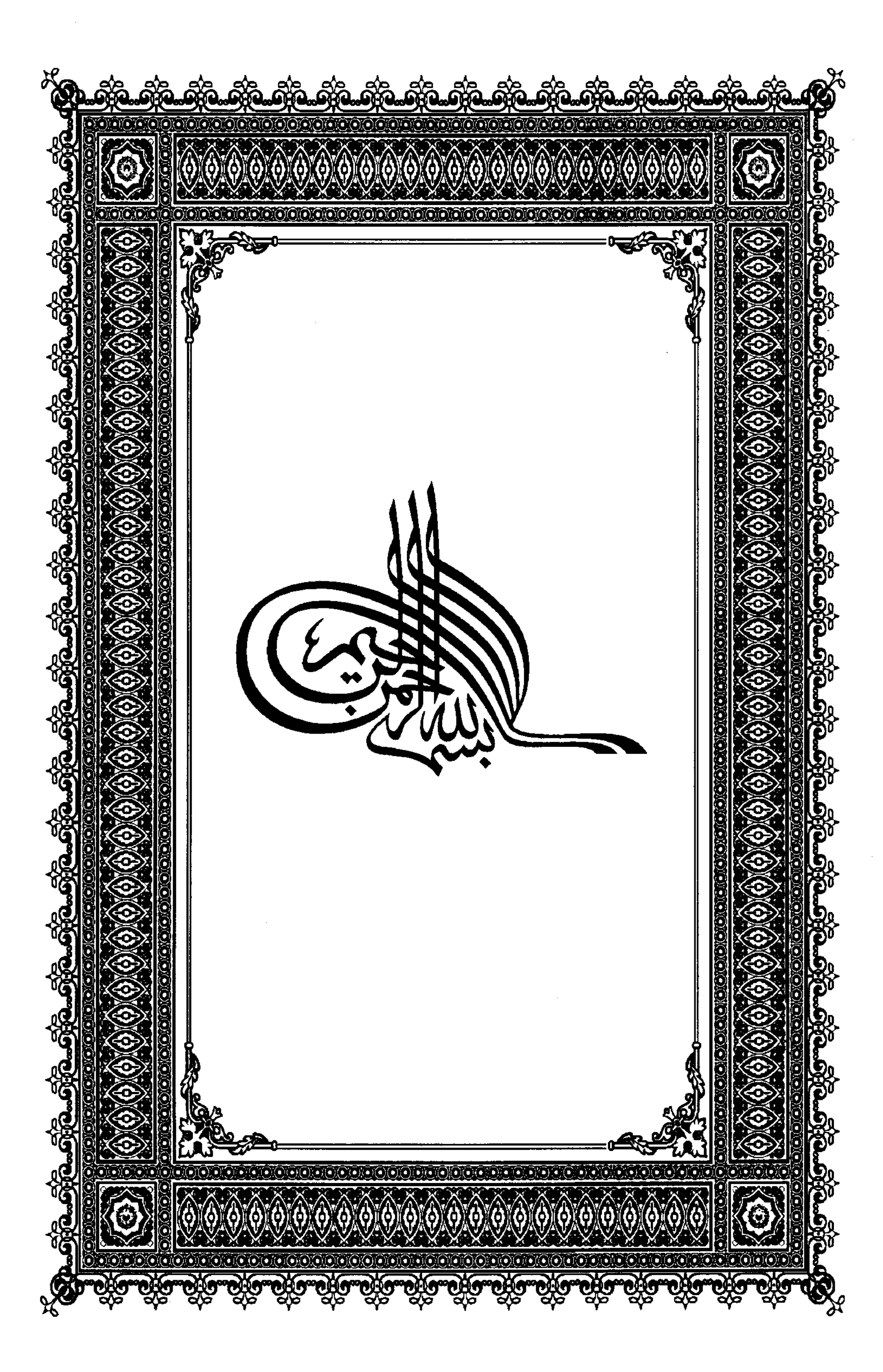
إشراف الدكتور
زكريا إبراهيم الزميلي

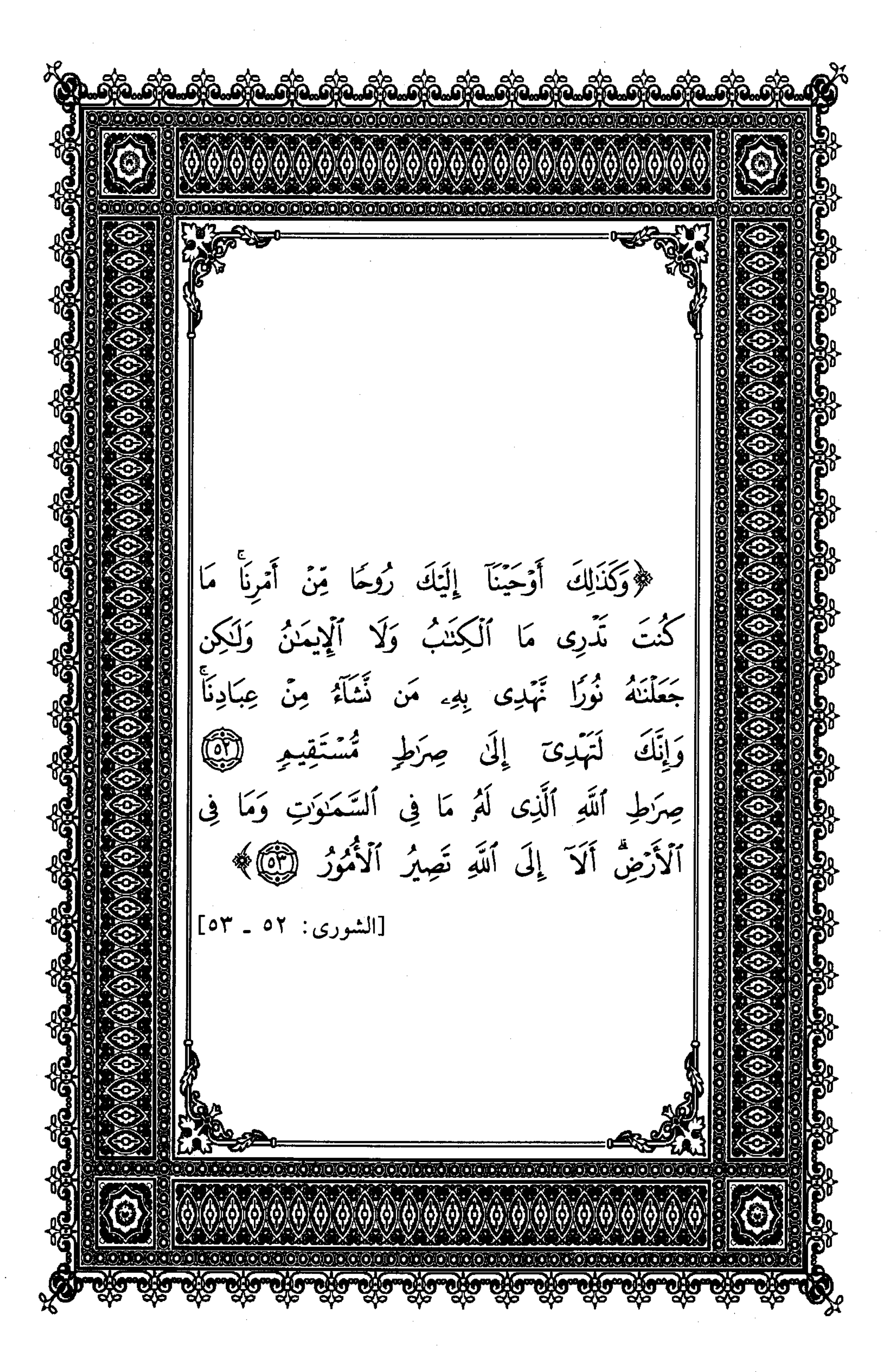
ضبط ومراجعة
د.مروان محمد أبوراس

الجزء الثاني عشر

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين - غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م


بسم الله الرحمن الرحيم



﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]



شكر ووفاء

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢].
وقال رسول الله ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»(١).

انطلاقاً من هذا الهَدْي، أتقدم بالشكر الجليل والثناء العظيم إلى مولاي الرحمن الرحيم، الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيوم، ثمّ لمعلّمي الكريم، ورسولي الأمين، محمد عليه أفضل الصلوات وأتمّ التسليم، ثم أتوجّه بالشكر والإمتنان لفضيلة الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي ـ حفظه الله ورعاه ـ الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث، فكان ناصحاً أميناً، ومرشداً ومعلماً حكيماً، جزاه الله تعالى عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر إلى أستاذيَّ الفاضلين عضوي لجنة المناقشة:

الدكتور وليد محمد العامودي.

والدكتور زهدي محمد أبو نعمة الذَيْنِ قَبِلا مناقشة هذه الرسالة.

كما وأتقدم بجزيل شكري، وعميق امتناني، إلى الأستاذ الدكتور زياد

(١) مسند الإمام أحمد (ج٢ ص٢٩٥ رقم الحديث ٧٩٢٦)، وأبو داود في كتاب الأدب باب شكر المعروف ج٤ ص٢٥٥ رقم الحديث ٤٨١١)، والترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ـ (ج٤ ص٣٣٩ رقم الحديث ١٩٥٤) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

مقداد، عميد الدراسات العليا ـ حفظه الله ورعاه ـ الذي كان سبباً في إخراج هذا البحث إلى النور.

والشكر موصولٌ إلى الجامعة الإسلامية، وأساتذتها الكرام، والهيئة التدريسية بكلية أصول الدين، وعمادة الدراسات العليا، حفظهم الله تعالى ورعاهم.

وأشكر أيضاً الأخوة العاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية المركزية، الذين سهَّلوا للباحثين، ويسَّروا لهم، وعملوا على إفادتهم.

كما وإنني أشكر الدكتور مروان أبوراس، والدكتور عبد الرحمن الجمل، الذين شَجَّعا وباركا هذا الجهد، ليصل إلى أحسن وأبهى صِوَرِه.

كما وأتقدم بخالص شكري للأستاذ بسام عليان المحاضر بكلية الدعوة الإسلامية، والذي قام بمراجعة وتدقيق هذا البحث لُغوياً وفنياً، فجزاه الله خير الجزاء، وكذلك أشكر الأستاذ صالح المتولي حفظه الله ورعاه الذي قام بترجمة ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية.

كذلك لا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وامتناني لزوجتي، وأخواتي اللاتي شاركنني في طباعة هذه الرسالة.

كما وأتقدم بعظيم شكري ووفائي لكل من ساعدني فقدَّم إليَّ كتاباً أو علماً أو نصحاً وبذل معي جهداً ووقتاً، سائلاً المولى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

وأخيراً أسأل الله تعالى الحليم العليم، العليّ العظيم أن يمنَّ عليَّ بقبول هذا العمل، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه، وأن يمنَّ عليَّ بالمغفرة والستر، والتوفيق والسداد، وأن يصلح لي دنياي، فأكون فيها سعيداً، وأن يصلح لي آخرتي فأكون فيها من الفائزين، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الكريم محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الفتح ـ الحجرات ـ ق ـ الذاريات

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الفتح المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الحجرات المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة ق المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة الذاريات المتضمنة للقراءات العشر.



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الفتح
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

وهي سورة مدنية، وهي تسع وعشرون آية نزلت في السنة السادسة من الهجرة النبوية الشريفة بعد صلح الحديبية، وذلك أثناء عودته ﷺ ليلاً من الحديبية، وهو في طريقه إلى المدينة المنورة[٢].

سبب تسميتها بهذا الاسم:

سميت بسورة الفتح؛ لأن الله تعالى بشَّر المؤمنين في مطلع السورة بالفتح المبين[٣].

الأحداث التي نزلت فيها السورة:

كان نزولها في جوٍّ بالغِ الصعوبة، فالصحابة الكرام خرجوا من المدينة المنورة وهو على يقين كبير بزيارة مكة المكرمة، والطواف بالبيت بحسب ما

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي ج٩ ص٩١، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي الجامع لأحكام القرآن، وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني المعروف بتفسير الألوسي ج٣ ص٢٢٨ / دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول: روح المعاني.

(٣) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٠٠.

فهموا من رؤيا رسول الله ﷺ التي رآها وبشَّرهم بها، وهي أنه ﷺ رأى في منامه وهو في المدينة، أنه قد دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا، وحلق بعضهم، وقصّر البعض، ولكن ذلك لم يحدث في نفس السنة التي خرجوا بها بحسب الاتفاق، وصلح الحديبية الذي من بنوده عودتهم إلى المدينة هذا العام دون الذهاب إلى مكة والرجوع في العام القادم، فحزنوا حزناً شديداً لدرجة أنهم كادوا يقعون في معصية أمر رسول الله ﷺ عندما أمرهم أن يحلقوا وينحروا في مكانهم في الحديبية فلم يفعلوا، لولا مشورة السيدة أم سَلَمَة رضي الله عنها وأرضاها على رسول الله ﷺ بأن يخرج من خيمته ولا يكلم أحداً فيحلق وينحر، ففعل ذلك رسول الله ﷺ، فقاموا وفعلوا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ما كان يشعر به الصحابة من ضيق بسبب ما جاء في بنود صلح الحديبية من شروط اعتبرها الصحابة الكرام ظلماً شديداً، ومثال ذلك: ردّ من يأتيهم مسلماً إلى المدينة، وعدم إرجاع الكفار لمن يأتيهم مرتداً، هذه هي الأجواء والمشاعر التي نزلت حينها هذه السورة المباركة، فجاءت لتخفف عن المسلمين، وتذهب عنهم ما أصابهم من إحباط، وتبشرهم بالنصر والفتح المبين[٤].

الموضوع العام للسورة:

دارت هذه السورة حول صلح الحديبية، وتناولت جميع تفاصيله وأحداثه ومواقفه، فجاءت لتبشر المؤمنين في مطلع السورة، وتخبرهم بقرب الفتح والنصر المبين، وذكرتهم بمنة الله تعالى عليهم، فهو الذي أنزل عليهم السكينة، وبشرتهم بمغفرته، وشهدت لهم بالإيمان.

وتناولت السورة بيعة الرضوان، وذكَّرت المؤمنين بأهميتها، وضرورة الوفاء بها، وحذرت من النكوث، وأشادت بموقف المؤمنين الصادق في الوفاء، وبشرتهم برضى الله تعالى عليهم، وبالنصر والتمكين.

(٤) انظر: تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٣١٣، ٣٣١٤، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي الظلال.

كذلك ذكرت السورة موقف المتخلفين، أمام هذه الأحداث الجِسام، الذين تخلفوا عن الحديبية بأعذار كاذبة واهية، وبيّنت كذبهم وكشفتهم.

وفي الختام أَثْنَتْ السورة على محمد ﷺ ومن معه من المؤمنين، وقدمت لنا وصفاً جميلاً لهذه الثلة المؤمنة، تناولت خَلْقَهُمْ وخُلُقَهَمْ، وذلك تزكيةً لهم، وبياناً لفضلهم(٥).

١ ـ قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (دائرة السُوء) بضم السين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بفتح السين(٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

السوء من (س و أ): فعل سيء، وأفعال سيئة، وهو من السوء: البرص. وسؤت وجه فلان، ووقاك الله من السوء ومن الأسواء، وهو اسم جامع لكل آفة وداء(٧).

التفسير:

جاءت هذه الآية لتصف الحالة التي سيكون عليها هؤلاء الناس، من المنافقين والمشركين من عقاب وخزي وقتل في الدنيا، وفي الآخرة عذاب

(٥) انظر: الرحيق المختوم ص٣٩٨، ٤٠٦، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول: الرحيق المختوم، والظلال ج٦ ص٣٣١٣، ٣٣١٤. وروح المعاني ج٣ ص٢٣٨، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٩١.

(٦) انظر: النشر في القراءات العشر ج٢ ص٢١٤.

(٧) انظر: أساس البلاغة ص٢٢٣.

شديد بسبب ما يمارسونه ضد رسول الله ﷺ، حيث إنهم ظنّوا أن رسول الله ﷺ ـ وقد خرج إلى الحديبية ـ أنه سيهزم فيها هزيمة شديدة، ولن ينصره الله تعالى، فهؤلاء ستدور عليهم الدائرة، وسيعود محمد ﷺ وأصحابه الكرام إلى المدينة منتصرين بإذن الله تعالى وبعدها سيقتلهم النبي ﷺ، وفي الآخرة سيحل عليهم غضب الله تعالى وعقابه، ويدخلهم جهنم وبئس المهاد.

قال الطبري: «قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ﴾ أنه لن ينصرك، وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله تعالى في هذا الموضع»(٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أشار عدد من العلماء إلى أن قراءة الضم والفتح كليهما بمعنى واحد، أو هما من اللغات العربية: فقال أبو السعود: «وقرئ (دائرة السوء) بالضم وهما لغتان»(٩).

وذهب آخرون إلى أن هناك فرقاً بين القراءتين: فقال ابن خالويه(١٠): «السوء بالفتح الفساد مثل ظن السوء ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ١٢]، وذلك أنهم ظنوا أن رسول الله ﷺ لن يعود إلى مولده أبداً، والسوء بالضم: الشر»(١١).

---

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ ص٧٤٧٣، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: جامع البيان.

(٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير (أبو السعود) ج٦ ص٩٩، وحيثما ورد بعد ذلك سأكتفي بقولي: تفسير (أبو السعود).

(١٠) هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون، كنيته أبو عبد الله النحوي اللغوي، وكانت وفاته سنة ٣٧٠هـ، (انظر: غاية النهاية ج١ ص٢٣٧).

(١١) إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص(٣٢٧ ـ ٣٢٨) (بتصرف).

وقال الدكتور **محمد محيسن**: «قرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء بضم السين وهو الضرر. والباقون بفتحها وهو الذم»[١٢].

ويرى الباحث: أن القول بأن القراءة بالفتح والضم هما بمعنى واحد أمر لا يُسَلَّمُ به، فهذا القرآن الذي هو كلام الله تعالى المعجز في بلاغته، الدقيق في اختيار حروفه وألفاظه وكلماته ينبغي على العلماء والباحثين أن لا يدَّخروا جهداً في معرفة أسراره، والكشف عن معانيه.

كذلك إن الفرق بين قراءة الضم وقراءة الفتح فيها واضح وبائن، وعليه: فقد أفادت القراءة بالفتح، على أن صفة هؤلاء الناس هي الذَّم والرداءة والفساد. بمعنى أن هؤلاء الناس الذين ذكرهم الله تعالى: صفتهم أنهم مذمومون فاسدون، تحيط بهم الذلة والرداءة كإحاطة السوار بالمعصم بسبب ظنهم السَّيِّئ، وخلقهم الفاسد.

بينما أفادت القراءة بالضم، أن هؤلاء الناس الفاسدين المذمومين، الذين ينتظرون وقوع الشر والهزيمة بالمسلمين، ولا يدخرون من أجل حصول ذلك جهداً. سينزل الله تعالى بهم العذاب، وسيهزمون، وسيحلّ بهم الدمار والخراب.

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى ما أورده ابن زنجلة[١٣] إذ قال: «السوء بالضم: الشر والعذاب والبلاء، والسوء بالفتح: الفساد والهلاك»[١٤]. وحجته بذلك قوله تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي هلكى. فإنه لم يكن موفقاً إذا قصد بالهلاك الهلاك الحقيقي الذي يصل إلى حد الاستئصال، وهو أشد أنواع العذاب. وسبب ذلك أنه جعل المضموم يدل على العذاب، بينما جعل المفتوح يدل على الهلاك. ومن

---

(١٢) المستنير في تخريج القراءات ج٣ ص١٠٦، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: المستنير.

(١٣) هو عبد الرحمٰن بن محمد بن زنجلة، كنيته أبو زرعة، المقرئ الجليل، صاحب كتاب الحجة في القراءات [انظر: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٢٥].

(١٤) انظر: حجة القراءات ص (٦٧٠ ـ ٦٧١).

المعروف أن الهلاك أشد من العذاب، فقد يعذب قوم ولا يهلكون. أما الهلاك فيكون ساحقاً ماحقاً. وهو بهذا القول قد خالف حقيقة لغوية، وهي أن الضمة أقوى من الفتحة، بل هي أقوى الحركات وأثقلها، وهي التي تعبر عن المعنى الثقيل القوي والعظيم، بدرجة أكبر بكثير من الفتحة التي هي في الدرجة الثالثة من حيث القوة.

قال الدكتور فاضل السامرائي(١٥): «وينبغي لنا أن نشير إلى حقيقة لغوية معلومة اتفق عليها علماء اللغة قديماً وحديثاً، وهي أن الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثم تليها الكسرة، ثم تليها الفتحة وهي أخف الحركات»(١٦). إنتهى قول الدكتور فاضل.

ثم إن احتجاجه بقوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ ليس بالقوي، وذلك لأن المقصود من السوء في الآية الكريمة هو الظن الفاسد الذي سبب الهلاك، وليس هو الهلاك نفسه. قال الخازن: «يعني صرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوماً بائرين هالكين»(١٧).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر أن هؤلاء المنافقين والمشركين الذين

---

(١٥) هو فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل السامرائي البدري وهي احدى عشائر سامراء في العراق، ولد فيها سنة ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م، كنيته أبو محمد، حصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، ويعمل حالياً في جامعة الشارقة استاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني، [انظر: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م كامل الجبوري ج٤ ص٤١٤ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م والشبكة الالكترونية للمعلومات جوجل].

(١٦) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص١٠٢.

(١٧) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل المجلد الرابع ج٦ ص١٩٣ / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ ط٢ ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م ـ وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول تفسير الخازن.

فسدت نفوسهم، وأصابها الذم بسبب ظنهم الفاسد، سينزل الله تعالى بهم العذاب والبؤس والشقاء جزاءً بما عملوا.

٢ - **قال تعالى:** ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٩].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو (ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه) بالياء في الأربعة.

٢ - وقرأهن الباقون بالتاء[١٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ - لتؤمنوا: مِن أمن، والأمان والأمانة بمعنى. وقد أَمِنْتُ فأنا آمن، وآمَنْتُ غيري، من الأمن والأمان، والله تعالى المؤمن؛ لأنه آمن عباده من أن يظلمهم. وأصل آمن أَأْمَنَ بهمزتين لُيِّنت الثانية. وجاءت بمعنى الأمن وهو ضد الخوف[١٩] جاءت - أيضاً - بمعنى التصديق[٢٠].

ب - وتعزروه: أَصل التَّعْزير التأْديب؛ ولهذا يسمى الضربُ دون الحد تَعْزيراً إِنما هو أَدَبٌ. يقال عَزَرْتُه وعَزَّرْتُه، فهو من الأَضداد، وعَزَّرَه فخَّمه وعظَّمه، فهو نحْوُ الضد. والعَزْرُ النَّصْرُ بالسيف. **وعَزَرَه عَزْراً وعَزَّرَه: أَعانَه وقوّاه ونصره، وأصل التعزير المنع أو الردُّ**[٢١].

ج - وتوقروه: الوقارُ الرَّزانةُ والحلم والعَظَمة[٢٢]. قال ابن منظور:

---

(١٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٨٧.

(١٩) انظر: الصحاح في اللغة والعلوم ص٣٨ إعداد وتصنيف نديم مَرْعَشلي وأسامة مرعشلي / دار الحضارة العربية بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

(٢٠) انظر: لسان العرب ج١٣ ص٢١.

(٢١) انظر: لسان العرب ج٤ ص٥٦٢.

(٢٢) انظر: المعجم الوسيط ص١٠٤٩.

«ووَقَّرَ الرجلَ بَجَّلَه. وتُعَزِّرُوه وتُوَقِّرُوه؛ والتوقير: التعظيم والتَّرْزِينُ»[٢٣].

د ـ **وتسبحوه**: التسبيح التنزيه[٢٤] وقال ابن منظور: «وسَبَحَ في الكلام إذا أَكثر فيه، والتَّسبيح التنزيه، وسبحان الله معناه تنزيهاً لله من الصاحبة والولد، وقيل: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أَن يوصف، ونَصْبُه أَنه في موضع فعل على معنى تسبيحاً له، تقول سَبَّحْتُ الله تسبيحاً له أي نزهته تنزيهاً»[٢٥].

التفسير:

معنى تعزروه: تعظِّموه وتفخِّموه، ومعنى توقروه: تعظموه، وقيل الضميران في الفعلين للنبي ﷺ، وهنا وقف تام، ثم يبتدئ: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي تسبحوا الله ﷻ.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي غدوة وعشية، ويكون معنى التعزير هو النصرة والضرب بين يديه بالسيف[٢٦]، وقيل: الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة لله ﷻ، فيكون معنى تعزروه وتوقروه تثبتون له التوحيد وتنفون عنه الشركاء، وقيل تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله ﷺ، وفي التسبيح وجهان: أحدهما: التنزيه له ﷻ من كل قبيح، والثاني: الصلاة[٢٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾

أفادت القراءة بالتاء (لتؤمنوا) بأن الخطاب للنبي ﷺ ولأمته، بمعنى إنا

(٢٣) لسان العرب ج٥ ص٢٩١.

(٢٤) انظر: مختار الصحاح ص١٦٢.

(٢٥) لسان العرب ج٢ ص٤٧١.

(٢٦) انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور ج٦ ص٦٣.

(٢٧) انظر: فتح القدير ج٥ ص٥٨ / دار الحديث ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

أرسلناك يا محمد ـ ﷺ ـ للناس حتى تجعلهم يؤمنون بالله تعالى وبك أنت رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ لا إشكال في كونها تشمل الرسول ﷺ وأمته، لأن الرسول ﷺ المأمور بأن يحمل الناس على الإيمان بالله ورسوله، فمن باب أولى أن يكون قد آمن وصدق بالله وبرسوله، فهو مأمور مثلهم بالإيمان والتصديق.

أما القراءة بالياء فقد أفادت بأن المقصود من الخطاب هي الأمة وحدها، ويكون المعنى إنا أرسلناك شاهداً إلى الخلق، ليؤمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ ويعزروه.

قال الشوكاني: «فعلى القراءة الأولى الخطاب لرسول الله ﷺ وأمته، وعلى القراءة الثانية المراد المبشرين والمنذرين»[٢٨].

وقال البقاعي: «(لتؤمنوا) أي الذين حكمنا بإيمانهم ممن أرسلناك إليهم، هذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالغيب، وعلى قراءة الباقين بالخطاب المعنى: أيها الرسول ومن قضينا بهداه من أمته، مجددين لذلك في كل لحظة مستمرين عليه، وكذا الأفعال بعده»[٢٩].

وقال البيضاوي: «﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الخطاب هنا للنبي ﷺ والأمة، أو لهم على أن خطابه منزل منزلة خطابهم»[٣٠].

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا بوجوب الإيمان والتصديق بالله تعالى وبرسوله ﷺ، سواء كانت بالغائب أو بالحاضر، والأمر بالإيمان والتصديق موجه للنبي ﷺ كما هو موجه لأمته عليه الصلاة والسلام ودلّ على ذلك القراءة بالتاء.

---

(٢٨) فتح القدير ج٥ ص٥٨.

(٢٩) نظم الدرر ج٧ ص١٩٢.

(٣٠) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٠١.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ وَتُوَقِّـرُوهُ﴾

أفادت القراءة بالياء التحتية على الغيب فيهما، بأن الخطاب موجه للأمة فقط في كل زمان ومكان، سواء في عهد النبي ﷺ أو بعد وفاته؛ وذلك لأن نصرة رسول الله ﷺ وتوقيره هي نصرةٌ للإسلام، وتوقيرٌ له، والخطاب شامل لمن يحضرون رسول الله ﷺ، ولمن يأتون من بعده، ولو بآلاف السنين، والأمر مستمر على الدوام.

أما القراءة بالتاء فيهما، فهي موجهة للنبي ﷺ وأمته. والخطاب بالحاضر فيه إشعار بأنه موجه بشكل خاص لمن يحضرون رسول الله ﷺ. فإذا كانت نصرة النبي ﷺ ونصرة دينه واجبة ولازمة في كل زمان ومكان، فهي من باب أولى أوجب وألزم على من كانوا يحضرون رسول الله ﷺ، لأهمية ذلك وضرورته، لأنه من المعلوم أن رسول الله ﷺ كان بحاجة ماسة لهذه النصرة في بداية دعوته، لأن الإسلام كان لا يزال في بداية نشأته، والأخطار التي تحدق به كبيرة وعظيمة وجليلة.

وهذا الذي ذُكِرَ على رأي من قال بأن الضمير فيهما عائد لرسول الله ﷺ، وهو رأي الكثير من المفسرين.

قال البغوي: «هذه الكنايات راجعة إلى رسول الله ﷺ، وها هنا وقف[٣١]، وتسبحوه: أي تسبحوا الله تعالى، يريد تصلوا له»[٣٢]. وقال بذلك ابن الجوزي وغيره[٣٣].

أما على رأي من قال بأن الضمير عائد لله تعالى فيهما، فيكون المعنى على القراءة بالياء على أن الخطاب موجه للأمة فقط. وعلى القراءة بالتاء فيكون الخطاب فيها موجهاً لرسول الله ﷺ وأمته معاً. قال الشوكاني: «وقيل

---

(٣١) يقصد الوقوف عند القراءة على قوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّـرُوهُ﴾ والابتداء بقوله تعالى: ﴿وَتُسَـبِّحُوهُ﴾.

(٣٢) معالم التنزيل في التفسير والتأويل المشهور بتفسير البغوي ج٥ ص١٠٣ / دار الفكر ـ ط١، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي تفسير البغوي.

(٣٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير ص١٣١٩.

الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة عائدة لله ﷻ وذكرنا ذلك سابقاً»[٣٤]. وقال السمين الحلبي: «والضمائر المنصوبةُ راجعةٌ إلى الله تعالى. وقيل: على الرسول إلَّا الأخير»[٣٥].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن الخطاب موجه للرسول ﷺ وأمته، وأن نصرة رسول الله ﷺ واحترامه واجبة على الأمة في كل مكان، وفي أي وقت، وهي كذلك ألزم وأوجب على من كانوا يحضرون رسول الله ﷺ ويعيشون معه، لأهمية ذلك، لأن الإسلام آنذاك لم يزل في بدايته، والأخطار من حوله كبيرة وعظيمة، ورسول الله ﷺ بحاجة إلى التعزيز والمؤازرة.

هذا على أن الضمير في الفعلين الأولين عائدٌ لرسول الله ﷺ.

أما إذا كان الضمير عائداً لله تعالى فيكون الجمع بين القراءتين، بمعنى أن الرسول وأمته مأمورة بأن تثبت لله تعالى التوحيد، وأن تنفي عنه الشركاء، أو بأن تنصر دينه، وتجاهد مع رسول الله ﷺ[٣٦].

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾

لا خلاف بين العلماء على أن الضمير في هذه الكلمة عائد إلى الله تعالى، وعلى ذلك، فقد أفادت القراءة بالياء على أن الخطاب موجه للأمة فقط.

أما القراءة بالتاء، فقد أفادت بأن الخطاب موجه لرسول الله ﷺ وأمته.

---

(٣٤) فتح القدير ج٥ ص٥٨.

(٣٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج٦ ص١٦٠ / دار الكتب العلمية ـ ط الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول: الدر المصون.

(٣٦) انظر: فتح القدير ج٥ ص٥٨.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يظهر بأن رسول الله ﷺ وكذلك أمته مأمورون بتسبيح الله تعالى، وتنزيهه عن كل قبيح، والصلاة له وعبادته على أحسن حال.

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾

١ ـ قرأ حفص ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ بضم الهاء من عليه.

٢ ـ وكسرها الباقون(٣٧).

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾

١ ـ وقرأ الحرميان (نافع وابن كثير) وابن عامر، وروح (فسنؤتيه) بالنون.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياء(٣٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **عليه**: على: حرف جر، ومعناه استعلاء الشيء، تقول: هذا على ظهر الجبل وعلى رأسه، ويكون ـ أيضاً ـ أن يَطْوي مُسْتَعْلِياً، كقولك: مر الماء عليه، وأمْرَرْت يدي عليه، وأما مَرَرْت على فلان فَجَرى هذا كالمثل.

---

(٣٧) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٨٧.

(٣٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٨٧، والتجريد لبغية المريد في القراءات السبع ص٣٠٨.

وعلينا أميرٌ، كقولك: عليه مالٌ لأنه شيء اعتلاه[٣٩].

ب ـ **فسيؤتيه:** أتى أتياً، وإتياناً، وإتياً، ومأتى، ومأتاة: جاء[٤٠].
وآتيته مالاً بالمد أعطيته[٤١].

التفسير:

يقول الله تعالى: لنبيه محمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ في الحديبية من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو، ولا يولوهم الأدبار، ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ يقول: إنما يبايعون بيعتهم إياك الله؛ لأن الله تعالى ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك[٤٢].

قال سيد قطب رحمه الله تعالى: «فالإيحاء فيه أكثر إلى تكريم المبايعين وتعظيم شأن البيعة، والإشارة إلى الناس جاءت بمناسبة الحديث عن الأعراب المتخلفين»[٤٣].

وجاء في المنتخب، أي إن الذين يعاهدونك على بذل الطاقة لنصرتك، إنما يعاهدون الله، وإن قوة الله معك فوق قوتهم، فمن نقض عهدك بعد ميثاقه فلا يعود ضرر ذلك إلا على نفسه، ومن وفى بالعهد الذي عاهد عليه الله لإتمام بيعتك فسيعطيه الله ثواباً بالغاً عظيماً[٤٤].

وقال ابن كثير في بيان معنى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: «أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ»[٤٥].

---

(٣٩) انظر: لسان العرب ج١٥ ص٨٧.
(٤٠) انظر: المعجم الوسيط ص٤.
(٤١) انظر: المصباح المنير ص٨.
(٤٢) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٧٦.
(٤٣) الظلال ج٦ ص٣٣١٥.
(٤٤) المنتحب في تفسير القرآن ص٧٥٨ ط١٨.
(٤٥) تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير ابن كثير ج٤ ص١٩٩ / دار المعرفة الطبعة السادسة، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي تفسير القرآن العظيم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾

لم أجد من علماء التفسير والقراءات من يُفرّق بين القراءتين في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾، ولكن هذا لا يمنع من النظر والبحث لمعرفة الفرق؛ وذلك لأن الفرق بين الضمة والكسرة في الاستخدام واضح؛ لأنه من المعلوم بأن الضمة هي من أثقل الحركات، وأشدها قوة، وعلى ذلك: فقد أفادت القراءة بالكسر، بأن الذي يقوم بالوفاء بعهده الذي قطعه على نفسه لله تعالى، فإن الله سيؤتيه أجراً عظيماً مكافأة له على وفائه.

أما القراءة بالضم، فقد أفادت بأن هذا العهد الذي قطعوه على أنفسهم أمام الله تعالى، هو أمر عظيم وثقيل، ويحتاج إلى تطويع النفس وتصبيرها من أجل الوفاء به. وذلك لأن حركة الضم هي من أقوى الحركات وأثقلها، وإن النطق بالضم يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة(٤٦).

وجاء في التفسير ما يدل على عظم هذا العهد وثقله، حيث أورد ابن الجوزي: «أنهم بايعوا الله تعالى على الموت وأن لا يفروا»(٤٧).

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين جاءت لتبيّن بأن الذي يوفي بعهده مع الله تعالى، فإن الله تعالى سيؤتيه مقابل هذا الوفاء أجراً عظيماً.

إلا أن القراءة بالضم أوضحت بأن هذا العهد وهذه البيعة كانت أمراً عظيماً وثقيلاً، وتحتاج من النفس الصبر والمثابرة؛ ليتم لها تحقيق الوفاء؛ لذلك ناسب هذا الجَهد والوفاءَ حصولُ عظيمُ الأجر من الله تعالى؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾

---

(٤٦) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ـ د. فاضل السامرائي ـ ص١٠٢، ١٠٣.

(٤٧) زاد المسير في علم التفسير ص١٣١٩.

فقد أفادت القراءة بالنون (فسنؤتيه) بأن الله تعالى يخبر عن نفسه، كذلك فإن حرف النون فيها هو إخبار عن جمع[٤٨].

وأما القراءة بالياء التحتية، فهي على لفظ الغيب المتقدم قبله، وهو قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾، والمعنى أي ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[٤٩].

ويرى الباحث بأن القراءة بالنون فيها ميزة واضحة وكبيرة، وشرف عظيم خص الله ـ ﷻ ـ به الذين يوفون ببيعتهم معه، حيث إنه ـ ﷻ ـ هو الذي يخبر عن نفسه بنفسه في إعطاء الأجر، ولا يخبر عنه أحدٌ غيره، ومن مثل ذلك، الحديث: «**خلق الله آدم بيده**»[٥٠] ففيه تشريف لآدم.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا بأن الله تعالى قد أخبرنا بأن الذين يوفون بعهدهم الذي يقطعونه على أنفسهم في بيعتهم مع الله، فإن الله تعالى جعل لهم مقابل ذلك أجراً عظيماً.

إلا أن القراءة بالنون بيَّنَتْ بأن الله تعالى العظيم يخبر بنفسه عن إعطاء هذا الأجر، ولا يخبر عنه أحد غيره، وفي هذا ميزة شرف لهؤلاء الموفون ببيعتهم.

وانظر في عالمنا هذا، كم يكون الفرق كبيراً بأن يقال: بأن الملك الفلاني سيعطي جائزة لفلان، وبين أن يظهر هذا الملك، ويخبر بنفسه عن هذه الجائزة، ولله المثل الأعلى.

---

(٤٨) انظر: حجة القراءات للإمام أبي زرعة ص٦٧٢.

(٤٩) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للإمام مكي ابن أبي طالب القيسي ج٢ ص٢٨٠، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: الكشف.

(٥٠) السنن الكبرى للإمام النسائي ـ كتاب عمل اليوم والليلة ـ باب ما يقول إذا عطس (ج٩ ص٩٣ ـ رقم الحديث ٩٩٧٧) .

٤ ـ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾ [الفتح: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي (إن أراد بكم ضُراً) بضم الضاد.

٢ ـ والباقون ﴿ضَرًّا﴾ بفتحها[٥١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الضَرُّ: خلاف النفع. وقد ضَرَّه وضارَّه بمعنى. والاسم الضَرَرُ. وقال: والضُرُّ بالضم الهُزال وسوء الحال[٥٢]. وجاء في المعجم الوسيط: «ضَرّهُ، وبه ضُرًّا وضَرَرًا، ألحق به مكروهاً وأذى»[٥٣].

التفسير:

هذه الآية الكريمة جاءت لتفضح موقف هؤلاء الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في ذهابه إلى مكة معتمراً، حيث إن رسول الله ﷺ استنفرهم ليخرجوا معه ـ وهم أعراب المدينة مزية وجهينة.

وأخبر الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ بأنهم سيأتون إليك، ويعتذرون إليك، ويخبروك بأنهم لم يخرجوا بسبب خوفهم على أموالهم وأهليهم، ويطلبون منك أن تستغفر لهم، إلا أنهم كاذبون في دعواهم، وغير صادقين في طلبهم للاستغفار.

---

(٥١) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٥، وإرشاد المريد إلى مقصود القصيد في القراءات العشر للشيخ علي الضباع ص٣٦٢، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي إرشاد المريد.

(٥٢) انظر: الصحاح في اللغة ص٦٤٢.

(٥٣) المعجم الوسيط ص٥٣٧.

ثم يقرر الله تعالى نوع الرد الذي سيرد به عليهم رسول الله ﷺ وهو تصحيح فساد عقيدتهم حيث إن الله تعالى هو الذي يعلم حقيقة أمرهم. واعتذارهم لرسول الله ﷺ وطلب المغفرة منه لن يرد أمر الله تعالى إذا أراد الله تعالى أن يهلكهم(٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف علماء التفسير والقراءات في بيان الفرق بين القراءتين. فذهب بعض العلماء إلى أنه لا فرق بين القراءتين. فأبو السعود مثلاً: ذكر القراءة بالضم ولم يفرق بينهما(٥٥).

وذهب الشيخ أحمد البنا: إلى أنهما لغتان، كالضُعف والضَعف(٥٦). وقال الدكتور محمد محيسن: «وهما لغتان بمعنى واحد»(٥٧).

وعلى هذا: فقد أفادت القراءة بالفتح معنى الضر الذي هو خلاف النفع. قال الطبري: «فَقَرَأَتْهُ قُرَّاءُ المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بفتح الضاد بمعنى الضر الذي هو خلاف النفع»(٥٨). وقال مكي(٥٩): «وحجة من قرأ بالفتح، أنه حمله على الضر الذي هو خلاف النفع، ودل على أنه المراد ما أتي بعده نقيضه: وهو قوله سبحانه: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ فالنفع نقيض

---

(٥٤) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٧٧، ٧٤٧٨ (بتصرف).

(٥٥) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٠٠.

(٥٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات ج٢ ص٤٨٢، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: إتحاف فضلاء البشر.

(٥٧) المستنير ج٣ ص١٠٩.

(٥٨) جامع البيان ج٩ ص٧٤٧٨.

(٥٩) هو مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي القرطبي، كان أستاذاً في القراءة، توفي سنة ٤٣٧هـ [انظر: غاية النهاية ج٢ ص٣٠٩].

الضَر بالفتح»[٦٠]. وقال البغوي: «وقرأ الآخرون بفتحها؛ لأنه قابله بالنفع، والنفع ضد الضرر، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضّر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى أنه إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على نفعه»[٦١].

أما القراءة بالضم، فقد أفادت بأن المقصود من (الضُر) بالضم هو السقم والبؤس والبلاء، قال مكي: «من قرأ بالضم أنه جعله من سوء الحال كما قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] أي من سوء الحال»[٦٢].

الجمع بين القراءتين:

إن القراءة بالفتح دلت على معنى الضرر الذي هو خلاف النفع بدون تحديد وبيان لنوع أو اسم الضرر، إلا أن القراءة بالضم جاءت لتشرح وتبيّن اسم ونوع هذا الضرر الذي قد يقع بهؤلاء المتخلفين، وهو البؤس والسقم وسوء الحال.

٥ ـ قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢].

القراءات:

١ ـ قرأ هشام والكسائي (بل ظننتم) بإدغام الباء في الظاء.

٢ ـ وقرأ الباقون بإظهارها[٦٣].

(٦٠) الكشف ج٢ ص٢٨١.
(٦١) تفسير البغوي ج٥ ص١٠٤.
(٦٢) الكشف ج٢ ص٢٨١.
(٦٣) انظر: تقريب النشر ص١٢٧، البدور الزاهرة ص٣٧٤.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الظنُّ: العلمُ دون يقين، وقد يوضع مَوْضِع العِلم وبابه رَدَّ، وتقول: ظَنَنْتُك زيداً، وظَنَنْتُ زيداً، إياك تَضَعُ الضَّمِير المنْفَصِلَ موضعَ المتَّصِل، والظِّنين المُتَّهم والظِّنَّة التُّهمة(٦٤).

وقال ابن منظور: «الظَنُّ شك ويقين إلَّا أنه ليس بيقينِ عيان إنما هو يقينُ تدبرٍ، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم، وهو يكون اسماً ومصدراً، وجمع الظن الذي هو اسم ظُنُون»(٦٥).

وجاء في المصباح المنير بأن الظن خلاف اليقين، وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦](٦٦).

التفسير:

هذه الآية تؤكد وتبيّن السبب الحقيقي وراء تخلف هؤلاء الأعراب عن اللحاق برسول الله ﷺ، وهو اعتقادهم الفاسد بأن رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام سيهلكون، ولن يرجعوا إلى أهليهم وأوطانهم أبداً، وحسّن ذلك الشيطان في قلوبهم، فأعجبهم ذلك الاعتقاد فترجموه بعدم خروجهم مع رسول الله ﷺ.

ولقد ظنوا ظنهم وزُيّن هذا الظن في قلوبهم حتى إنهم لم يروا غيره، ولم يفكروا في سواه، وكان هذا هو ظن السوء بالله تعالى الناشئ من أن قلوبهم بور، وهو تعبير عجيب، فالأرض البور ميتة جرداء، وكذلك قلوبهم، وكذلك هم بكل كيانهم بور لا حياة ولا خصب ولا ثمار.

فالقلب الذي يخلو من حسن الظن بالله تعالى، يكون بوراً ميتاً أجرد نهايته إلى البوار والدمار. قال الطبري عن هؤلاء المتخلفين: «ما تخلفتم

---

(٦٤) انظر: مختار الصحاح ص٢٢٦.

(٦٥) لسان العرب ج١٣ ص٢٧٢.

(٦٦) انظر: المصباح المنير ص٢٣٠ للشيخ العلامة أحمد الفيومي المقري / دار الحديث - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

خلاف رسول الله ﷺ، وما قعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم، بل تخلفتم ظناً منكم أن رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه سَيَهلِكون، فلا يرجعون إليكم أبداً باستئصال العدو إياهم»(٦٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

يقول الباحث: لم يذكر العلماء عن هذه القراءة إلا الشيء القليل قال الشيخ أحمد البنا: «وأدغم الكسائي لام ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾»(٦٨).

وأمام هذا، لا ينبغي التسرع واعتبار القراءتين من لهجات ولغات العرب فقط، وأنه لا فرق بينهما، فالقراءة بالإدغام لها دلالة غير موجودة في سواها؛ وذلك لأن الإدغام فيه تشديد للحرف وقد عرَّف الدكتور عبد الرحمن الجمل الإدغام بأنه: إدخال حرف ساكن في حرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني(٦٩).

وعرفه الشيخ محمد الجريسي فقال: «هو خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفاً واحداً مشدداً، يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة»(٧٠).

ومن كلا التعريفين، يتضح بأن الحرف الذي أصبح مشدداً وقويّاً وثقيلاً، هو حرف الظاء، وهو أول حروف كلمة (ظن)، وحرف الظاء من الحروف القوية حسب تصنيف حروف اللغة(٧١)، فكيف إذا كان مشدداً كما هو حاصل.

وكأن المراد من شدة وقوة هذا الحرف، الإشارة إلى بيان شدة وقوة ظنهم الفاسد، الذي ظنوه برسول الله ﷺ وأصحابه الأبرار، حتى أصبح هذا

---

(٦٧) جامع البيان ج٩ ص٧٤٧٨.
(٦٨) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٢.
(٦٩) انظر: المغني في علم التجويد ص٧٤ ط٥.
(٧٠) نهاية القول المفيد في علم التجويد ص١٤٠.
(٧١) انظر: المغني في علم التجويد / د. عبد الرحمن الجمل ص١٣٩.

الظن مستحسناً لديهم، ومن قوته وشدة استحسانه، أصبح معتقداً يقينياً لديهم، ومنعهم من اللحاق برسول الله ﷺ.

وإذا قال قائل: إنما جعل الإدغام لتخفيف النطق بالحرف لثقله، فيتم التخلص من هذا الثقل بإدغام هذا الحرف، الذي سبب بُعد مخرجه هذا الثقل في الحرف الذي بعده، طلباً لسهولة النطق به، ويرى الباحث: أن هذا صحيح وحاصل في حرف اللام في كلمة (بل)، فمن أجل تخفيف النطق به أدغم في الظاء، ولكن ما نتج عن هذا الإدغام أيضاً إضافة على ما ذُكر، هو إكساب حرف الظاء قوة إلى قوته، وشدة إلى شدته من غير صعوبة، أو منع في النطق.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتنا حدوث الظن الفاسد من الأعراب، إلا أن القراءة بالإدغام والتشديد أفادت بيان درجة وقوة هذا الظن، حيث إنه ظنٌ قويٌ وصل في نفوسهم إلى درجة الاستحسان والتصديق والاعتقاد.

٦ ـ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ الأخوان(٧٢) وخلف (كلِم) بكسر اللام من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَلَٰمَ﴾ بفتحها وألف بعدها(٧٣).

---

(٧٢) الأخوان هما: حمزة والكسائي.

(٧٣) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٣.

المعنى اللغوي للقراءتين:

كلم: الكلام اسمُ جنس يَقَع على القليل والكثير، والكَلِم لا يكون أقَلَّ من ثلاثِ كلمات؛ لأنه جمع كلمة مثل نَبِقة ونَبِق، وفيها ثلاث لغات كَلِمَة وكِلْمَة وكَلْمَة(٧٤).

والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروفٍ ذَاتِ مَعْنيً، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها. يقال: قال الشاعر في كلمته أي في قصيدته(٧٥).

التفسير:

في هذه الآية يحكي الله ﷻ عن حال هؤلاء المتخلفين الذين ذكرنا قصة تخلفهم عن رسول الله ﷺ عند ذهابه إلى مكة معتمراً، واستنفرهم فلم يذهبوا معه وقعدوا، وهم الآن يتمنوا أن يأخذهم رسول الله ﷺ إلى خيبر؛ وذلك طلباً للغنائم التي وعدها الله ﷻ لأهل الحديبية عوضاً لهم عن رجوعهم، وهم بذلك يريدون أن يخالفوا أمر الله تعالى، وهو أنه ﷻ قد خصَّ أهل الحديبية وحدهم بهذه الغنائم، وأن لا يشاركهم بها أحد. فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن لا يخرجهم معه. فسيقول هؤلاء المتخلفون ليس الأمر كما تقولون، ولكنكم لا تريدون لنا أن نخرج معكم؛ لأنكم تحسدونا، فتولى الله ﷻ الرد على هذا القول الباطل لهؤلاء المتخلفين، فقال سبحانه: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لا يفهمون منها إلا قليلاً، وهو حرصهم على الغنائم وأمور الدنيا(٧٦)، أو لا يفقهون من أمر الدين إلا قليلاً وهو ترك القتال(٧٧).

---

(٧٤) انظر: مختار الصحاح ص٣١٢.

(٧٥) انظر: لسان العرب ج١٢ ص٥٢٤.

(٧٦) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٨٠، ٧٤٨٢، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٤، وصفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص٢٠٥.

(٧٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٣٠.

وقال ابن الجوزي شرحاً لمعنى ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾: «أحدهما أنه مواعيد الله بغنيمة خيبر لأهل الحديبية خاصة، والثاني: أمر الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يسير معه منهم أحد، وذلك أن الله وعده وهو بالحديبية أن يفتح عليه ونهاه أن يسير معه أحد من المتخلفين»[78].

يقول الباحث: وأياً كان المعنى، فخلاصته: أن هؤلاء المتخلفين قد حرمهم الله من شرف الذهاب مع رسول الله ﷺ، والحصول على الغنائم؛ وذلك عقاباً لهم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بإثبات الألف ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ على اعتبار أنها مصدر، وهي اسم جنس يقع على القليل والكثير من الكلام، وقد أشار إلى ذلك بعض علماء اللغة والتفسير[79].

وقال أبو منصور: «من قرأ ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ فهو اسم من كلم يكلم تكليماً وكلاماً، وقد يوضع الاسم موضع المصدر، فالكلام اسم ولا يجمع؛ لأنه بمنزلة المصدر»[80].

أما القراءة بدون ألف (كلم) فقد دلت على أنها جمع كلمة[81].

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين القراءتين، فقراءة (كلام) بالألف يطلق على كثير الكلام وقليله. وقراءة (كلم) بدون ألف لا يكون أقل من ثلاث كلمات، لأنها جمع كلمة.

وعلى ذلك يكون المعنى على القراءة بإثبات اللام (كلام) أنهم عملوا على تبديل أوامر الله تعالى دون أن تبيّن القراءة، هل هو أمر أو أمران أو

(٧٨) زاد المسير ص١٣٢٠ (بتصرف).
(٧٩) انظر: معاني القرآن ج٣ ص٦٦، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٩٨.
(٨٠) معاني القراءات ج٣ ص٢٠.
(٨١) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٨٢، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٩٨.

أكثر من ذلك، أما على القراءة بحذف اللام (كلم)، فقد أفادت أن الذي حاول هؤلاء تبديله، وفعل عكسه لم يكن أمراً أو أمرين، بل هو أكثر، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد أفادت القراءة بإثبات اللام (كلام)، للدلالة على نفسية هؤلاء الذين تخلفوا، فالذي حدث لهم من تخلف عن الذهاب مع رسول الله ﷺ لم يكن خطأً عابراً؛ لأن نفسية هؤلاء متعودة على الكذب وتكرار الفعل، فها هم يقومون بتقصد تبديل كلام الله تعالى وأوامره ونواهيه، سواء كانت قليلة أو كثيرة؛ لأن نفسيتهم سقيمة وقلوبهم مريضة.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتضح أن هؤلاء الذين يريدون تبديل كلام الله تعالى لم يقوموا بهذا الفعل؛ لأن أوامر الله تعالى كانت كثيرة أو قليلة، بل لأن نفسية هؤلاء مريضة؛ ولأنهم يتقصدون فعل ذلك.

٧ ـ قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿يُدْخِلْهُ، يُعَذِّبْهُ﴾ بنون العظمة فيهما.

٢ ـ وقرأ الباقون بالياء في الحرفين[٨٢].

المعنى اللغوي للقراءتين:

أ ـ دخل: الدخول نقيض الخروج دَخَل يَدْخُل دُخُولاً وتَدَخَّل ودَخَل به، ويقال: دَخَلْتُ البيت، والصحيح فيه أن تريد دخلت إلى البيت،

---

(٨٢) انظر: المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني ص٢٥١.

وحذفت حرف الجر، فانتصب انتصاب المفعول به[٨٣].

ب ـ عذب: عذُب الماء بالضم عذوبة ساغ مشربه فهو عذب، واستعذبته رايته عذباً، وجمعه عذاب، مثل: سهم وسهام، وعذَّبته تعذيباً عاقبته والاسم العَذاب، وأصله في كلام العرب، الضرب ثم استعمل في كل عقوبة مؤلمة، واستعير للأمور الشاقة، فقيل: السفر قطعة من العذاب[٨٤]. وجاء في اللسان: عذبه تعذيباً منَعَه وفَطَمه عن الأمر، وكل من منعته شيئاً، فقد أَعْذَبْتَه وعذَّبْته[٨٥].

التفسير:

بعد أن تحدث الله ﷻ في الآيات السابقة عن حال المتخلفين عن رسول الله ﷺ، وما ينتظرهم من بؤس وسوء وعذاب ونكال بسبب تخلفهم بغير عذر مقبول، بيَّن الله ﷻ في هذه الآية أن هناك صنفاً من المتخلفين مستثنى من هذا العذاب والنكال؛ وذلك لأن الله تعالى رخَّص لهم عدم ذهابهم؛ لأنهم من أصحاب الأعذار الحقيقية، وهم غير مكلفين للخروج للغزو، ولا للقتال، ولا إثم عليهم ولا حرج.

ولكن هذه الآية وإن كانت ترخص لهؤلاء الجلوس ولا تكلفهم بالغزو، إلا إنها وفي نفس الوقت لا تنهاهم عن الخروج، ولا تحرم عليهم ذلك، بل إن من يخرج من هؤلاء فإن أجره مضاعف عند الله تعالى. وقد غزى ابن أم مكتوم ﵁، وقد كان أعمى، وحضر بعض حروب القادسية وكان يمسك بالراية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ أي من أطاع الله ورسوله فيما أمراه به ونهياه عنه فسيجازيه الله سبحانه بالجنات التي هذا وصفها، وكذلك فإن من يعرض عن

(٨٣) انظر: لسان العرب / ج١١ ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ دار صادر.

(٨٤) انظر: المصباح المنير ص٢٣٧.

(٨٥) لسان العرب ج١ ص٥٨٤.

الطاعة ويتخلف عن قتال أهل الشرك إذا دعي له، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله، يعذبه عذاباً شديد الألم، وذلك عذاب جهنم يوم القيامة[٨٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

إن معظم المفسرين لم يذكروا الفرق بين القراءتين، بل إن بعضهم صرَّح بأنهما بمعنى واحد.

قال السمرقندي: «وكلاهما يرجع إلى معنى واحد»[٨٧].

وذهب الآخرون إلى وجود فرق بينهما فابن عاشور مثلاً اعتبر النون في قوله تعالى: ﴿ندخله﴾، و﴿نُعَذِّبْهُ﴾ أنها نون العظمة وهي على الالتفات من الغيبة إلى المتكلم. و(يدخله) بالياء التحتية جرياً على أسلوب الغيبة بعود الضمير إلى اسم الجلالة[٨٨]. وقال بذلك أيضاً الدكتور محمد محيسن[٨٩].

وقال أبو منصور موضحاً الفرق بين القراءتين: «فالنون أخبار الله ﷻ عن نفسه على التعظيم، والياء إخبار عن الله ﷻ»[٩٠]. وبمثل ذلك أيضاً قال ابن زنجلة[٩١].

يقول الباحث: ومما سبق من عرض للآراء، يتبيَّن لنا وجود فرق بين القراءتين، ولكنهم قَصَرُوا المعنى في الفرق بينهما، على أن القراءة بالنون هي إخبار الله تعالى بنفسه، والقراءة بالياء هي إخبار عن الله تعالى ولكنهم لم يتطرقوا إلى دلالات ذلك وحكمته.

---

(٨٦) انظر: روح المعاني ج١٣ ص٢٥٩، وجامع البيان ج٩ ص٧٤٨٥، ٧٤٨٦ (بتصرف)، وفتح القدير ج٥ ص٦٢ (بتصرف).

(٨٧) بحر العلوم ج٣ ص٣٠١ / دار الفكر.

(٨٨) انظر: التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١٧٢ / دار ابن سحنون التونسية (بتصرف). وأينما ذكرته بعد ذلك فسأكتفي بقولي التحرير والتنوير.

(٨٩) انظر: المستنير ج٣ ص١١٢.

(٩٠) معاني القراءات ج٣ ص٢٠.

(٩١) انظر: حجة القراءات ص٦٧٤.

فالقراءة بالياء فيهما جاءت على الغيب، وذلك جرياً على أسلوب الغيبة بعودة الضمير على لفظ الجلالة، والمعنى: ومن يطع الله ورسوله يدخله الله، ومن تولى يعذبه الله تعالى.

أما القراءة بالنون فيهما، فقد جاءت لبيان ميزة خاصة، وللفت الأنظار إلى أهمية هذه الطاعة، وكذلك بيان عظم تلك المعصية، فقوله تعالى: ﴿ندخله﴾ بنون العظمة تظهر عظم أجر هؤلاء المطيعين، وبيان شرفهم وفضلهم، لأن الله تعالى يخبرهم بنفسه وهذا مزيد شرف لهم.

وقوله تعالى: ﴿نُعَذِّبْهُ﴾ فيها إظهار لبيان عظم جريمة هؤلاء العاصين؛ وذلك لأن الله تعالى يخبر عن عذابهم بنفسه، وكأنه ﷻ سيتولى تعذيبهم بنفسه، وفي هذا مزيد تهديد ووعيد، وزجر لهم عن الاستمرار في طريقهم وغيّهم.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا ثبوت الأجر للمطيعين، ووقوع العذاب على العاصين. وكذلك أظهرتا بيان شرف ومكانة هؤلاء المطيعين عند الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ندخله﴾، وأشعرت بالتهديد والوعيد وشدة العذاب للعاصين، وذلك في قوله تعالى: ﴿نُعَذِّبْهُ﴾.

٨ ـ **قال تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو «يعني البصري» (بما يعملون) بالياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء[(٩٢)].

(٩٢) انظر: تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة للإمام المحقق محمد الجزري ص٢٠٩.

المعنى اللغوي للقراءتين:

عمل: من باب طَرِبَ، وأَعْمَلَهُ غيرُه واستعمله بمعنى، واستعمله أيضاً أي طلب إليه العمل واعْتَمَل اضطرَبَ في العمل، ورجلٌ عَمِلٌ بكسر الميم أي مطبُوعٌ على العمل، ورجلٌ عَمُولٌ. وقال: والتَّعمِيل تَولِيةُ العَمَل، يقال: عمَّله على البصرة[٩٣].

وجاء في تاج العروس: هو حركة البدن بكلِّه أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس، فهو إحداث أمر، قولاً كان أو فعلاً بالجارحة أو القلب، ولكن الأسبق للفهم اختصاصه بالجارحة، وخصَّه البعض بما لا يكون قولاً[٩٤].

التفسير:

تتحدث هذه الآية الكريمة عن مشهد من مشاهد الحديبية، حيث إن مجموعة من المشركين نحو أربعين أو أقل أو أكثر أرادوا الغدر برسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام، فبعث رسول الله ﷺ فأتى بهم أسرى ثم عفا عنهم رسول الله ﷺ ولم يقتلهم، وكان ذلك أيام السفراء الذين كانوا يمشون بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين أهل مكة. فيذكرهم الله ﷻ بهذا الحادث، ليبيِّن لهم بأنه ﷻ هو وحده المسير لهم، فهم يسيرون بقدره ومشيئته فيما يختارون، وفيما يرفضون وأنه ﷻ يريد بهم الخير، فإذا استسلموا له تحقق لهم الخير كله من أيسر الطرق، وهو بصير بهم، ظاهرهم وخافيهم، فهو يختار لهم عن علم وعن بصر، ولن يضيع عليهم شيئاً يستحقونه[٩٥].

(٩٣) انظر: مختار الصحاح ص٢٥٠.

(٩٤) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ج٨ ص٣٤ / دار مكتبة الحياة بيروت ـ لبنان، وأينما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: تاج العروس.

(٩٥) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٩٥ (بتصرف)، والتحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١٨٤ (بتصرف)، والظلال قطب ج٦ ص٣٣٢٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتاء على الخطاب بأن المقصود من الخطاب هم المؤمنون، فالحديث في هذه الآية موجه للمؤمنين، حيث إن الله ﷻ يذكِّرهم بهذا الحادث، ويشعرهم بمنته عليهم، حيث إنه ﷻ كَفَّ أيدي الكفار عنهم، وحفظهم من مكر وبطش الكافرين، وكذلك أيضاً كفَّ أيديكم أيها المؤمنون عنهم، لحكمة يعلمها الله ﷻ، فعفوتم عنهم. وهذا العمل الذي قمتم به من الكفّ والعفو، هو من تدبير الله ﷻ لكم، وهو سبحانه عليم به، وبصير بدقائقه.

أما القراءة بالياء، فقد أفادت بأن الخطاب هنا في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ موجه للمشركين، بمعنى أنه ﷻ يعلم مكركم. كذلك فيه تهديد بأنه ﷻ سيجازيهم على أفعالهم وغدرهم وصدهم للمؤمنين عن المسجد الحرام.

قال الألوسي: «(يعملون) تهديد للكفار»(٩٦).

قال الشيخ أحمد الإدريسي: «﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ من مقاتلتهم وهزمهم أولاً، والكف عنهم ثانياً لتعظيم بيت الله الحرام، وقال: ياء الغيب أي بما يعمل المشركون»(٩٧).

وقال ابن عطية: «﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب، و(بما يعملون) على ذكر الكفار وتهديدهم»(٩٨).

ويجوز كذلك أن يكون المقصود بالخطاب على قراءة التاء كُلّاً من المؤمنين والكافرين.

قال ابن زنجلة عند شرح معنى القراءة: «بالياء أي كان الله بما عمل

---

(٩٦) روح المعاني ج١٣ ص٢٦٦.

(٩٧) تفسير البحر المديد ج٧ ص٢٠٧.

(٩٨) المحرر الوجيز ج٥ ص١٣٥ دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الكفار من كفرهم وصدهم عن المسجد بصيراً، وقرأ الباقون بالتاء أي أنتم وهم. وحجتهم أنه قد جرى ذكرهما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾»[99] وبنحو ذلك قال مكي أيضاً[100].

وخلاصة كل ما ذكر سابقاً، فقد أفادت القراءة بالياء أن الخطاب موجه للكفار فقط.

أما القراءة بالتاء على الخطاب، فقد أفادت بأن الخطاب موجه للمؤمنين على الغالب، أو موجه للمؤمنين والكافرين على رأي بعض العلماء.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا بأن الله تعالى عالم بدقائق وأفعال وتصرفات العباد، فإذا اعتبرنا بأن الخطاب في القراءة بالتاء موجه للمؤمنين فقط، حيث إنه ﷻ بصير ومراقب لأفعال عباده المؤمنين من قتالهم للكفار، والظفر بهم والعفو عنهم. فإن القراءة بالياء أيضاً تأتي لتبيّن بأنه ﷻ مراقب لما يقوم به الكفار، وسيجازيهم على أفعالهم.

أما إذا اعتبرنا بأن الخطاب في القراءة بالتاء موجه للمؤمنين والكافرين معاً، فإن الخطاب على القراءة بالياء موجه للكافرين وحدهم. وذلك تخصيصاً لهم، بقصد تهديدهم وإنذارهم، وذلك بسبب ما يقومون به من مكر بالمؤمنين.

٩ ـ قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح: ٢٥].

---

(٩٩) حجة القراءات ص٦٧٤.

(١٠٠) انظر: الكشف ج٢ ص٢٨٢.

القراءات:

١ ـ قرأها ورش (تطؤهم) بالإبدال بالوجوه الثلاثة[١٠١].

٢ ـ وقرأها أبو جعفر (تطوهم) بحذف الهمزة فينطق بواو ساكنة.

٣ ـ وقرأها حمزة في الوقف فقط بوجهين الأول الحذف كأبي جعفر. والثاني بتسهيل الهمزة بين الألف والهمز[١٠٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

الوطئ الدوس: وَطِىءَ الشيءَ يَطَؤُهُ وَطْأً داسَه[١٠٣]. وتطلق كذلك، ويراد بها الضغطة[١٠٤].

التفسير:

جاءت هذه الآية لتبيِّن سبب الكف عن قتال الكفار في الحديبية، وتذِّكِر المؤمنين بأن هؤلاء الكفار الذين ذكرتهم الآيات السابقة، هم مجرمون وحالة النزاع والاختلاف لم تنته معهم، بل هي مستمرة. وما كان ذاك الكف عن قتالهم، إلا لأن الله ﷻ يعلم أن من بينهم أناساً مؤمنين لا يعلمهم المسلمون، فلو حدث القتال لكان من الممكن أن يقوم المسلمون بقتل المؤمنين، وهم يجهلون حالهم، ثم بعد ذلك يتضح لهم بأنهم قتلوا أناساً مؤمنين، فيلحقهم العيب والإثم والكفَّارة ومسبَّة الكافرين لهم. ويؤكد الله ﷻ ذلك حيث بيّن بأنه لو تميَّز هؤلاء الرجال والنساء عن الكفار، واستطاع المؤمنون معرفتهم، وتأكد عدم وقوع الأذية لهم عن طريق الخطأ والجهل بحالهم ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي لعذب الله ﷻ هؤلاء الكفار بتسليط

(١٠١) أي بمد البدل أربع أو خمس أو ست حركات.

(١٠٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٤.

(١٠٣) انظر: لسان العرب ج١ ص١٩٥.

(١٠٤) انظر: الصحاح في اللغة ص١٢٩٨.

المؤمنين عليهم، فيقتلونهم قتلاً ذريعاً[١٠٥].

قال الرازي: «يعني لولا رجال ونساء يؤمنون غير معلومين»[١٠٦].

وقال الدكتور صلاح الخالدي: «إن الله لم يرد نشوب الحرب بينهما بسبب وجود رجال مؤمنين ونساء مؤمنات في مكة، مسْتَخْفِين بإيمانهم، لا يعرفهم المسلمون، فلو وقع القتال مع الكفار، فقد يقتل المسلمون بعض إخوانهم المستخفين خطأ، وبذلك يندمون، ولو انفصل هؤلاء المؤمنون عن مجموع الكافرين لأنشب الله تعالى القتال، وعذَّب الكفار على أيدي المؤمنين عذاباً أليماً»[١٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بدون همز وبواو ساكنة فقط على معنى أنه لو حدث القتال لوقع العذاب على المؤمنين غير المعروفة حالهم للمؤمنين، وذلك أثناء الحرب.

أما القراءة (بالهمز) والمد أو بالتسهيل، فقد أظهرت مدى القتل والدمار، وعظيم العذاب الذي كان سيقع للمؤمنين عن طريق الخطأ لو حدث القتال؛ وذلك لأنه من المعروف أن المد هو زيادة وطول في زمن الصوت، وهذه الزيادة وهذا الطول في القراءة يشير إلى المبالغة في القتل والبأس. كذلك فإن القراءة بزيادة همزة، هي زيادة في المبنى، والزيادة في المبنى زيادة في المعنى على النحو الذي ذكرنا.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتضح مدى البأس والقتل والبطش، الذي كان

---

(١٠٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٨ (بتصرف).

(١٠٦) تفسير الرازي المعروف بالفخر الرازي ج١٠ ص٨٢ / دار إحياء التراث العربي ـ ط الثانية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقول: تفسير الرازي.

(١٠٧) انظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ص١٦٤.

سيحدث للمؤمنين بأيدي المؤمنين أنفسهم عن طريق الخطأ. ولكن الله سبحانه سَلَّم.

١٠ ـ **قال تعالى**: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

القراءات:

١ ـ قرأ السوسي (الرويا) بإبدال الهمز مطلقاً بواو وبدون مد.

٢ ـ وقرأها أبو جعفر (الرُيَّا) بالإدغام مع الإبدال في الحالين[١٠٨].

٣ ـ وقرأها حمزة بالوجهين، الأول كالسوسي، والثاني كأبي جعفر وذلك في حالة الوقف فقط[١٠٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرؤيا بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين، يقال: رأى زيد عالماً ورأى رأياً ورُؤْيَةً ورَاْءَةً مثل راعَة، والرؤيا ما رأيته في منامك[١١٠].

التفسير:

عملت هذه الآية على رفع الحرج والضيق الذي أصاب بعض المسلمين؛ وذلك لأنهم رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا المسجد الحرام، ولم يحلقوا ولم يقصروا كما كانوا يظنون، وحسبوا أن رؤيا النبي ﷺ التي رآها في منامه وحَدَّثَهم بها وفرحوا بها، حسبوها ستتحقق في عام الحديبية. فلما رجعوا بدون ذلك ضاقت صدورهم فأنزل الله ﷻ هذه الآية تأكيداً منه

(١٠٨) أي بإبدال الهمز واواً وإدغامها بالياء سواء في الوقف أو في الوصل.

(١٠٩) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٤.

(١١٠) انظر: لسان العرب ج١٤ ص٢٩١، ٢٩٧.

سبحانه بأن رؤيا رسول الله ﷺ حق، وستتحقق وستصبح حقيقة، ولكنه ﷻ أخَّر وقوعها عام الحديبية لحكمة يعلمها ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ أي علم بأن تأخيرها فيه خير كثير. وهذا الخير هو ما فسره بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

قال الإمام الطبري: «بأن المقصود بالفتح هنا هو صلح الحديبية وفتح خيبر»(١١١). وقال ابن القيم عن هذا الفتح: «فتح مكة: هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً»(١١٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالهمز على معنى ما رآه النبي ﷺ في منامه هو حق، أي إن الله تعالى صدقك فيما رأيت في منامك وهو حقٌ.

أما القراءة بواو وبدون همز (الرويا) ففيها دلالة على حسن وجمال ما رآه النبي ﷺ، لدرجة أن الصحابة رضوان الله عليهم عندما أخبروا بها فرحوا فرحاً شديداً؛ لأنهم علموا أنهم سيذهبون إلى مكة، ويطوفون ويعتمرون فامتلأت نفوسهم فرحاً وسروراً، وارتوت بهجةً وأملاً.

قال ابن منظور: «ورجل له رُواء بالضم، أي منظرٌ، ورأيت رجلاً ذا رُواء طمح بصري إليه. فالرواء بالضم والمد: المنظر الحسن»(١١٣).

هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن هذه القراءة بالواو وبدون همز

---

(١١١) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٥١١.

(١١٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ج٣ ص٣٩٤ / تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - ط١٥ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١١٣) لسان العرب ج١٤ ص٣٤٨ (بتصرف).

مع الإدغام تدل على المبالغة في حسن ما رأى النبي ﷺ، وتدل على عظيم أثره على الصحابة الكرام، ودل على ذلك التشديد الناتج عن الإدغام، والذي هو للمبالغة، والله تعالى أعلى وأعلم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما نعلم أن الرؤية التي رآها النبي ﷺ كانت صادقة ومحببة إليه ﷺ، وإلى صحابته الكرام، لدرجة أنهم امتلأت نفوسهم فرحاً، وارتوت قلوبهم بهجة وحبّاً وشوقاً وانتظاراً لتحقيقها.

١١ ـ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾

١ ـ قرأ شعبة (رُضوانا) بضم الراء.

٢ ـ وقرأ الباقون (رِضوانا) بالكسر[١١٤].

ب ـ قوله تعالى: ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان (أخرج شطَأه) بفتح الطاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (شطْأه) بإسكان الطاء[١١٥].

(١١٤) انظر: غيث النفع في القراءات السبع للإمام الصفاقصي ص٤٩٢.

(١١٥) انظر: مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني للكرماني ص٣٧٧، وتحبير التيسير للجزري ص٢٠٩.

ج ـ قوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾

١ ـ قرأ ابن ذكوان (عن ابن عامر) بقصر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون بالمد[116].

د ـ قوله تعالى: ﴿سُوقِهِۦ﴾

١ ـ قرأ قنبل (عن ابن كثير) بهمزة ساكنة بعد السين بدلاً من الواو.

٢ ـ وقرأها أيضاً بضم الهمزة بعد السين وبعدها واو ساكنة.

٣ ـ وقرأها الباقون (سوقه) بواو ساكنة[117].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ رضي: رضيَ عنه وعليه يَرْضى رِضاً ورِضواناً ويُضَمَّان، أرضاه أعطاه ما يرضيه[118]. وقال في اللسان الرضا مقصور ضد السخط[119].

ب ـ شطأ: الشطء فرخُ الزرع والنخل، وقيل: هو ورق الزَّرْع، وفي التنزيل: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾؛ أي طَرَفه وجمعه شُطُوْءٌ[120].

ج ـ آزره: الأَزْرُ القوة آزَرْتُ فلاناً أي عاونته والإزارُ معروف[121]، قال في اللسان: «الأزر القوّة والأزر الظهر، وآزر الشيءُ الشيءَ ساواه وحاذاه»[122].

---

(١١٦) انظر: غيث النفع في القراءات السبع ص٤٩٣.

(١١٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٤.

(١١٨) انظر: القاموس المحيط في اللغة للفيروز آبادي ـ ضبط وتوثيق: يوسف البقاعي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ـ ص١١٦٠.

(١١٩) انظر: لسان العرب ج١٤ ص٣٢٣.

(١٢٠) انظر: لسان العرب ج١ ص١٠٠.

(١٢١) انظر: الصحاح في اللغة ص١٧.

(١٢٢) لسان العرب ج٤ ص١٨.

د ـ سوق: الساق ساق القدم والجمع سوقٌ وسيقانٌ وأَسْؤُقٌ، وامرأةٌ سَوْقَاءُ حَسَنَةُ الساق، وساق الشجرة جِذعها(١٢٣).

التفسير:

هذه الآية هي خاتمة سورة الفتح، ولمَّا علمنا ما جاء من آيات كريمات في هذه السورة تتحدث عن رسول الله ﷺ، وعن المؤمنين وجهادهم وصبرهم في مواجهة الكافرين والمنافقين والمتخاذلين، وذكرهم في كافة المحطات والمواقف في الحرب، وعقد الصلح، وفي بيعة الرضوان، وفي دخول مكة وغير ذلك ...، فجاءت هذه الآية تصف لنا هؤلاء الفرسان الميامين، وتحدد لنا ملامح شخصيتهم. فهذه الطائفة التي حملت لواء الحق، وخاضت غمار المواجهة، وهي متمثلة في القائد العظيم محمد رسول الله ﷺ، والذين ساروا على نهجه، واتبعوا دينه من المؤمنين الصادقين، هؤلاء قلوبهم على الكفار شديدة وغليظة، أما فيما بينهم فهم متراحمون.

وقوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ رقيقة قلوب بعضهم لبعض، ليّنة أنفسهم لهم، وهم يلتمسون بركوعهم وسجودهم، وشدتهم على الكفار، ورحمة بعضهم بعضاً رحمة الله تعالى وجنته، وهؤلاء أيضاً لهم علامات في وجوههم من كثرة عبادتهم لله، وهي السمت الحسن، والتواضع والخشوع، أو هي نور وبياض في وجوههم يوم القيامة(١٢٤). ومن صفاتهم أيضاً أنهم كثيرون الركوع والسجود لله تعالى(١٢٥).

---

(١٢٣) انظر: الصحاح في اللغة ص٥١٩.

(١٢٤) جامع البيان ج٩ ص٧٥١٢، تفسير الحسن البصري ج٢ ص٢٩٣ جمع د. محمد عبد الرحيم / دار الحديث القاهرة، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: تفسير الحسن البصري.

(١٢٥) انظر: البحر المحيط ج٨ ص١٠١.

وهذا الذي ذكرناه كله هو صفتهم ونعتهم في التوراة، أما في الإنجيل، فوصفهم ومثلهم كزرع أخرج فراخه وفروعه، فقَوِيَ هذا الزرع، وكبرت تلك الفراخ، وعظمت واستقام هذا الزرع على أصوله. وهو وفي مثل هذا المنظر يعجب الزرّاع بقوته وكثافته وحسن منظره، ليغتاظ بهم الكفار. وهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعدهم الله تعالى بالمغفرة التامة، والأجر العظيم والرزق الكريم في جنات النعيم(١٢٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانًا﴾

أفادت القراءة بكسر الراء، بمعنى أنهم يرجون من الله تعالى أن يرضى عنهم، ولا يسخط أبداً. قال النيسابوري(١٢٧): «وَرِضْوَاناً أن يرضى عنهم»(١٢٨). وبمثله قال الخازن(١٢٩).

أما القراءة بضم الراء، فهي على معنى أن محمداً ﷺ ومن معه من المؤمنين يرجون من الله تعالى أقصى درجات الرضى، وهي على المبالغة، وذلك أن يكرمهم الله تعالى بالنعم المتعددة الأصناف والأذواق داخل الجنة، وهي ثمرة ونتيجة لرضى الله تعالى عنهم. فإذا رضي الله ﷻ عنهم زاد لهم في النعم والعطاء.

ويدل على ذلك ما قاله السمين الحلبي في قوله الآخر عن الفرق بين القراءتين في قوله تعالى: ﴿رِضْوَانٍ﴾ [آل عمران: ١٥] أنَّ المكسور اسم، ومنه

---

(١٢٦) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٥١٥ (بتصرف)، والبغوي ج٥ ص١١٧، ١١٨. وصفوة التفاسير ج٣ ص٢١١ ـ ٢١٢.

(١٢٧) هو أحمد بن إبراهيم النيسابوري المفسر المعروف صاحب تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، وكانت وفاته سنة ٤٢٧هـ [انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ج١ ص٢٨].

(١٢٨) انظر: الكشف والبيان / دار إحياء التراث العربي ط الأولى/ ج٩ ص٦٥.

(١٢٩) انظر: تفسير الخازن المجلد الرابع ج٦ ص٢١٤.

رِضْوان خازنُ الجنة صلى الله على نبينا وعلى أنبيائه وملائكته، والمضمومُ هو المصدر(١٣٠). كما أن إسم المصدر وُضِع للدلالة على الإسم، بينما جاء المصدر للدلالة على الحدث(١٣١).

يقول الباحث: ومن المعروف بأن المصدر أبلغ من الاسم، وكذلك إن وجود حركة الضم التي هي أقوى الحركات يفيد بذلك ويؤكده، فهم سألوا الله تعالى الجنة دخولاً، ثم يسألونه ﷻ بعد ذلك أن يزيد لهم في الأصناف والأنواع من النعم، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يظهر بأن هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى إنما هم يرجون منه سبحانه أقصى درجات الرضى. وهي رحمة الله تعالى بهم، فيرضى عنهم ولا يسخط أبداً، وليس ذلك فحسب، بل ويزيد لهم من أصناف نعمه في الجنة. جعلنا الله من أصحابها.

ب ـ قوله تعالى: ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾

ذهب علماء التفسير إلى أن القراءتين هما لغتان، مثل: النَّهْر والنَهَر.

قال البغوي: «قرأ ابن كثير، وابن عامر: «شطأه» بفتح الطاء، وقرأ الآخرون بسكونها، وهما لغتان كالنهر والنهر، وأراد أفراخه، يقال: أشطأ الزرع فهو مشطىء، إذا أفرخ»(١٣٢).

وقال السمين الحلبي: «وقرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء، والباقون بإسكانها، وهما لغتان»(١٣٣). وقال الشربيني: «وقرأ ابن كثير وابن

---

(١٣٠) انظر: الدر المصون / دار القلم ـ دمشق ـ تحقيق: أحمد محمد الخراط ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ ج٣ ص٦٨.

(١٣١) انظر: معاني النحو ـ د. فاضل السامرائي ـ ج٣ ص١٤٣.

(١٣٢) تفسير البغوي / دار طيبة ج٧ ص٣٢٤.

(١٣٣) الدر المصون ج٦ ص١٦٧.

ذكوان: بفتح الطاء والباقون بإسكانها. وهما لغتان كالنهر والنهر»[١٣٤].

ويرى الباحث: أن هذا صحيح، إلا أنه من الممكن أن تمتاز القراءة بالفتح على الأخرى التي هي بالسكون، وذلك كالتالي:

أفادت القراءة باسكان الطاء (شطأه)، بمعنى طرفه أو أطرافه، وهو النبت يخرج بمحاذاته.

بينما أفادت القراءة بفتح الطاء (شطأه)، بالمبالغة حيث زيادة الفتحة في هذه القراءة دلت على المبالغة والتكثير في هذه الفراخ، وهذا فيه إشارة للمهمة التى جاءت من أجلها تلك الفراخ، وهي تقوية الزرع. وإثبات الفتحة هنا يشعر بنوع من المفاعلة، ويشير إلى هدف وفعل جاء من أجله الشطأ، وكأنك تقول: هذا الزرع جاء بما يقوم بفعل وعمل التقوية له وهو الشطأ، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين دلتا على خروج الشطئ، وهو فراخ الزرع، ولكن القراءة الثانية بفتح الطاء زادت في المعنى، فبيَّنت أن هذه الفراخ عددها كبير وكثير، فهي ليست فرخاً واحداً، بل هي عدد من الفراخ والنبت، وعمل هذه الفراخ هو تقوية الزرع.

ج ـ قوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾

ذهب عدد من علماء التفسير والقراءات إلى أن كلا القراءتين بمعنى واحد، وممن ذهب إلى ذلك السمرقندي[١٣٥]، ومحمد طنطاوي[١٣٦].

ومن علماء القراءات مكي القيسي[١٣٧]، وأحمد البنا[١٣٨]، والدكتور

(١٣٤) السراج المنير دار الكتب العلمية / ج٤ ص٤٢.
(١٣٥) انظر: بحر العلوم ج٣ ص٢٥٩ / دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
(١٣٦) انظر: الوسيط ج١٣ ص١٥٦ / مطبعة السعادة ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
(١٣٧) انظر: الكشف ص٢٨٢.
(١٣٨) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٤.

محمد محيسن[١٣٩].

إلا أن الباحث لا يسلم بذلك، وخاصة أن عدداً من علماء التفسير والقراءات يؤكدون وقوع الفرق في المعنى بين هاتين القراءتين، وتفصيله كالتالي:

أفادت القراءة (فأزره) بدون ألف بالقصر، أي قوَّاه وشدَّ أزره بمعنى قوى الشطىءُ الزرعَ[١٤٠]. ولمثل ذلك ذهب أبو السعود أيضاً[١٤١].

وأفادت القراءة بالألف وبالمد (فآزره) بمعنى ساواه وحاذه وعاونه.

وقوله (آزره) بالمد فيها مفاعلة، بمعنى أن الزرع والشطئ قوى بعضه بعضاً، ومن الملاحظ أن (آزره) بالمد فيها زيادة في المبنى، والزيادة في المبنى ينتج عنها زيادة في المعنى. فإذا كانت القراءة بالقصر بدون ألف (أزره) بمعنى أن الشطئ قوى الزرع.

فإن القراءة بالمد مع وجود الألف (آزره) تدل على أن الشطئ أصبح مساوياً ومحاذياً ومعاوناً للزرع، والزيادة في المد في القراءة يشعر بمد وطول الشطأ حتى أصبح طويلاً مثل الزرع وقواه. قال ابن الجوزي: «(فآزره) أي ساواه وصار مثل الأم»[١٤٢].

وقال الخازن: «فآزره أي قوّاه وأعانه وشد أزره»[١٤٣].

وذكر كلٌ من أبي السعود[١٤٤]، والزمخشري[١٤٥]، والشنقيطي بأن

(١٣٩) انظر: المستنير ج٣ ص١١٤.

(١٤٠) انظر: تفسير الكشاف ج٤ ص٤٦٩.

(١٤١) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٠٩.

(١٤٢) انظر: زاد المسير ص١٣٢٦.

(١٤٣) انظر: تفسير الخازن المجلد الرابع ج٦ ص٢١٥.

(١٤٤) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٠٨.

(١٤٥) انظر: الكشاف ج٤ ص٤٦٩.

قوله تعالى: ﴿فَئَازَرَهُۥ﴾ من المؤازرة وهي المعاونة[١٤٦].

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا بوقوع المعاونة والقوة، فالشطئ يقوّي الزرع ويعاونه.

ولكن القراءة بالمد مع وجود الألف (فآزره) زادت في المقصد، وأضافت معنى جديداً، وهو أن هذه المؤازرة والمعاونة بلغت مبلغاً كبيراً، بحيث أصبح الشطئ مساوياً ومحاذياً للزرع في قوته، وطوله، وحسن منظره، وهما في هذه الصورة البهية أصبح كلٌ منهما مؤازراً ومقوِّياً للآخر.

د ـ قوله تعالى: ﴿سُوقِهِۦ﴾

أشارت تأويلات العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد؛ لأن العرب كانوا يقرؤون بهمز، ثم تركوا الهمز، ولربما يهمزون ويتركون.

قال ابن منظور: «وساقُ الشجرةِ جِذْعُها، وقيل: ما بين أَصلها إلى مُشَعَّب أَفنانها، وجمع ذلك كله أَسْوُقٌ وأَسْؤُقٌ وسُوُوق وسؤوق وسُوْق وسُوُق الأَخيرة نادرة، توهموا ضمة السين على الواو»[١٤٧].

ويرى الباحث: أن القراءة بالهمز توحي وتشير إلى قوة هذه السوق التي تحمل هذا الزرع، ويحسن ذلك؛ لأن الله ﷻ قال عن الزرع بأنه استغلظ؛ لذلك حسنت الإشارة أيضاً إلى الساق الذي يحمل هذا الزرع بأنه قوي؛ لأن قوة الزرع من قوة ساقه. ويدل على ذلك أيضاً قوة الهمزة وثقلها، والله تعالى أعلم.

---

(١٤٦) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٥ ص١٥٧ / دار إحياء التراث العربي ط الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(١٤٧) انظر: لسان العرب ج١٠ ص١٦٩.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتضح لنا بأن هذه السوق التي تحمل الزرع هي سوق قوية شديدة.

تمت سورة الفتح بحمد الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الحجرات
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية نزلت بالمدينة المنورة، وهي ثماني عشرة آية، اشتملت السورة على حقائق مهمة في العقيدة والآداب والأخلاق، وأرست الأسس لإنشاء مدينةٍ فاضلة، ومجتمعٍ نظيف، وامتازت هذه السورة الجليلة بأمرين أساسيين:

الأول: وضعت هذه السورة مبادئ وأسس كاملة ومناهج مهمة؛ ليقوم عليها عالَم فاضل نظيف، ومجتمع مصون.

الثاني: تناولت موضوع الإيمان، وأظهرت مدى أهميته وفضله، فهو هبة ربانية عظيمة يَمُنُّ الله تعالى بها على من يشاء(١٤٨).

سبب التسمية:

سُمِّيت هذه السورة الكريمة بسورة الحجرات؛ لأن الله تعالى ذكر فيها بيوت أزواج رسول الله ﷺ، وهي الحجرات التي كان يسكنها أمهات

---

(١٤٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١١٧، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢١٣، ٢١٤.

المؤمنين الطاهرات رضي الله عنهن جميعاً، وبيَّن الله تعالى حرمتها(١٤٩).

مناسبتها للسورة التي قبلها:

لما تحدثت السورة السابقة عن قتال الكافرين ومعاداتهم، بَيَّنَتْ هنا بوجوب وضرورة قتال الباغين المعتدين من المسلمين أيضاً إذا رفضوا الانصياع، والكف عن عدوانهم، كذلك فإن كلتا السورتين تناولتا الحديث عن المؤمنين، وعن رسول الله ﷺ، وأظهرتا شرفه ومكانته(١٥٠).

الموضوع العام للسورة:

تحدثت هذه السورة الكريمة عن الآداب التي يجب أن يتأدب بها الإنسان المسلم المؤمن بالله تعالى وبرسوله تجاه رسول الله عليه الصلاة والسلام، فأمرتْ المؤمنين أن لا يُبْدُوا رأياً في حكم من أحكام التشريع، أو يقضوا حكماً بين يدي رسول الله ﷺ، وأمرتهم أن يخفضوا أصواتهم إذا تحدثوا مع رسول الله ﷺ تعظيماً وتشريفاً له عليه الصلاة والسلام. ثم انتقلت إلى الحديث عن الأدب العام الذي يشمل كل أفراد المجتمع، فقررت دعائم المجتمع الفاضل، وأرست أسسه، فهي تمنع الإشاعات، وتحذر منها، وتحاربها، وتأمر بالتثبت من الأخبار، وحذرت من الهمز، واللمز، والسخرية، والغيبة، والتجسس، والظن، وإيذاء المسلمين لبعضهم البعض، ودعت إلى مكارم الأخلاق، وحثت على الإصلاح بين المتقاتلين والمتخاصمين، وأمرت بدفع عدوان المعتدين الباغين(١٥١).

١ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١].

---

(١٤٩) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢١٣، ٢١٤.

(١٥٠) انظر: روح المعاني ج١٣ ص٢٨٤.

(١٥١) انظر: الظلال ج٦ ص٣٣٣٥، ٣٣٣٦، ٣٣٣٧، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢١٣، ٢١٤.

القراءات:

١ - قرأ يعقوب (لا تَقدَّموا) بفتح التاء والدال.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ بضم التاء وكسر الدال[١٥٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

قدم قَدْمَاً وقُدُوْمَاً القوم، يعني سبقهم. وتَقَدَّم خلاف تأخر، واسْتَقْدَمَ القوم: تَقَدَّمَهم[١٥٣].

قال ابن منظور: «في أسماء الله تعالى المقدم: هو الذي يقدِّم الأشياءَ ويضعها في موضعها»[١٥٤].

التفسير:

هذا نداء للمؤمنين الذين أقروا بوحدانية الله تعالى، وبنبوة نبيه محمد ﷺ، بأن لا يعجلوا بقضاء أمر من أمور دينهم قبل أن يقضي الله ورسوله به لهم، حتى لا يقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله ﷺ، فيكونوا بذلك قد عجلوا بالأمر والنهي دونه، وفي هذه الآية يؤدب الله تعالى عباده المؤمنين، ويعلمهم كيف يكون التعامل مع رسول الله ﷺ من توقير، واحترام، وتعظيم، وتبجيل[١٥٥].

وقال الدكتور عبد المنعم تعيلب: «أي يا أهل التصديق والإيمان لا تسبقوا أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ولا تأتوا شيئاً دون اتباع الكتاب والسنة، ولا تعجلوا قبل أن يقضي لكم ربكم سبحانه ويعلمكم نبيكم ﷺ»[١٥٦].

---

(١٥٢) انظر: المستنير ص٤٠٨، والنشر ج٢ ص٢٨٦.
(١٥٣) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٦١٣.
(١٥٤) لسان العرب ج١٢ ص٤٦٥.
(١٥٥) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٥٢١، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٢٠.
(١٥٦) فتح الرحمن ج٦ ص٣٣٧٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب جمهور المفسرين وبعض علماء القراءات إلى أن هناك فرقاً بين القراءتين؛ لذلك فقد دلَّت القراءة بالضم على أن المراد: لا تقدموا أمراً من ما يكون في نفوسكم على أمر آخر من أوامر رسول الله ﷺ، بمعنى وجوب طاعته، وعدم معصيته.

قال الزمخشري: «﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ من غير ذكر مفعول: وجهان، أحدهما: أن يحذف؛ ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم، والثاني: أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة، كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل»[١٥٧].

وقال سيد قطب: «لا تقترحوا على الله ورسوله اقتراحاً، لا في خاصة أنفسكم، ولا في أمور الحياة من حولكم، ولا تقولوا في أمر قبل قول الله فيه على لسان رسوله، ولا تقضوا في أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله وقول رسوله»[١٥٨].

أما القراءة بالفتح، فقد دلت على أن المراد من قوله: ﴿لَا تَقَدَّمُوا۟﴾ المعنى: لا تتقدموا، وحذفت التاء للتخفيف، وعلى هذه القراءة فإن النهي أشمل، وعليه يكون المعنى بالقراءة بالفتح يفيد بعدم جواز التقدم على رسول الله ﷺ، بمعنى عدم التفاضل على رسول الله ﷺ، وذلك يشمل القول والفعل والبدن والمكانة أيضاً.

قال ابن عاشور: «والتقدم حقيقته: المشي قبل الغير، وفعله المجرد قدم من باب نصر. وقدَّم بمعنى تقدم، كأنه نفسه فهو مضاعف صار غير متعد، فمعنى ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ لا تتقدموا. ففعل ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ مضارع قدم القاصر، بمعنى تقدم على غيره، وليس لهذا الفعل مفعول، ومنه اشتقت

(١٥٧) الكشاف ج٤ ص٢.

(١٥٨) الظلال ج٦ ص٣٣٣٨.

مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه وهي ضد الساقة»[159]. وقال ابن منظور: «من قرأ: (تُقَدّموا) فمعناه: لا تُقدّموا كلاماً قبل كلامه، ومن قرأ: (تَقَدَّموا) فمعناه لا تَقَدَّموا قبله»[160].

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين حملتا في مضمونها عدم تجاوز رسول الله ﷺ، وإذا كانت القراءة بالضم اختصت بما يدور في النفوس من الآراء، وكانت في المخالفات والأوامر والنواهي في المسائل الدينية والحرب، فإن القراءة بالفتح جاءت أشمل وأعم، وأضافت معانٍ جديدة، وهي أن التقدم ممنوع في القول والفعل والمكانة، وحتى المشي أمام رسول الله ﷺ، وهي بذلك تعالج السلوك الأدبي.

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات: ٤].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (الحجَرات) بفتح الجيم.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ بضمها[161].

المعنى اللغوي للقراءات:

الحُجْرُ المنعُ من التصرف، وحَجَرَ عليه القاضي يَحْجُرُ حَجْراً إذا منعه من التصرف في ماله، والمَحْجَرُ أيضاً الحِجرُ، وهو الحرام[162].

(١٥٩) التحرير والتنوير م١٢ج٢٦ ص٢١٥ ـ ٢١٦ (بتصرف).

(١٦٠) لسان العرب ج١٢ ص٤٦٧.

(١٦١) انظر: المستنير ص٤٠٨، والبدور الزاهر ص٣٧٦.

(١٦٢) انظر: تاج العروس ج٣ ص١٢٣.

وحجرة القوم ناحية دارهم[١٦٣].

التفسير:

هذه الآية الكريمة نزلت في أولئك الأعراب الغلاظ، الذين جاءوا إلى رسول الله ﷺ فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج رسول الله ﷺ، بل نادوه: يا محمد يا محمد، فذمّهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، واحترامه[١٦٤].

قال ابن عاشور: «وكانت الحجرات تسعاً من جريد النخل، أي الحواجز التي بين كل واحدة والأخرى ، وعلى أبوابها مُسوح من شعر أسود، وعَرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحو سبعة أذرع، ومساحة البيت الداخل، أي الذي في داخل الحجرة عشرة أذرع، أي فتصير مساحة الحجرة مع البيت سبعة عشر ذراعاً»[١٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب عموم علماء التفسير والقراءات إلى عدم التفرقة في المعنى بين القراءتين.

قال الشوكاني: «قرأ الجمهور ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ بضم الجيم، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وشيبة بفتحها تخفيفاً.. ثم قال: وهي لغات»[١٦٦]. وقال الشيخ أحمد البنا: «فأبو جعفر بفتح الجيم والباقون بضمها، لغتان في جمع حجرة، وهي القطعة من الأرض المحجورة بحائط»[١٦٧].

يقول الباحث: ولكن هذا لا يمنع من البحث عن فرق مقبول بين

(١٦٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٨٢.
(١٦٤) انظر: تيسير الكريم المنان المعروف بتفسير السعدي ج١ ص٧٩٩.
(١٦٥) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.
(١٦٦) فتح القدير ج٥ ص٧٣ (بتصرف).
(١٦٧) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٥ ـ ٤٨٦.

القراءتين، وبالنظر فيهما يظهر: إن الحجرة هي المكان المحدد الذي يحدده الإنسان ليجعله له سكناً، وهذا المكان له حرمته، فلا يجوز أن يقتحمه أحدٌ أو يزعج ساكنيه بقول، أو فعل، أو بدخول دون إذن، وإذا عرفنا ذلك، وعرفنا أيضاً بأن الضمة هي أقوى الحركات وأثقلها، فإن ذلك يدل على قوة منع اقتحامها أي الحجرات، والتحذير منه، فهي بالضم تفيد أقصى وأكبر وأقوى درجات المنع والحرمة، خاصة وأن الحديث هنا عن حجرات أزواج رسول الله ﷺ، وهذا يتطلب مزيد عناية وقوة في المنع، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا، بأن هذا المكان وهو الحجرات، هو المكان المخصص للسكن المعروف بحرمته على غير ساكنيه إلا بإذنهم، والقراءة بالضم أفادت شدة هذه الحرمة، خاصة وأن الحديث هنا عن حجرات أزواج رسول الله ﷺ.

٣ ـ **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

القراءات:

١ ـ قرأ الأخوان وخلف (فتثبَّتُوا) بتاء مثلثة فوقية مفتوحة بعد التاء، وبعدها باء موحدة مفتوحة مشددة، وبعدها تاء مثناه فوقية مضمومة.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ بباء موحدة مفتوحة بعد التاء، وبعدها ياء مثناه تحتية مفتوحة مشددة، وبعدها نون مضمومة(١٦٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

بأنَ الأمر يَبِيْنُ فهو بيِّنٌ، وجاء بائنٌ على الأصل، وأبانَ إِبَانَةً وبيَّن

---

(١٦٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٦.

وتَبَيَّن واستبان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف، والاسم البيانُ[(١٦٩)].

التفسير:

هذه الآية الكريمة تعالج حدثاً اجتماعياً مهماً، وهو عدم الاستعجال في اتهام الناس، والحكم بمجرد سماع خبر عنهم، خاصة إذا كان هذا الخبر من فاسق لا يُؤمَن كذبه، وبَيَّنتْ الآية أن عاقبة الاستعجال، والحكم بدون بيِّنة هي الندم الحقيقي، لأنه قد يُحدث ظلماً للغير.

قال النسفي في بيان هذه الآية: «قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓا﴾ فتوقفوا فيه، تَطَلَّبوا بيان الأمر، وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفاسق؛ لأن من لم يتحامَ جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه. وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لأنا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق، ولخلا التخصيص به عن الفائدة، والفسوق الخروج عن الشيء، فيقال: فسقت الرطبة عن قشرها»[(١٧٠)]. وقال وهبة الزحيلي: «فاطلبوا بيان الحقيقة، وتثبتوا من صحة النبأ قبل ترتيب الآثار عليه، خشية أن تصيبوا قوماً أبرياء بسوء أو مكروه، فتصيروا على ما فعلتم من الخطأ نادمين مغتمين، متمنيين أنه لم يقع»[(١٧١)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

اختلف المفسرون وعلماء القراءات في بيان الفرق بين القراءتين فذهب بعضهم إلى أن كلا القراءتين متقاربتان، وهما بمعنى واحد.

قال الشنقيطي: «ومعنى القراءتين واحد، وهو الأمر بالتأني، وعدم العجلة حتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق»[(١٧٢)]. وقال الزمخشري:

---

(١٦٩) انظر: المصباح المنير ص٤٧.

(١٧٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل م٢ ج٤ ص١٦٨ / وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: تفسير النسفي.

(١٧١) التفسير الوجيز ص٥١٧.

(١٧٢) أضواء البيان ج٥ ص١٦٦.

«والتثبت والتبين متقاربان، وهما طلب الثبات والبيان والتعرف»[١٧٣]. وقال الدكتور محمد محيسن: «وهما متقاربا المعنى»[١٧٤].

وقال آخرون بوجود فرق بيِّنٍ وواضحٍ بين القراءتين. فالتثبت أدق وأوثق وأعمق، وبه تنكشف الحقيقة. فقد يتبيَّن الرجل ولا يثبت، وممن قال بذلك الشوكاني، وابن عاشور وغيرهم ....

قال الشوكاني: «والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»[١٧٥].

وقال ابن عاشور: «والتَّبَيُّن: تطلب البيان، وهو ظهور الأمر، والتثبت التحري، وتطلب الثبات، وهو الصدق»[١٧٦]. وجاء في تفسير الجلالين: (فتبينوا): صدقه من كذبه، وفي قراءة (فتثبتوا) من الثبات[١٧٧].

وعلى هذا فقد أفادت القراءة بالتاء (فتبينوا) على معنى طلب الحقيقة في صحة الخبر، وهي مرحلة دراسة الخبر، والنظر إليه لمعرفة صدقه من كذبه.

أما القراءة بالثاء (فتثبتوا)، فقد أفادت بوجوب المبالغة في البحث والتحري، حتى نصل إلى درجة التثبت، وهي مرحلة القطع، وإقامة الدليل الثابت على ما نقول أو يقولون، وكلمة تثبتوا هي من الثبات وعدم التغير. قال ابن منظور: «ويقال: ثَبَتَ فلانٌ في المكان يَثْبُتُ ثُبُوْتاً فهو ثابتٌ إذا أقام به. وقال أيضاً: وأثبت حجته: أقامها وأوضحها»[١٧٨].

---

(١٧٣) تفسير الكشاف ج٤ ص٨.

(١٧٤) المستنير ج٣ ص١١٧.

(١٧٥) فتح القدير ج٥ ص٧٣.

(١٧٦) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٢٣١.

(١٧٧) انظر: تفسير الجلالين ص٤٩٠ ومعه المصحف الشريف.

(١٧٨) لسان العرب ج٢ ص١٩ ـ ٢٠.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلتا على وجوب عدم التعجل في الحكم، وطلب التمهل والاستيضاح، إلا أن القراءة بالثاء زادت في أن هذا التمهل، والاستيضاح يجب أن يصل إلى مرحلة التثبت من صحة الخبر أو عدمه بالدليل القاطع، فالخبر الذي يَرِدُ إلينا من الفاسق نستقبله بالتفحص والنظر فيه ونقوم بدراسته والاستفسار عن صدقه أو كذبه، هذا على قراءة (فتبينوا)، ومن ثم لا بد أن ننظر في تلك المعلومات التي حصلنا عليها عبر تلك الدراسة والفحص بتمهل وأناة، ونقوم بالربط بين مجريات الأمور والشواهد؛ لتتضح لنا حقيقة الخبر بشكل جليّ وواضح، واثبات ذلك بالدليل، وهذا على قراءة (فتثبتوا)، وهي مرحلة الحكم على الخبر.

٤ ـ **قال تعالى:** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان والمكي والبصري ورويس ﴿تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ﴾ بتسهيل الهمزة الثانية.

٢ ـ وقرأها الباقون بالتحقيق، أي بتحقيق الهمزة الثانية[١٧٩].

المعنى اللغوي للقراءتين:

فاء يفيء فيئاً: رجع، وأفاءه غيرُهُ: رجَعَهُ[١٨٠]. وتطلق ويراد بها صرف الشيء عن وجهه، فالإفاءة والإستفاءة التَحوُّل[١٨١].

---

(١٧٩) انظر: البدور الزاهرة ٣٧٦.

(١٨٠) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٨٤.

(١٨١) انظر: القاموس المحيط ص٤٦.

التفسير:

يتحدث الله ﷻ في هذه الآية عن قضية الخصام والقتال، الذي قد يحدث بين طوائف المؤمنين، وكيف يكون العلاج والتصرف في مثل هذه المسألة إن حدثت.

فقال الطبري في شرح هذه الآية: «وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل، فإن أَبَتْ إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله تعالى، وتعدَّت ما جعل الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما، فقاتلوا التي تتعدّى حتى ترجع على حكم الله؛ فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياها إلى الرضا بحكم الله فأصلحوا بين الطائفتين بالعدل»(١٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

الواضح أن كلا القراءتين بمعنى واحد، وهي من اللغات العربية، وهذا التسهيل في الهمزة الثانية ليس له علاقة في المعنى، ولم يغير من معنى الكلمة شيئاً، والله أعلم.

٥ ـ **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (إِخْوتِكم) بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة على التثنية(١٨٣).

(١٨٢) جامع البيان ج٩ ص٧٥٣٢، ٧٥٣٣ (بتصرف).

(١٨٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الأخ أصله أَخَوٌ بفتح الخاء؛ لأنه جُمِع على آخاءٍ، مثل آباءٍ والذاهب منه واو؛ لأنك تقول في التثنية: أَخَوان، وبعض العرب يقول أَخَان على النقص، ويجمع أيضاً على إِخْوان، مثل: خرَبَ وخِربانٍ. وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء والإخوة في الولادة[١٨٤].

التفسير:

وفي هذه الآية يُذَكِّر الله ﷻ المؤمنين بأنهم إخوة متحابون وما كان ينبغي لهم أن يتقاتلوا، أما وقد وقع القتال بينهم، فيجب على المؤمنين أن يبادروا بالإصلاح بين المتخاصمين، ثم يذكر الله ﷻ الجميع بضرورة تقواه، وإتباع أوامره، واجتناب نواهيه حتى يفوزوا برحمته ورضوانه.

قال الصابوني: «ليس المؤمنون إلا أخوة، جمعتهم رابطة الإيمان، فلا ينبغي أن تكون بينهم عداوة ولا شحناء ولا تباغض ولا تقاتل. وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ أي فأصلحوا بين إخوانكم المؤمنين، ولا تتركوا الفرقة تدبُّ، والبغضاء تعمل عملها»[١٨٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ في بيان أن أقل عدد يقع بينه القتال والنزاع هو اثنان فصاعداً. قال ابن عطية: «وقرأ الجمهور من القراء ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾؛ وذلك رعاية لحال أقل عدد يقع فيه القتال والتشاجر»[١٨٦]. وقال البيضاوي: «وخص الاثنين بالذكر؛ لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق»[١٨٧]

---

(١٨٤) انظر: مختار الصحاح ص١٥.

(١٨٥) صفوة التفاسير ج٣ ص٢١٧ (بتصرف).

(١٨٦) المحرر الوجيز ج٥ ص١٤٨.

(١٨٧) تفسير البيضاوي ج١ ص٢١٦.

وقال بذلك أيضاً الشيخ أحمد البنا[١٨٨]. وقال أبو السعود: «القراءة بالتثنية وتخصيصها بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية؛ لتضاعف الفتنة والفساد الناتج عنه»[١٨٩].

وأما القراءة بالتاء فهي جمع أخ، باعتبار أن كل فرد من الطائفتين كالأخ.

ويرى الباحث: أن في ذلك إشارة وتنبيهاً للمصلحين بأن يقفوا من كِلا المتخاصمين موقفاً حقاً عدلاً، ولا يحابون طرفاً على الآخر، ولا يظلمون، وذلك لأن كل فرد من هؤلاء الأفراد المتقاتلين هو أخ لكم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخبرنا الله ﷻ بأن الإصلاح بين المتقاتلين واجب، وبأن كل فرد من هؤلاء المتقاتلين من المسلمين هو أخ لكم. كذلك وإذا كان الإصلاح بين الاثنين واجباً، فهو أوجب وألزم في حالة وقوع القتال بين أكثر من هذا العدد؛ لذلك لتضاعف الفساد والفتنة التي قد تنتج عن ذلك الاقتتال.

٦ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟﴾

١ ـ قرأ يعقوب (ولا تَلمُزوا) بضم الميم.

(١٨٨) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٦.

(١٨٩) تفسير أبو السعود ج٦ ص١١٦ (بتصرف).

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ﴾ بكسرها[١٩٠].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾

١ ـ قرأ البزي وصلاً (ولآ تّنابزوا) بتشديد التاء مع المد المشبع.

٢ ـ والآخرون ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾ بدون مد ولا تشديد[١٩١].

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾

١ ـ قرأ البصري والكسائي وخلاد بخلف عنه (يتب فأولئك) بإدغام الباء في الفاء.

٢ ـ وقرأ الآخرون بدون إدغام[١٩٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ تلمزوا: اللَّمْزُ هو العيب، وأصله الإشارة بالعين ونحوها، وقد لَمَزَهُ يَلْمُزُهُ ويَلْمِزُهُ لَمْزاً.

ورجلٌ لمَّازٌ ولُمَزَةٌ أي عيَّابٌ. ويقال أيضاً لَمَزَهُ يَلْمِزه لَمْزاً إذا ضربه ودَفَعَه[١٩٣].

ب ـ تنابزوا: النَّبَزُ بالتحريك اللَّقَبُ، والجمع الأَنْباز، والنَّبْزُ بالتسكين المصدرُ تقول: نَبَزَهُ يَنْبِزُه نَبْزاً أي لَقَّبه، والاسم النَّبَزُ كالنَّزَبِ. وفلا يُنَبِّزُ بالصِّبْيان أَي يُلَقِّبُهم شدِّد للكثرة. وتَنابَزُوا بالأَلقاب أَي لَقَّبَ بعضهم بعضاً. والتَّنابُزُ: التداعي بالأَلقاب، وهو يكثر فيما كان ذمّاً[١٩٤].

---

(١٩٠) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٨٩.

(١٩١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٦.

(١٩٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٧.

(١٩٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٦٢.

(١٩٤) انظر: لسان العرب ج٥ ص٤١٣.

ج ـ ومن لم يتب: تاب إلى الله تَوْباً وتوبةً ومتاباً وتابةً وتَتْوِبَةً: رَجَعَ عن المعصِيَةِ، وهو تائبٌ وتوَّابٌ[195].

التفسير:

قال الإمام سيد قطب رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدي القرآن، مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمسّ، وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس؛ لأن الجماعة كلها واحدة، كرامتها واحدة. والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وينهاهم بأن يسخر قوم من قوم، أي رجال برجال فلعلهم خير منهم عند الله، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن في ميزان الله تعالى، ومن السخرية اللمز والتنابز بالألقاب الذي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعيباً، ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به ومن أدب المؤمن أن لا يؤذي أخاه بمثل هذا»[196]. قال الفرَّاء: «وكان الرجل يقول للرجل من اليهود وقد أسلم: يا يهودي فنُهُوا عن ذلك»[197].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓا۟﴾

لم يفرق العديد من العلماء بين القراءتين: فقال السمرقندي: «وقرأ بعضهم ولا تلمزوا بضم الميم، وقرأت العامة بالكسر وهما لغتان»[198]. وقال أبو منصور: «هما لغتان لَمَزَهُ يَلْمِزُهُ ويَلْمُزُه إذا عابه باليد أو بالعين أو باللسان أو الإشارة»[199]. وذهب إلى ذلك أيضاً الشيخ أحمد البنا

(١٩٥) انظر: القاموس المحيط ص٥٩.
(١٩٦) الظلال ج٦ ص٣٣٤٤ (بتصرف).
(١٩٧) معاني القرآن ج٣ ص٧٢.
(١٩٨) بحر العلوم ج٣ ص٣١١.
(١٩٩) معاني القراءات ج٣ ص٢٥.

وغيره[٢٠٠].

إلا أن الناظر إلى القراءة بالضم لا يمكن أن يغفل الفعل الذي تقوم به هذه الحركة، حيث إنها من أثقل وأقوى الحركات، وإذا كانت هذه الكلمة كما قال سيد قطب: «فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية»[٢٠١]. فإنها تكون على القراءة بالضم ضربة بمطرقة شديدة، لما في الضم من القوة والثقل، فكيف إذا علمنا أن هذه الكلمة اشتملت على ضمتين متلاحقتين وواو، وتم بيان أثر حركة الضم على المعنى سابقاً[٢٠٢].

وعلى هذا فإن القراءة بالكسر، قد بيَّنت عدم جواز لمز المسلم لأخيه المسلم.

أما القراءة بالضم، فقد بيَّنت عِظَم جُرم هذه الفعلة الشنيعة، وأظهرت كذلك عظم ثقلها، وقوة تأثيرها على من وقعت عليه، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يأمرنا الله ﷻ بعدم لمز المؤمن لأخيه المؤمن، وإن هذا اللمز هو صعب وثقيل على نفس المؤمن، وهو من الأفعال الشنيعة القوية التأثير في نفس الملموز.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾

أفادت القراءة بدون تشديد التاء وعدم المد المشبع في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾، على منع جواز التنابز بالألقاب، وهو أن يدعو المرء صاحبه بلقب يسوءه[٢٠٣].

وأما القراءة بتشديد التاء ومد الألف بالإشباع، فقد دلّ على المبالغة

(٢٠٠) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٦.

(٢٠١) الظلال ج٦ ص٣٣٤٤.

(٢٠٢) انظر: ص٢٢.

(٢٠٣) انظر: نظم الدرر ج٧ ص٢٣٣.

في النهي عن ارتكاب مثل هذه المعصية، وفيه دلالة على قوة حجم الفساد الذي تحدثه هذه التصرفات، وثقله على نفوس المؤمنين. ودل على ذلك طول المد الذي وقع في (لا) الناهية وإشباعه، والإدغام والتشديد في التاء؛ والإنسان وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَّنَابَزُواْ﴾ بالمد والإدغام، فهو يسرح بفكره مع طول المد، ويبدأ يستعرض أمام عينيه كبر هذه المعصية والآثار التي تخلفها، وما إن ينتهي القارىء من طول مده حتى تنتهي معه كل إمارة سوء، وشهوة نفس؛ لأن النهي كان طويلاً وكبيراً وزاجراً. ومن المعروف بأن طول المد يؤثر بشكل كبير في المعنى، لذلك قرأ حفص بمد طويل في قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩]، فمد الصلة في كلمة (فيه) بإشباع على خلاف القاعدة، وذلك تشنيعاً له بحال العاصي. يقول الدكتور عبد الرحمن الجمل: «فإنها وقعت بين ساكن ومتحرك، ومع هذا فقد قرأها حفص بالصلة، وذلك تشنيعاً بحال العاصي»[٢٠٤].

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين في كلمة ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾ أفادتا منع جواز دعوة المرء لصاحبه بلقب يسوءه.

إلا أن القراءة بالمد المشبع في الألف وتشديد التاء، دلت على المبالغة في النهي عن التنابز بالألقاب، ودليل ذلك طول المد وإشباعه في قوله: ﴿وَلَا تَّنَابَزُواْ﴾.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾

إن القراءة بدون إدغام الباء مع الفاء تدل على الإشارة إلى الذين لم يقلعوا عن هذه الأفعال بأنهم ظالمون لأنفسهم، ومعتدون على حق غيرهم.

بينما أفادت القراءة بإدغام الباء مع الفاء سرعة الإشارة لهؤلاء الناس

(٢٠٤) التيسير في علم التجويد للدكتور عبد الرحمن الجمل ص٨٣.

بهذا الحكم، وهو الظلم، وسرعة التعقيب هنا فيها إشارة إلى هؤلاء الناس بضرورة الإسراع في التوبة.

فإذا كانت الفاء كما هو معروف في اللغة للترتيب والتعقيب كما في القراءة بدون إدغام، فهي هنا في القراءة بالإدغام أشد سرعة في التعقيب، ويشعر القارئ وكأن الحروف تسابق بعضها بعضاً للوصول إلى سرعة الإشارة لهؤلاء الناس ووصفهم بالظلم، لدرجة أن القارئ لا يكاد ينطق بحرفين اثنين من كلمة (يتب) حتى يجد الفاء قد أطلت عليه مقتحمة تلك الكلمة، ومسرعة بالإشارة وإصدار الحكم على هؤلاء المعتدين؛ وفي ذلك إشارة إلى أن الأصل الإسراع في التوبة، وترك هذه الصفات المشينة فوراً؛ لأن رفض الاستجابة أو تأخيرها هو ظلم ومهلكة للنفس. وفي هذا تهديدٌ لهم.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا بوقوع الإنذار لهؤلاء الناس، وتهديدهم بأنهم سينطبق عليهم وصف الظلم، وسيتلبسون به إذا لم يسارعوا في التوبة، ولكن القراءة بالإدغام زادت معنىً آخر، وهو سرعة الحكم عليهم بالظلم وسرعة تلبسهم به في حال عدم توبتهم. وهذا يدل على أن التهديد في هذه القراءة أقوى وأسرع وأثقل على نفوسهم، وفيه إشارة إلى ضرورة الإسراع بالتوبة، ليسبقوا إلى النجاة قبل أن يسبق إليهم نتيجة الظلم، وهي العقاب من الله تعالى والله تعالى أعلم.

٤ ـ **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾

١ ـ قرأها البزي وصلاً (ولآ تَّجسسوا) بتشديد التاء مع المد المشبع.

٢ ـ وقرأها الباقون (ولا تَجَسسوا) بدون مد ولا تشديد[٢٠٥].

ب ـ قوله تعالى: ﴿مَيۡتٗا﴾

١ ـ قرأها نافع (ميِّتاً) بتشديد الياء وكسرها.

٢ ـ وقرأها الباقون (ميْتاً) بإسكانها[٢٠٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ تجسسوا: الجَسُّ المَسُّ باليد كالإجتساس، وموضعه المَجَسَّةُ وتَفَحُّصُ الأخبارِ كالتَجَسُّسِ، ومنه الجاسوس. وجسه بعينه أي أحد النظر إليه لِيَسْتَبِت[٢٠٧].

ب ـ ميتا: الموتُ ضدُّ الحياة، وقد مات يموت وتَمَاْتُ أيضاً. فهو ميِّتٌ ومَيْتٌ. وقوم مَوْتَى وأمواتٌ. ومَيِّتُون ومَيْتُون[٢٠٨].

التفسير:

فأما هذه الآية فتقيم سياجاً آخرَ في هذا المجتمع الفاضل الكريم حول حرمات الأشخاص وكرامتهم وحرياتهم، بينما هي تعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم في أسلوب مؤثر عجيب[٢٠٩]. وفي هذه الآية أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بأن يبتعدوا عن التهمة، والتخون، وإساءة الظن بالأهل والناس، وأمرهم كذلك بأن لا يبحثوا عن عورات المسلمين، ولا يتبعوا معايبهم، وأن لا يطلعوا على معايبهم وسرِّهم، ونهاهم عن الغيبة، وبيَّن لهم كيف تكون شناعتها وقبحها، فهي كأكل لحم أخيه ميتاً، ثم أمرهم ﷻ

---

(٢٠٥) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٦.

(٢٠٦) انظر: التذكرة ج٢ ص٦٨٩.

(٢٠٧) انظر: القاموس المحيط ص٤٨٢.

(٢٠٨) انظر: الصحاح في اللغة ص١١٢٢.

(٢٠٩) انظر: الظلال ج٦ ص٣٣٤٥.

بأن يتقوه ويخافوه، ويحذروا عقابه، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه[٢١٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾

أفادت القراءة بدون مد ولا إدغام؛ لبيان حرمة فعل التجسس على المسلمين، بينما أفادت القراءة بالمد والإدغام، بمعنى بيان شدة النهي عن هذا الفعل، لما له من أثر بالغ يؤدي إلى فساد عظيم في النسيج المجتمعي، ويسبب ألماً شديداً في النفس المسلمة عموماً، ولقد تم الإسهاب في شرح الفرق بين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾ في الآية السابقة. فالقول فيها مثل القول في هذه الآية تماماً، إلا أن النهي هنا هو عن التجسس وتتبع عورات المسلمين، والنهي هناك عن التنابز[٢١١].

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا منع تجسس المسلمين بعضهم على بعض، إلا أن القراءة بالمد في الألف وتشديد التاء أظهرت مدى المبالغة في المنع، والشدة في تحريم ذلك الفعل.

ب ـ قوله تعالى: ﴿مَيْتًا﴾

القليل من علماء التفسير والقراءات من علَّق على القراءات في هذه الكلمة، واعتبروا أن لا فرق بين القراءتين.

قال الطبري: «وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى»[٢١٢]. وقال أبو منصور: «الميِّت والميْتَ واحد وهما مثل هيِّن وهيْن وليِّن وليْن»[٢١٣]. وقال

(٢١٠) انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور ج٦ ص١٠٠، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢١٨.
(٢١١) للاستزادة انظر: ص٦٧.
(٢١٢) جامع البيان ج٩ ص٧٥٤٥، ٧٥٤٦.
(٢١٣) معاني القراءات ج٣ ص٢٥.

الإمام أبو زرعة: «وهما لغتان، الأصل التشديد، ومن خفف استثقل التشديد فحذف الياء»[٢١٤].

ولكن الناظر إلى القراءة بالتشديد يجد أن الكلمة فيها ثقل وزيادة في مبنى الكلمة، وذلك لأن حرف الياء أصبح مشدداً، فأصبح عندنا ياء أخرى مدغمة في الياء الثانية.

ومن دلائل التشديد أنه يدل على المبالغة في الشيء. قال محمد الحسيني: «أمات الله الشيء وموَّته بالتشديد للمبالغة»[٢١٥]. وعلى هذا فالقراءة بالتشديد تفيد المبالغة والتأكيد.

ولما كان الموت يطلق ويراد به الكثير من المعاني، ومنها النوم، قال تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال رسول الله ﷺ في الدعاء «**الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور**»[٢١٦]، فإن القراءة بالتشديد جاءت لتؤكد بأن المقصود في المثل المضروب هو الموت الحقيقي، حتى لا يذهب الناس من شدة استغرابهم واستهجانهم، مذاهب في تفسير قوله: (ميتا) لأن النفس لا تقبل أبداً أكل الميتة من اللحم الذي يؤكل عادة مثل: البقر والغنم، وغيره فكيف تقبل أن تأكله من لحم الأخ الميت، فجاءت القراءة بالتشديد، لتقطع عليهم أفكارهم وظنونهم، ولتؤكد بأن المقصود هو الموت الحقيقي.

هذا من جانب، وأما من الجانب الآخر: فلو قال قائل بعدم إمكانية حدوث اللبس في تفسير معنى الموت عند القراءة بالتخفيف، فالقراءة بالتخفيف واضحة الدلالة على الموت الحقيقي ولا مجال للظن، فعلى هذا الإعتبار لو سلَّمْنا به، تكون القراءة بالتشديد قد أضافت معنى جديداً، وهو

---

(٢١٤) حجة القراءات ص٦٧٧.

(٢١٥) تاج العروس ج٥ ص١٠٨.

(٢١٦) صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب ما يقول إذا نام (ج٨ ص٦٩ رقم الحديث ٦٣١٢)، وصحيح مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (ج٤ ص٢٠٨٣) .

المبالغة في الموت، والمبالغة في الموت تدل على أن هذا الميت قد مات منذ زمن، وهذا يستوجب تحلله وفساد لحمه؛ فإذا كان أكل لحم الميت منكراً ومكروهاً، وإن كان هذا الميت قد مات حديثاً فإن أكله وهو فاسد أشد قبحاً ونكراناً.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا بأن الغيبة كأكل لحم الأخ الميت. والمقصود بالموت هو على حقيقته، والتشديد للمبالغة. والقراءة بالتشديد التي هي للمبالغة في الفعل تبيّن بأن المقصود هو الموت الحقيقي، وتشعر أيضاً بقدم موته، وفساد لحمه؛ لتظهر حجم الشناعة والكراهة في أكله، والله تعالى أعلى وأعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ البزي (لتّعارفوا) بتشديد التاء وصلاً ووقفاً.

٢ ـ وقرأها غيره ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ بالتخفيف[٢١٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً وعِرفاناً وعِرْفَةً بالكسر، وعِرِفَّاناً بكسرتين ومشددة الفاء عَلِمَه فهو عارِفٌ وعَرِيفٌ وعَرُوفَةٌ[٢١٨].

(٢١٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٦.

(٢١٨) انظر: القاموس المحيط ص٧٥٢.

التفسير:

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوباً، وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أُخر، كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك»(٢١٩).

وقال الصابوني: «أي وجعلناكم شعوباً شتى وقبائل متعددة؛ ليحصل بينكم التعارف والتآلف لا التناحر والتخالف، والتفاضل بين الناس ليس بالأنساب والأحساب، ولكن بالإيمان والتقوى. فمن أراد شرفاً في الدنيا، ومنزلةً في الآخرة، فليتق الله تعالى، والله ﷻ عليم بالعباد، مطلع على ظواهرهم وبواطنهم، يعلم التقي والشقي، والصالح والطالح»(٢٢٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قال الشوكاني: «قرأ الجمهور بتخفيف التاء وأصله (لتتعارفوا) فحذفت إحدى التاءين. وقرأ البزي بتشديدها على الإدغام»(٢٢١). وذهب إلى ذلك أبو السعود(٢٢٢).

وعليه فإذا كانت القراءة بالتخفيف أصلها (لتتعارفوا) وحذفت التاء للتخفيف، فإن القراءة بالتشديد جاءت لتدل على وجود هذه التاء المحذوفة؛ لأن التشديد هو عبارة عن حرفين مدغمين؛ والتشديد معروف أنه في حرف التاء؛ فأصبح عندنا تاءان.

وبهذا يتضح بأن الهدف من القراءة بالتشديد هو كشف الستار عن

(٢١٩) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٣٢ (بتصرف).
(٢٢٠) صفوة التفاسير ج٣ ص٢١٩ ـ ٢٢٠ (بتصرف).
(٢٢١) فتح القدير ج٥ ص٨٢.
(٢٢٢) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١١٩.

كلمة (لتعارفوا)، وبيان أنها على الأصل تكون بتاءين، ولكن حذفت إحداهما للتخفيف، والله أعلم.

وهذا فنّ جديدٌ من فنون القراءات القرآنية، فالقراءات القرآنية لا تأتي فقط للدلالة على بيان المعاني وتفسيرها، بل إن فوائدها أعم وأشمل، وها هي تأتي لتدل على أصل الكلمة، وبيان ما حُذِفَ منها.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، نستطيع أن نتعرف على أصل كلمة (لتعارفوا) وبيان ما حذف منها من أحرف، ومثل ذلك: حرف التاء الذي حُذف من كلمة (لتعارفوا) ؛ لأن أصلها (لتتعارفوا) فجاءت القراءة الثانية لتدل على أصل الكلمة، والله تعالى أعلم.

٦ ـ **قال تعالى:** ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤].

القراءات:

١ ـ قرأ البصريان (يألتكم) بهمزة ساكنة بين الياء واللام، ويبدلها أبو عمرو على أصله في الهمز الساكن.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يَلِتْكُم﴾ بكسر اللام من غير همز[٢٢٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

وألَتَه ماله وحقه يَألِتُه ألْتاً من حَدّ ضَرَب: المعنى نقصه، وألَتَه عن وجهه حبسه وصرفه[٢٢٤].

(٢٢٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦.

(٢٢٤) انظر: تاج العروس ج١ ص٥٢٢.

التفسير:

هذه الآية الكريمة تظهر أن هؤلاء الأعراب الذين ذكرهم الله تعالى لم يكونوا مؤمنين، ولكنهم دخلوا في الإسلام مخافة القتل والسلب؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ أي استسلمنا مخافة القتل فأظهرنا إسلامنا. ثم دعاهم الله تعالى إلى الإخلاص في الإيمان والتوحيد، وبيّن لهم أنهم إن فعلوا ذلك طاعة لله ورسوله فإن الله تعالى سيحتسب لهم أجرهم، ولن ينقص منه شيئاً.

وقد نزلت هذه الآية في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين، ولكنهم في الحقيقة لم يكونوا مؤمنين، فعاثوا في طرق المدينة فساداً بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وجعلوا يمنّون على رسول الله ﷺ، يقولون: أتيناك بالأثقال والعيال، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، أو هي نزلت في أعراب أرادوا أن يَتَسَمُّوا بإسم الهجرة قبل أن يهاجروا؛ فأعلم الله أن لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين، وقيل: غير ذلك، والآية خاصة لبعض الأعراب، وليس لجميعهم؛ لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر»[٢٢٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ذهب كلٌ من علماء التفسير والقراءات إلى عدم التفريق بين القراءتين.

قال ابن عادل: «هما لغتان لا ينقصكم. فالأولى لغة غطفان وأسد، والثانية لغة الحجاز»[٢٢٦].

وقال مصطفى الرافعي: «قوله تعالى: ﴿لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ﴾ أي لا ينقصكم بلغة بني عبس»[٢٢٧].

(٢٢٥) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢٢٦) انظر: اللباب /دار الكتب العلمية/ ج١٧ ص٥٥٨.

(٢٢٧) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٥٤.

وقال السمرقندي: «ومعناها واحد. يقال لاته يلته وألته يألته إذا أنقص حقه»[٢٢٨].

وإلى نحو ذلك أيضاً ذهب جمهرة من علماء القراءات منهم: الإمام ابن خالويه[٢٢٩]، والشيخ الكرماني[٢٣٠].

أما الطبري فله قول آخر، وهو أنه صوَّب القراءة بدون همز. فقال: «والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قراء المدينة والكوفة (لا يلتكم) بغير ألف ولا همز»[٢٣١].

ولعله لم يكن موفقاً في ذلك، لأنه بهذا القول ينكر أو يُضَعِّف قراءة صحيحة ثابتة، وهذا لا يجوز، لمجرد أنه لا يستصيغها؛ لأنها قراءة توقيفية صحيحة.

وخلاصة القول: أن كلا القراءتين بمعنى لا ينقصكم هذا صحيح، إلا أن القراءة بالألف والهمز (يألتكم) فيها زيادة في مبنى الكلمة، كذلك لا يخفى علينا كم فيها من الثقل والشدة في النطق، بينما القراءة بدون ألف وهمز (يلتكم) أقل في المبنى، وأسهل في النطق. وقد ذكر الماوردي: بأن يألتكم أكثر وأبلغ من يلتكم[٢٣٢].

وعلى ذلك: فقد أفادت القراءة بدون ألف وهمز على معنى أن الله تعالى لن ينقصكم أعمالكم.

أما القراءة بإثبات الألف مع الهمز، فإن فيها قوة وثقلاً ومبالغة، وهذه القوة وهذا الثقل في النطق مع الهمز يشعر بالمنازعة، والأخذ بالقوة، ويكون المعنى على هذه القراءة: أن الله تعالى لن يأخذ منكم حقكم، ولن

(٢٢٨) بحر العلوم ج٣ ص٢٦٧.

(٢٢٩) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٣٣٠، ٣٣١.

(٢٣٠) انظر: مفاتيح الأغاني ص٣٧٩، ٣٨٠.

(٢٣١) جامع البيان ج٩ ص٧٥٥٢.

(٢٣٢) انظر: النكت والعيون ج٥ ص٣٣٨.

ينازعكم فيه، وفي هذا إشارة بثبوت هذا الحق، والأجر لهم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبر الله ﷻ بأنه لن ينقص هؤلاء الناس أجورهم وأعمالهم، ولن ينازعهم في احتساب أجرهم لهم، ويطمئنهم بثبوته لهم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحجرات: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ المكي (بما يعملون) بالياء على الغيب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب[٢٣٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

العمل هو حركة البدن بكلِّه أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس، فهو إحداث أمر، قولاً كان أو فعلاً، بالجارحة أو القلب، ولكن الأسبق للفهم اختصاصه بالجارحة، وخصه البعض بما لا يكون قولاً، وقد تم بيانها سابقاً عند تفسير سورة الفتح[٢٣٤].

التفسير:

بعد هذا العرض القرآني الطويل من أوامر ونواهي، وتحذيرات وإرشادات اجتماعية وإيمانية. ختم الله ﷻ هذه السورة بِمُسَلَّمَة وقاعدة إيمانية عريضة، وهي أنه ﷻ مطلع على كل شيء وبصير بكل شيء، بما في ذلك ما تقومون به من أعمال، وفي ذلك إشارة إليهم بأن الله تعالى مراقب لتصرفاتهم وأفعالهم، ويعلم مدى استجابتهم لأوامره.

---

(٢٣٣) انظر: غيث النفع ص٤٩٥.
(٢٣٤) انظر: ص٣٦.

قال سيد قطب: «والذي يعلم غيب السموات والأرض، يعلم غيب النفوس، ومكنون الضمائر وحقائق الشعور، ويبصر بما يعمله الناس، فلا يستمد علمه بهم من كلمات تقولها ألسنتهم، ولكن من مشاعر تجيش في قلوبهم، وأعمال تصدق ما يجيش في القلوب»[٢٣٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قال ابن عاشور: «قرأ الجمهور ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بتاء الخطاب، وقرأه ابن كثير بياء الغيبة»[٢٣٦]. وقال البيضاوي: «وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية من الغيبة»[٢٣٧]. وقال ابن خالويه: «إجماع القراء على التاء خطاباً للحاضرين، إلا ابن كثير فإنه قرأه بالياء على معنى الغيبة»[٢٣٨].

وعلى هذا فإن القراءة بالياء على الغيب، أما القراءة بالتاء فهي خطابٌ للحاضر، فإن قال قائل وهل بينهما فرق في المعنى؟ كانت الإجابة بنعم؛ وذلك لأن القراءة بالتاء على الحاضر أسرع في التلقي، وأشد في الزجر والردع، وأكثر تأثيراً، حيث يتوجه الله لهم بالخطاب مباشرة، وكأنهم يقفون لحظة الخطاب بين يدي الله تعالى، ومثل هذا الشعور معروف كيف يفعل فعله في الحالة النفسية لدى هؤلاء. ومما يؤيد هذا القول ما قاله الدكتور محمد عيسى وذلك في توجيهه لمثل هذه القراءات في سورة البقرة فقال: «فالقراءة فيها بالياء لتناسب الكلام السابق، والقراءة فيها بالتاء فهي خطاب، وهذا التفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن فوائده التنبيه؛ وذلك ليكون أوقع في النفس، وأكثر إثارة وتأثيراً، ولكن يبقى أن لكل موطن نكتاً يختص بها يميزه عن غيره من المواطن، وذلك يختلف باختلاف سياق الآية»[٢٣٩].

---

(٢٣٥) انظر: الظلال ج٦ ص٣٣٥٤.

(٢٣٦) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٢٧١.

(٢٣٧) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٢٢.

(٢٣٨) الحجة في القراءات السبع ٣٣١.

(٢٣٩) أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي / د. محمد عيسى - ص١١٤ - دار السلام - ط الأولى.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يُظهر لنا القرآن الكريم جانباً من أسراره البلاغية، التي تفعل فعلها في النفوس، ويرسم لنا صوراً، ويخط لنا ألواناً في كيفية التنوع في الخطاب الذي يلامس الحس والوجدان، فان كانت القراءة على الغيب تنذر الناس، وتخبرهم بأن الله تعالى يراقبهم، فإن القراءة على الخطاب أشد إنذاراً، وأكثر تأثيراً على النفس، وأبلغ في الزجر والردع.

تمت سورة الحجرات بحمد الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة «ق»
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وآياتها خمس وأربعون، تعمل على علاج أصول العقيدة، ولكن الموضوع الذي دارت حوله، وتناولته بإسهاب، وعالجته بالحجة والبرهان الناصع، هو موضوع البعث والنشور[(٢٤٠)].

الموضوع العام للسورة:

إن المحور المركزي لهذه السورة، هو موضوع البعث والنشور. فابتدأت السورة بالحديث عن قصة الحياة بعد الموت والبعث بعد الفناء، ثم لفتت الأنظار إلى عظم قدرة الله تعالى المتجلية في الكون بجميع تفاصيله، في السماء وفي الأرض، وما به من ماء ونبات وثمر وطلع ونخيل وزرع، لتدلل على عظمة هذه القدرة وقوتها.

وبعد أن تحدثت السورة عن البعث، وبيَّنت بالدليل القاطع قدرة الله تعالى على ذلك، حذرت المكذِّبين من كفار مكة بأن يحدث لهم كما حدث مع الأمم السالفة، من عذاب وكوارث بسبب تكذيبهم.

(٢٤٠) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص١٥٢، وروح المعاني ج١٣ ص٣٢١.

وبعد ذلك ذكَّرت السورة الأمة البشرية بمواقف صعبة للغاية لا حول للإنسان بها، ولا قوة وهي سكرات الموت والنشر والحساب، ثم ساقت لنا صورة من هذه الصور، وهي كيفية البعث التي تبدأ بصيحة الحق، التي تخرج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر(٢٤١).

١ ـ قال تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: ٣].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿أَءِذَا﴾

١ ـ قرأ قالون والبصري وأبو جعفر (أئذا) بتسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال(٢٤٢).

٢ ـ وقرأ ورش ومكي ورويس بتسهيلها من غير إدخال.

٣ ـ وقرأها الباقون بتحقيق الهمز من غير إدخال إلا هشاماً فله الإدخال وعدمه(٢٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ **أئذا**: إذا اسم يدلُّ على زمان مستقبل، ولم تستعمَل إلا مضافة إلى جملة. تقول: أجيئك إذا احْمَّر البُسْر وإذا قَدم فلان، والدليل على أنها اسم وقوعها موقع قولك: آتيك يوم يَقْدُم فلان، وهي ظرف وفيها مُجَازاة؛ لأَنَّ جزاء الشرط ثلاثة أشياء: أحدها: الفعل، كقولك: إن تأتِني آتِك. الثاني: الفاء، كقولك: إن تأتني فأنَا مُحسن إليك، والثالث: إذا، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]. وتكون للشيء توافقه في حالٍ أنت فيها نحو قولك: خرجت فإذا زيد قائم،

(٢٤١) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٢٣.
(٢٤٢) أي مع إدخال ألف بين الهمزتين.
(٢٤٣) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٨، غيث النفع ص٤٩٦.

المعنى: خرجت ففاجأني زيد في الوقت بقيام[٢٤٤].

٢ ـ متنا: الموت ضد الحياة، وقد مات يموت وتَمَاْتُ أيضاً فهو ميِّتٌ ومَيْتٌ. وقوم موْتَى وأموات. وقد سبق تعريفها عند تفسير سورة الحجرات[٢٤٥].

التفسير:

هذه الآية تظهر مدى إنكار هؤلاء الكفار ليوم البعث، لدرجة أنهم يستغربون، ويستبعدون أن يعيدهم الله تعالى كما كانوا بعد أن يبلوا، وتذهب أجسادهم.

بمعنى أنهم يقولون: أئذا متنا وبلينا، وتقطعت الأوصال منَّا، وصرنا تراباً كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية وهذا التركيب؟ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ أي بعيد الوقوع، فهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه[٢٤٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ أئذا

أفادت القراءة بتحقيق الهمزتين أو تحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية، بأن الكفار مستغربون ومتعجبون، بل ومنكرون لهذه العملية، وهي إعادة الأجساد إلى ما كانت عليه قبل الموت بعد أن تبلى وتفنى.

قال الألوسي: «﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ تقرير للتعجب وتأكيد للإنكار أو لبيان موضع تعجبهم»[٢٤٧].

---

(٢٤٤) انظر: مختار الصحاح ص١٧.

(٢٤٥) انظر: عند تفسير سورة الحجرات الآية: ١٣ ص٦٩.

(٢٤٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٣٧.

(٢٤٧) روح المعاني ج١٣ ص٣٢٣.

أما القراءة مع إدخال ألف، فهي تبيّن مدى قوة هذا التعجب، وحجم هذا الاستغراب، وقوة هذا الإنكار، حيث إنهم بلغوا في تعجبهم واستغرابهم مبلغاً انتهى بهم إلى الجحود والإنكار. والدليل على ذلك الزيادة في مبنى الكلمة بألف، والزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وكذلك وجود المد الذي هو للمبالغة.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن هؤلاء الكفار متعجبون ومستغربون، ومنكرون لذلك الرجع. وهذا التعجب والاستغراب قد بلغ في نفوسهم مبلغاً كبيراً حتى وصل بهم إلى درجة الاستهجان، ومن ثم الإنكار.

ب ـ متنا

أفادت القراءة بكسر الميم، بأن الكفار مستغربون ومتعجبون من إعادتهم بعد الموت.

بينما أفادت القراءة بضم الميم، بيان قوة هذا الاستغراب من الإعادة بعد الموت.

وهذا واضح من الضم في كلمة (مُتنا)، وكأنهم يقولون: أئذا مُتنا موتاً ثقيلاً طويلاً لدرجة أننا أصبحنا معه تراباً وعظاماً هل سنعود؟.

وكأنهم يقولون للمؤمنين وللرسول: هل أنتم تدركون ما تقولون ..؟ هل أنتم فعلاً تقصدون الموت الطويل الثقيل هو بعينه الذي سنصبح بعده تراباً وعظاماً، ومن ثم نحن سنعود، هل هذا معقول؟!، والتعبير بضم الميم يدل على ذلك؛ لأن الضمة من أقوى الحركات وأثقلها، فهم مستغربون من الإعادة والبعث أولاً، ثم إنهم مستغربون من عودة الأجساد التي تفنى وتبلى ثانياً.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دَلَّتا على الاستغراب لدى الكفار من الرجعة بعد

الموت، والقراءة بالضم بيَّنت بأن الاستغراب واقع لهم؛ لأنهم لا يصدقون بأن الأجساد تعود بعد الموت الثقيل الطويل الذي تحدث معه ذهاب الأبدان.

٢ ـ **قال تعالى:** ﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (ميّتا) بالتشديد على الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مَّيْتًا﴾ بالتخفيف فيها[٢٤٨].

المعنى اللغوي للقراءتين:

الموت ضد الحياة، وقد مات يموت وتَمَاْتُ أيضاً فهو ميِّتٌ ومَيْتٌ. وقد سبق بيانها عند تفسير سورة الحجرات[٢٤٩].

التفسير:

أي أنبتنا كل ذلك رزقاً للخلق لينتفعوا به، وأحيينا بذلك الماء أرضاً جدبة لا ماء فيها ولا زرع، فأنبتنا فيها الكلأ والعشب[٢٥٠]. قال الدكتور عبد المنعم: «وهلا تأملوا الأرض المترامية الأطراف، المثبتة بالجبال، المستودعة خيراً وركازاً، المنبتة أقواتاً وثماراً، وخضراً ومرعى؟ فإن في تأمل آثار الرحمة، وإتقان الصنعة، ما يرسخ اليقين باقتدار الصانع الحكيم على إحياء المقبورين؛ وما يُذَكِّر بقوة الله تعالى المتين على جمعنا ليوم الدين»[٢٥١].

---

(٢٤٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٨، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٨.

(٢٤٩) انظر: عند تفسير سورة الحجرات الآية: ١٣.

(٢٥٠) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٢٥.

(٢٥١) فتح الرحمن ج٦ ص٣٣٩٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف، بأن الله تعالى قد أحيا بهذا الماء أرضاً جدبة لا نماء فيها(٢٥٢).

أمّا القراءة بالتثقيل والتشديد، فإنها تدلّ على أن هذه الأرض التي أحياها الله، هي أرضٌ بالغةُ الجدب. فالمبالغة والتشديد في القراءة أفادت مبالغة في موت هذه الأرض، لدرجة أن الناظر إليها لا يخطر بباله أن هذه الأرض القاسية الجدباء عديمة النفع ـ لا يخطر بباله أبداً ـ بأن تكون ذات يوم خَضِرة، لها زرع ونباتٌ حسن. وفي هذا بيان لقوة الله تعالى الذي جعل من هذه الأرض المعدومة النفع لشدة موتها، جعل منها أرضاً طيبة ذات زرع وماء وحب وحصاد.

الجمع بين القراءتين:

ويتبيّن من الجمع بين القراءتين، بأن هذه الأرض الميتة التي أحياها الله تعالى ليست أرضاً عادية في موتها، بل هي شديدة الموت، عديمة النفع، أو لربما لم تُنبِت قبل ذلك في يوم من الأيام.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٤].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش (وعيدي) بإثبات الياء في حال الوصل فقط وحذفها وقفاً.

٢ ـ وقرأ يعقوب (وعيدي) بإثباتها في الحالين.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَعِيدِ﴾ بحذفها في الحالين وصلاً ووقفاً(٢٥٣).

(٢٥٢) انظر: روح المعاني ج١٣ ص٣٢٧ (بتصرف).

(٢٥٣) انظر التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩١، والنشر ج٢ ص٢٨٦.

المعنى اللغوي للقراءات:

وعَدَه الأمْرَ، وبه يَعِدُ عِدَةً ووَعْداً ومَوْعِداً ومَوْعِدَةً ومَوْعُوْداً ومَوْعودَةً وخيراً وشراً. فإذا أُسْقِطا قيل في الخير وَعَدَ، وفي الشر أوْعَدَ[(٢٥٤)]. ووعده الأمر منّاه به، وتَوَعَّدَه تهدده، واليوم الموعود هو يوم القيامة[(٢٥٥)].

التفسير:

يُذكِّر الله ﷻ المكذبين ـ الذين ينكرون البعث، ويُصِرُّون على تكذيب رسلهم ـ يذكرهم بمصير الأمم التي جاءت قبلهم، وكذبت رسلها فأهلكهم الله تعالى. وفي هذه الآية بيان بأن مصير هؤلاء المنكرين والمكذبين للنبي ﷺ سيكون مثل مصير من سبقهم إن لم يسارعوا إلى الإيمان والتصديق.

وبعد أن ذَكَرَ الله تعالى تكذيبَ المشركين للنبيّ ﷺ، ذكر المكذِّبين للرسُل من الأقوام السابقة مثل قوم نوحٍ وأصحابِ الرسّ وثمود، وعادٍ وفرعون وغيرهم، وما انتهى إليه أمرُهم من الخسران والعذاب. وهذا كله تسلية لرسوله ﷺ، وتسرية عنه، وإنذاراً لكفار قريش بأنهم سيصيبهم ما أصابَ الذين من قبلهم إن أصرّوا على التكذيب والكفر والعناد. وقال القرطبي: «﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي فحق عليهم وعيدي وعقابي»[(٢٥٦)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بحذف الياء، بيان ما سيصيب هؤلاء المشركين من العقاب والعذاب في حالة استمرارهم على الكفر، وتكذيبهم للنبي عليه الصلاة والسلام، وبأن مصيرهم سيكون مثل مصير المكذبين من قبلهم.

---

(٢٥٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص٢٩٥ / ضبطه ووثقه يوسف البقاعي ـ دار الفكر بيروت لبنان ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢٥٥) انظر: المعجم الوسيط ص١٠٤٣.

(٢٥٦) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٥٦.

أما القراءة بإثبات الياء، فقد أظهرت شدة وقوة هذا العذاب الذي سينزل بهم، ودلّ على ذلك زيادة حرف الياء التي دلت على المبالغة في العذاب والعقاب. فإن إضافة الفعل إلى الله تعالى بقوله: (وعيدي) فيه ما فيه من التهديد والقوة والمبالغة في العذاب. فأي وعيد كوعيد الله تعالى، وأي عقاب كعقاب الله تعالى. فإن الآية تشير بإشراف الله تعالى المباشر على هذا التعذيب لهم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات، يبيّن لنا الله تعالى كم سيكون هذا العذاب شديداً وقاسياً على أولئك المكذبين الذين ينكرون البعث، ولا يؤمنون بالله تعالى ويكذبون رسله.

٤ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وأبو بكر (يوم يَقُول) بالياء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ بالنون[٢٥٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

القول الكلام على الترتيب، وهو عند المحقق كل لفظٍ قال به اللسان، تاماً كان أو ناقصاً، تقول: قال يقول قولاً، والفاعل قائل، والمفعول مَقُول[٢٥٨].

---

(٢٥٧) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٣، التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩١.

(٢٥٨) انظر: لسان العرب ج١١ ص٥٧٢.

التفسير:

هذه الآية الكريمة تظهر لنا حال النار الشعورية تجاه المستحقين لعذابها، وفيها إشارة تهديد لأولئك المنكرين الكافرين بأن جهنم هي مصيرهم، وهي تنتظرهم بشوق.

وإن هذا المشهد كله مشهد حوار. يظهر فيه جهنم في معرض الحوار، وبهذا السؤال والجواب يتجلى مشهد عجيب رهيب فهذا هو كل كفارٍ عنيد مناع للخير معتدٍ مريب .. هؤلاء هم الكثرة التي تقذف في جهنم تباعاً، وتتكدس ركاماً، ثم ينادى عليها ﴿هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾ واكتفيت؟ ولكنها تتلمظ وتتحرق وتقول في نهم شديد: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾ إجابة لهذا النداء فيا للهول الرهيب المهيب[٢٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء على الغيبة بالإخبار من الرسول ﷺ عن الله تعالى.

بينما أفادت القراءة بالنون بوقوع الإخبار مباشرة من الله تعالى عن نفسه على الحاضر[٢٦٠].

قال ابن عادل: «وقرأ نافع وأبو بكر: (يقول لجهنم) بياء الغيبة والفاعل: الله تعالى لتقدم ذكره في قوله (وقد قدمت)»[٢٦١].

وقال ابن عاشور: «وقراءة الباقين بالنون على الالتفاف بل هو التفات تابع لتبديل طريق الإخبار من الحديث عن غائب إلى خطاب حاضر»[٢٦٢].

ووقوع الإخبار من الله تعالى بنون العظمة بالالتفات من الغائب إلى الحاضر يضفي عظمة للموقف، وزجراً وردعاً للمجرمين العاصين، والكفار

---

(٢٥٩) الظلال ج٦ ص٣٣٦٥.
(٢٦٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٣٣١.
(٢٦١) تفسير اللباب ج١٨ ص٣٧.
(٢٦٢) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٣١٧.

والمنكرين، وكأن الله تعالى يريد أن يؤكد لهم، بقوله لهم: أنا بعظمتي لا غيري، سأكون مشرفاً ومباشراً على دخولكم في جهنم.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا وقوع القول لجهنم وسؤالها عن قابليتها ومدى استعدادها لتلقي الكثير ممن يستحق دخولها من المعاندين والكافرين، إلا أن الإخبار بنون العظمة يضفي مزيداً من التهديد والوعيد والزجر لهم؛ ليرتدعوا حين يتخيلوا مثل هذا المشهد المريع.

٥ ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ [ق: ٣٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (ما يوعدون) بالغيب، أي بالياء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالخطاب، أي بالتاء[٢٦٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

وعَدَه الأمْرَ وبه يَعِدُ عِدَةً ووَعْداً ومَوْعِداً ومَوْعِدَةً ومَوْعُوْداً ومَوْعودَةً وخيراً وشراً. فإذا أُسْقِطا قيل في الخير وَعَدَ، وفي الشر أوْعَدَ[٢٦٤].

التفسير:

إذا كان الله ﷻ قد أنذر وتوعد الكافرين، وعرض صورة جهنم، ووصف لنا حالها مع الذين استحقوا دخولها، فهو ﷻ في هذه الآية الكريمة يقدِّم لنا صورة أخرى، ومشهداً آخر من مشاهد يوم القيامة، وهو مشهد الجنة وحالها مع المؤمنين، ويعرض ما أكرم به المطيعين من ثواب ونعيم.

---

(٢٦٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦، تحبير التيسير ص٢٠٩.

(٢٦٤) انظر: ص٨٧.

قال الصابوني: «أي يقال لهم هذا الذي ترونه من النعيم، هو ما وعده الله لكل عبد أوَّاب، أي رجَّاع إلى الله تعالى، حافظ لعهده وأمره»(٢٦٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتاء على أنه خطاب للمؤمنين، بمعنى: قل لهم يا محمد ﷺ هذا ما توعدون، أو يكون المعنى أن يقال لهم يوم القيامة: هذا ما توعدون أي هذا الذي كنا نعدكم به في الدنيا من جزاء، سيكون لكم يوم القيامة، فها هو أمامكم ترونه حقيقة بأعينكم.

قال حقي: «أي حال كونهم أولئك المتقين مقولاً لهم من قبل الله تعالى أو على ألسنة الملائكة عندما شاهدوا الجنة ونعيمها»(٢٦٦). وقال ابن زنجلة: «وقرأ الباقون بالتاء، أي يقال لهم هذا ما توعدون»(٢٦٧).

وذكر مكي أن القراءة بالتاء على المخاطبة، بمعنى قل لهم يا محمد هذا ما توعدون(٢٦٨).

أما القراءة بالياء فقد وقع على الغيبة بياء الغيبة. وفي هذه القراءة تقرير وبيان حقيقة، وهي أن هذا النعيم وهذه الجنة وما فيها، هي ما كان الله يعد به المؤمنين، فها هي حاضرة أمامكم.

قال الألوسي: «وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (يوعدون) بياء الغيبة والجملة على هذه القراءة قيل: اعتراض أو حال من الجنة»، وقال أبو حيان: «هي اعتراض، والمراد هذا القول هو الذي وقع الوعد به وهو كما ترى»(٢٦٩).

(٢٦٥) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٢٩.
(٢٦٦) روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي البروسوي ج٩ ص١٢٩ / ضبط وتصحيح عبد اللطيف عبد الرحمن ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي تفسير حقي.
(٢٦٧) حجة القراءات ص٦٧٨.
(٢٦٨) انظر: الكشف ج٢ ص٢٨٥.
(٢٦٩) روح المعاني ج١٣ ص٣٣٩.

وعلى هذا يكون المعنى بالقراءة بالياء، هو بيان وتقرير حقيقة، وهي بأن الذي وعد الله به ها هو حق موجود حقيقة، وهو الجنة ونعيمها.

أما القراءة بالتاء فهي تدل على أن الله تعالى أو الملائكة سيخاطبون المؤمنين عندما يرون الجنة ونعيمها، ويذكّرونهم بنعمة الله عليهم، وبصدق وعد الله لهم، وهذا الخطاب ـ في تلك اللحظات ـ فيه تشويق وإسعاد وتبشير لهم، فهم وحتى هذه اللحظة فقط شاهدوا الجنة، فيأتيهم الخطاب من الله تعالى أو من ملائكته، بأن ما ترونه بأعينكم هو لكم، وهذه الجنة التي ترونها هي ما كان يَعِدُ به الله لكم، فستدخلونها .. لذلك، تلى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦].

كذلك، فإن هذا الخطاب فيه تبكيت وتحسير للذين كذّبوا وأنكروا، فها هم يرون بأن وعد الله لعباده قد تحقق، وكأنهم في هذه اللحظات يقولون ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦].

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين دلتا على وقوع وعد الله تعالى لعباده من الجزاء، والثواب والجنة وما فيها.

ولكن القراءة بالتاء أضافت معنى جديداً، وهو وقوع الخطاب للمؤمنين في تلك اللحظات، وهو خطاب تذكير وتبشير لهم.

٦ ـ **قال تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان ومكي وحمزة وخلف (وإِدبار السجود) بكسر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَأَدۡبَٰرَ﴾ بفتحها[٢٧٠].

(٢٧٠) انظر: الإقناع في القراءات السبع ص٦٣، التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩١، والبدور الزاهرة ص٣٧٩.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء وخَلْفُه خلافُ قُبُلِه[271]، وجاء في المنجد: والأدبار الآخر يقال: جاءَ دُبُرَ الشهر، وفي دُبُره وعلى دُبُره وأدْبَارَ الشهر وفي أَدْبارِهِ أي في آخره[272]. والدبر الأصل[273].

التفسير:

جاءت هذه الآيات في سياق دعوة الله ﷻ النبي ﷺ للصبر على المعاندين المكذبين، ودعاه الله ﷻ إلى اللجوء إليه، والدوام على التسبيح والصلاة.

قال الصابوني: «أي ومن الليل فَصَلِّ لله تهجداً وأعقاب الصلوات المفروضة»[274].

ويرى ابن كثير أن المعنى: إما أن يكون المقصود منه التسبيح بعد كل صلاة، أو الصلاة ركعتين بعد صلاة المغرب[275].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالفتح على الجمع أي جمع دبر، بمعنى لزوم فعل ذلك خلف كل الصلوات، وليس صلاة واحدة فقط، وكذلك إن الأمر بالتسبيح

(٢٧١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص٣٧٤ / تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ـ دار الفكر الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
(٢٧٢) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٢٠٥.
(٢٧٣) انظر: تثقيف اللسان وتلقيم الجنان /عمر الصقلي النحوي اللغوي ط الأولى بيروت ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م/ ص٢٣٦.
(٢٧٤) صفوة التفاسير للصابوني ج٣.
(٢٧٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٤٦.

عقب كل صلاة مباشرة بلا تراخي.

أما القراءة بالكسر، فهي مصدر أدبر إدبار، وهي تفيد أن الأمر بالتسبيح يكون بعد تولي وذهاب السجود أي الصلاة أيضاً، بمعنى أن التسبيح ليس فقط في أدبار الصلوات، بل وبعد انقضائها أيضاً، وفي هذا إشارة إلى دوام واستمرار التسبيح في جميع الأوقات، وليس بعد الصلاة مباشرة فقط.

قال الشوكاني: «﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ أي وسبحه أعقاب الصلوات، قرأ الجمهور أدبار بفتح الهمزة جمع دُبُر، وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بكسرها على المصدر، من أدبر الشيء إدباراً، إذا ولى»[٢٧٦]. وقال أبو حيان: «وإدبار بكسر الهمزة وهو مصدر تقول: أدبرت الصلاة انقضت وتمت»[٢٧٧]. وقال النيسابوري: «بكسر الهمزة مصدر أدبر الشيء إدباراً إذا ولى، ومن فتح الهمزة جعله جمع دبر بمعنى خلف»[٢٧٨]. وقال د. محمد محيسن: «بالكسر مصدر أدبر بمعنى مضى والباقون بالفتح جمع «دَبر» وهو آخر الصلاة وعقبها. وجمع باعتبار تعدد السجود»[٢٧٩].

وبذلك فقد تأكد بأن المعنى في القراءة بالفتح، هو الأمر بالتسبيح أو بالصلاة عقب الصلاة مباشرة. أما قراءة الكسر فقد دلت على لزوم ذلك بعد أن تمضي وتُولِي الصلاة، وفي هذا بيان بأن التسبيح ليس فقط في أدبار الصلاة، ولكن أيضاً بعد انقضائها، وفيه إشارة إلى المداومة على التسبيح في جميع الأوقات. سواء بعد الصلاة مباشرة أم بعد انقضائها ولو بساعات، وذلك يصلح. فلو نظرنا إلى سياق الآية لوجدنا أن الأمر بالتسبيح والصلاة

---

(٢٧٦) فتح القدير ج٥ ص٩٧.

(٢٧٧) البحر المحيط ج٨ ص١٢٨.

(٢٧٨) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ج٤ ص١٧١ / دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي تفسير النيسابوري.

(٢٧٩) المستنير ج٣ ص١٢٣.

لرسول الله ﷺ كان من أجل أن لا ينشغل في الدعاء على المكذبين وسبهم ولعنهم. فالآية السابقة تأمره ﷺ أن يصبر على ما يقول الكفار، وأن يلجأ إلى التسبيح والصلاة. ولتحقيق ذلك فإن التسبيح والصلاة لا يكون فقط عقب الصلوات المكتوبات، بل في جميع الأوقات لذلك عبر بالقراءة وإدبار.

ويدل على ذلك ما قاله الرازي في تفسيرها: «فاصبر على ما يقولون واجعل كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له، ولا تكن كصاحب الحوت أو كنوح عليه السلام»(٢٨٠).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءاتين، يظهر أن الأمر بالتسبيح للنبي ﷺ ليس فقط عقب الصلوات، بل هو في جميع الأوقات أيضاً، وذلك أنسب للهدف المرجو من هذا التسبيح، وهو شغل النبي ﷺ بالعبادة والتسبيح والشكر لله تعالى، وترك الكافرين لشأنهم ومآلهم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾

١ ـ قرأ يعقوب وابن كثير بخلف عنه (يُنَادي) بإثبات الياء في الوقف.

٢ ـ وقرأ الباقون (يُنَاد) بحذفها وقفاً(٢٨١).

ب ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَادِ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير ويعقوب (المنادي) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، وأثبتها المدنيان وأبو عمرو في الوصل فقط.

---

(٢٨٠) تفسير الرازي ج١٠ ص١٥٣.

(٢٨١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٩.

٢ ـ وقرأها الباقون (المناد) بحذف الياء مطلقاً[٢٨٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

النداء الصَّوتُ، وقد يُضمُّ ونَادَاه مُناداةً ونداءً صاحَ به. ونَادَاه أيضاً جَالَسه في النَّادي، وتنادَوْا نَادَى بَعضُهم بعضاً. وتَنَادوْا أي تَجالَسُوا في النادي. والنَّدِيُّ على فَعِيل مَجلِس القَوْم ومُتَحَدَّثُهم وكذا النَّدوة والنَّادي والمُنْتَدَى[٢٨٣].

التفسير:

وفي هذه الآية الكريمة، والآيات التي تليها، يصف الله ﷻ كيفية البدء بهذه العملية التي أنكرها الكفار واستعجبوا منها، وهي عملية البعث وجمع الأجساد الذاهبة والبالية وإعادتها كما كانت، وفي هذا الوصف تجاوز لاعتراض الكافرين.

فلم يقتصر على الإخبار الذي وقع في الآيات السابقة، بل ذهب مذهباً بعيداً حيث انتقل إلى مرحلة بيان وتفصيل وشرح كيفية حدوث ذلك. وهذا الوصف لهذا الموقف المهول يأخذ بلبِّ المنكرين وأبصارهم، ويُسكت منهم اللسان، ويترك أفواههم مفتوحة، ويأخذهم من مرحلة الإنكار إلى مرحلة التفكير في هذا الموقف المهيب والرهيب. وهذا الوصف فيه تأكيد لحدوثه، وإنذار للمنكرين والكافرين، وتسرية للنبي ﷺ ومن معه.

قال مقاتل[٢٨٤]: «واستمع يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ فهو إسرافيل وهي النفحة الآخرة ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني من الأرض، وقال: وإسرافيل عليه السلام قائم على صخرة بيت المقدس وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر

(٢٨٢) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦، البدور الزاهرة ص٣٧٩.

(٢٨٣) انظر: مختار الصحاح ص٣٥٠.

(٢٨٤) هو مقاتل بن سليمان الأزدي، كنيته أبو الحسن مفسر معروف، كانت سنة وفاته نيِّف وخمسين ومائة [انظر: سير أعلام النبلاء ج٧ ص٢٠١ ـ ٢٠٢].

ميلاً، فيسمع الخلائق كلهم، فيجتمعون ببيت المقدس، وهي وسط الأرض، وهو المكان القريب»(٢٨٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بحذف الياء في كلا الكلمتين؛ للدلالة على وقوع هذا النداء، وهو النفخة الثانية التي يحيي الله تعالى بها الخلائق.

أما القراءة بإثبات الياء فيهما، فقد جاءت للدلالة على أن هذا النداء وإن كانت كلماته قليلة، إلا أنه من المحتمل أن يكون فيها طول وقوة وتأثير على الخلائق عظيم، وكيف لا وهو الذي سيحيي الله تعالى به الخلائق. ودل على ذلك زيادة حرف الياء والمد فيها الذي هو للمبالغة.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن لنا قوة هذا النداء، ولربما طُوله وعِظَم أمرِه وشدةِ تأثيره على الخلائق في ذلك اليوم المهيب، يوم النشور والبعث والرجوع إلى الله تعالى.

٨ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤٤].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر (تشَّقَّق) بتشديد الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيفها(٢٨٦).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الشَقُّ واحد الشُقوق، وهو في الأصل مصدر. وتقول: بيد فلان

---

(٢٨٥) تفسير مقاتل ج٣ ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٢٨٦) انظر: غيث النفع ص٤٩٨، وحجة القراءات ٦٧٩.

وبرجله شُقُوقٌ، ولا تَقُل شُقَاقٌ، وإنما الشُقاقُ داءٌ يكون للدواب وهو تشقق يصيب أرساغَها قال: والشَقُّ: الصبحُ. والشِق بالكسر نصف الشيء؛ يقال أخذت شِقَّ الشاة وشِقَّةَ الشاة. والشِق أيضاً: الناحية من الجبل. والشق أيضاً: الشقيق يقال هو أخي وشِقُّ نفسي. والشِق المشَقَّةُ[287]. وشَقَّه صَدَعَه[288].

التفسير:

وفي هذه الآية استمرار لشرح وبيان عملية البعث، وذلك أن الله ﷻ ينزل مطراً من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما ينبت الحبَّ في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب الصور، فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، ثم ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فترجع كل روح إلى جسدها، فتدبّ فيه كما يدبُّ السّمُّ في اللديغ، وتنشق الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله ﷻ[289].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون تشديد، على معنى أن الأرض ستنشق عن الموتى يوم القيامة؛ ليخرجوا لفصل القضاء.

أما القراءة بالتشديد، فقد أفادت المبالغة في التشقق، فالأرض كلها ستتشقق، وليست أي شقوق، إنها شقوق كبيرة وكثيرة تسمح لمن بداخلها بالخروج بسهولة وبسرعة كبيرة؛ لذلك عبَّر القرآن بقوله: ﴿سِرَاعًاۚ﴾ أي مسرعين، والسرعة في الخروج تفيد بأن الأرض ستنشق عن كل واحد، ويصبح لكل واحد شَقّه الخاص به الذي سيخرج منه، وهذا يؤدي إلى

(٢٨٧) انظر: الصحاح في اللغة ص٥٦٣.

(٢٨٨) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ص٨٠٨ /دار الفكر ١٩٩٥م.

(٢٨٩) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٤٧.

سهولة في الخروج، وسرعة حدوثه فلا تزاحم، وكذلك أفاد بكثرة الشقوق التي ستحدث، وكِبَر حجمها بحيث تتسع لخروج الإنسان. لهذا كان التعبير بالتشديد والمبالغة دالاً على كل هذه المعاني. قال ابن عاشور: «(تشقق) بفتح التاء وتشديد الشين أصلها (تتشقق) بتاءين فأدغمت التاء الثانية في الشين بعد قلبها شيناً لتقارب مخرجها، والقراءة بالتخفيف (تشقق) على حذف تاء التفعيل لاستثقال الجمع بين التاءين»(٢٩٠).

وعلى هذا تكون أصل قراءة (تشقق) بالتشديد، هي (تتشقق) وفيها تاء ثانية. والزيادة في المبنى زيادة في المعنى على النحو الذي ذكرنا.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلّتا على حدوث تشقق الأرض لإخراج الناس للبعث والحشر.

ولكن القراءة بالتشديد أفادت معنى زائداً، وهو المبالغة في التشقق، وكثرة الشقوق، وكِبر حجمها وذلك لتسريع عملية الخروج، والله تعالى أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش (وعيدي) بإثبات الياء في حال الوصل فقط وحذفها وقفاً.

٢ ـ وقرأ يعقوب (وعيدي) بإثباتها في الحالين.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَعِيدِ﴾ بحذفها في الحالين وصلاً ووقفاً(٢٩١).

---

(٢٩٠) انظر: التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٢٩١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

وعَدَه الأمْرَ وبه يَعِدُ عِدَةً ووَعْداً ومَوْعِداً ومَوْعِدَةً ومَوْعُوْداً ومَوْعودَةً وخيراً وشراً[٢٩٢].

التفسير:

جاءت هذا الآية تسلية للرسول ﷺ وتهديداً لهم، وما أنت أيها النبي عليه الصلاة والسلام بمسيطر عليهم، تقهرهم على الإيمان أو تملك لهم شيئاً، إنما أنت منذر؛ وقيل: أُريد التحلم عنهم، وترك الغلظة عليهم؛ فذكِّر بهذا الحق الذي جاءك والذكر العزيز؛ وأنذر الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم؛ أما القاسية قلوبهم والذين لا يرجون لقاء الله، ولا يستيقنون بالآخرة فلا تغني عنهم النذر، ولا تنفعهم الآيات[٢٩٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة مع حذف الياء (وعيد) بمعنى: فذكِّر يا محمد عليه الصلاة والسلام بهذا القرآن الذي أنزلته من يخاف الوعيد الذي أوعدته من عصاني وخالف أمري[٢٩٤].

أما القراءة بإثبات الياء، فقد أظهرت شدَّة وقوة هذا العذاب، وهذا الوعيد، الذي سينزل بهم، ودل على ذلك زيادة حرف الياء التي دلت على المبالغة في العذاب والعقاب. وإن إضافة الفعل إلى الله تعالى بقوله: (وعيدي) فيه ما فيه من التهديد والقوة، والمبالغة في العذاب. فأي وعيد كوعيد الله تعالى؟. وأي عقاب كعقاب الله تعالى؟ فإن الآية تشير بإشراف الله تعالى المباشر على هذا التعذيب لهم.

---

(٢٩٢) مضى بيانها للمزيد انظر: تفسير الآية: ١٤ من سورة ق صفحة ٨٧.

(٢٩٣) انظر: فتح الرحمن ج٦ ص٣٤٠٨.

(٢٩٤) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٥٩٧.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يكشف لنا الله تعالى عن مدى عظم هذا الوعيد وشدَّته، وقوَّة عذابه الذي توعد به العاصين، الذين لا يلتزمون أمره، فهذا الوعيد الشديد كفيل بأن يردع مثل هؤلاء الذين كان تذكيرهم به، وتحذيرهم منه، له ثمرته وأهميته على نفوسهم وقلوبهم.

تمت سورة (ق) بحمد الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة الذاريات
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هي سورة مكية، وهي ستون آية، تقوم هذه السورة على تشديد دعائم الإيمان، وتستهدف تخليص هذا القلب من عوالق الأرض، ومعوقات الإيمان، وتجريده لعبادة الله تعالى وحده، وذلك بلفت النظر إلى قدرة الله تعالى العظيمة[٢٩٥].

مناسبتها لما قبلها:

لما ختمت سورة «ق» بذكر البعث، واشتملت على ذكر الجزاء والجنة والنار، افتتحت هذه السورة بالإقسام على أن ما وُعدوا به لصادق، وأن الجزاء لحق واقع. كذلك لمَّا ذُكِر في «ق» إهلاك الكثير من القرون على وجه الإجمال، ذُكِر هنا في «الذاريات» إهلاك بعضهم على سبيل التفصيل[٢٩٦].

(٢٩٥) انظر تفسير القرطبي ج٩ ص١٧١، والظلال ج٦ ص٣٣٧٣.
(٢٩٦) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٣.

الموضوع العام للسورة:

إن المحور العام الذي تدور حوله هذه السورة المباركة، هو تثبيت الإيمان في القلوب، وترسيخ العقيدة في النفوس، وذلك من خلال توجيه الأبصار إلى قدرة الله تعالى وقوته في الخلق؛ لذلك فقد بدأت بذكر قوى أربع من أمر الله تعالى وقوته، وهي الرياح التي تذروا الغبار، وتسيِّر المراكب في البحار، والسحاب الذي يحمل الأمطار، والسفن التي تجري على سطح الماء بقدرته تعالى، والملائكة الأطهار المكلفين بتدبير شؤون الخلق، وأقسم الله تعالى بها على أن الحشر كائن لا محالة، وأنه لا بد من البعث والجزاء.

واستعرضت السورة موقفين اثنين: موقف كفار مكة المعاندين المنكرين المكذبين، وبيَّنت ما سينالهم من عذاب وسوء خاتمة، وموقف المؤمنين المصدقين، وما أعده الله تعالى لهم من نعيم وكرامة.

وذكرت السورة قصص الرسل الكرام، وموقف أممهم الطاغية منهم، من تكذيب وإيذاء، وبيَّنت ما حلَّ بهم من عذابٍ ودمارٍ بسبب هذه الأفعال، تحذيراً لكفار قريش، وتهديداً لهم؛ ليرتدعوا وينزجروا(٢٩٧).

١ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ [الذاريات: ١].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وأبو عمرو (والذاريات ذروا) بإدغام التاء في الذال.

٢ ـ وقرأ الباقون بإظهارها(٢٩٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الذرا بالفتح هو اسم لكل ما يُسْتَتَرُ به، والذرا اسم لما ذَرَتْهُ الريح.

---

(٢٩٧) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٣٢.

(٢٩٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٣.

وذرا الشيء، أي سقط، وذروتُه أنا أي طيَّرته وأذهبته، والذارياتُ: الرياح. وذرت الريح التراب وغَيْرَه تذْرُه وتذْريه ذَرواً وذَرياً أي سفته، ومنه قولهم: ذرى الناس الحنطة وأذريت الشيء إذا ألقيته كالقائل الحب للزرع[٢٩٩].

التفسير:

قال سيد قطب رحمه الله تعالى: «هذه السورة ذات جو خاص، فهي تبدأ بذكر قوى أربع من أمر الله تعالى في لفظ مبهم الدلالة، يوقع في الحس لأول مرة ووهلة، أنه أمام أمور ذات سر، ويقسم الله تعالى بهذه الخلائق الأربع: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾»[٣٠٠]. وقوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ يعني الرياح التي تذرو التراب ذرواً، يقال: ذرت الريحُ الترابَ وأذْرَت[٣٠١]. وقال عبد الله علوان: «أقسم الله تعالى بالرياح تذروا التراب وتنشره، وتبدده»[٣٠٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

سبب الإدغام فيهما هو تقارب الحرفين، فقد عرَّف الدكتور عبد الرحمن الجمل التقارب بأنهما الحرفان اللذان تقاربا مخرجاً وصفةً، أو مخرجاً لا صفة، أو صفةً لا مخرجاً[٣٠٣]. والتقارب واضح وبائن بينهما، فهما يشتركان في كثير من الصفات. هذا من جانب، ومن الجانب الآخر، فإن كانت القراءة بدون إدغام قد جاءت للدلالة على الريح التي تذروا التراب وغيره، فإن القراءة بالإدغام وبالمد في الألف الذي تولد عن الإدغام دلَّت على عظمة هذه الريح، وقوة فعلها، وبيان عظمة ما يُقْسِم الله تعالى به.

(٢٩٩) انظر: الصحاح في اللغة ص٣٤٥.

(٣٠٠) الظلال ج٦ ص٣٣٧٣، ٣٣٧٥ (بتصرف).

(٣٠١) انظر: تفسير البغوي ج٥ ص١٣٨.

(٣٠٢) مصحف الصحابة في شرح كلمات القرآن الكريم ص٥٢٠.

(٣٠٣) انظر المغني في علم التجويد ص٢٠٨.

الجمع بين القراءتين:

أفاد الجمع بين القراءتين بيان عظم وأهمية ما يقسم الله تعالى به، وإظهار عظم شأن هذه الريح وأهميتها، ومدى فاعليتها في هذا الكون المنظم والمنسق غاية التنظيم والتنسيق، والله تعالى أعلم.

٢ ـ **قال تعالى:** ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾ [الذاريات: ٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (فالجاريات يُسُرا) بضم السين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يُسۡرٗا﴾ بسكون السين(٣٠٤).

المعنى اللغوي للقراءتين:

اليَسْرُ: اللِّيْنُ والانقيادُ يكون ذلك للإنسان والفرس، وقد يَسَرَ يَيْسِرُ. وياسَرَه: لايَنَهُ. وقال: اليُسْرَ ضد العسر(٣٠٥).

التفسير:

في هذه الآية يقسم الله ﷻ بالسفن التي تجري على وجه الماء جرياً سهلاً بيسر، وهي تحمل ذرية بني آدم، وهذا الإقسام فيه دليل على عظم آيات الله تعالى وجليل نعمه علينا، وفيه لفت لانتباه الناس إلى مثل هذه النعم التي يهبها الله تعالى لنا ليل نهار، بتقدير وترتيب رباني صرف، لا دخل للإنسان فيه، والجاريات هي السفن التي تجري في البحر جرياً سهلاً، أو هي الرياح الجارية في مهابها، أو هي الكواكب التي تجري في منازلها(٣٠٦).

---

(٣٠٤) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٠، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٨.

(٣٠٥) انظر: لسان العرب ج٥ ص٢٩٥.

(٣٠٦) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٣٣، وتفسير البيضاوي ج٥ ص٢٣٤ (بتصرف).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإسكان السين، أن هذه السفن في البحر، أو الرياح في مهابها، أو الكواكب في منازلها، جميعها تجري بيسر وسهولة.

بينما أفادت القراءة بضم السين، المبالغة في سهولة الجري، وهذا واضح، فالسفن الضخمة المحمَّلة بملايين الأطنان والأثقال رغم ثِقَلِها، وضخامة حجمها إلا أنها مع ذلك تجري بيسر شديد، مقارنة بحجمها ووزنها، وكذلك الرياح والكواكب الضخمة. ودل على ذلك قوة حركة الضم التي تأتي للدلالة على قوة حصول الشيء والمبالغة فيه، وهي هنا تدل على المبالغة في سهولة الجري.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلَّتا على يسر وسهولة الجري، إلا أن القراءة بالضم أفادت المبالغة في سهولة الجري ويسره وكثرته، ودلَّ على ذلك حركة الضم التي هي للقوة في الفعل والمبالغة فيه؛ لأنها من أقوى حركات اللغة العربية قاطبةً.

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير المكي وابن ذكوان[٣٠٧] وشعبة[٣٠٨] والأخوان[٣٠٩] (وعِيون) بكسر العين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَعُيُونٍ﴾ بالضم[٣١٠].

(٣٠٧) هو أبو عمرو بن ذكوان الدمشقي.

(٣٠٨) رواية عن عاصم، أي أنه روى هذه القراءة عن عاصم.

(٣٠٩) الأخوان هما حمزة والكسائي.

(٣١٠) انظر: غيث النفع ص٤٩٩، وإتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٩١.

المعنى اللغوي للقراءتين:

العَيْنُ: حاسَّة الرؤية، وهي مؤنَّثة، والجمع أَعْيُنٌ وعُيونٌ وأَعْيَانٌ. وتصغيرها عُيَيْنَة. قال: وعين الشيء خياره[٣١١]. وقال ابن منظور: «والعَيْنُ عين الماء، والعين التي يخرج منها الماء، والعين يَنْبُوع الماء الذي يَنْبُع من الأرض ويجري»[٣١٢].

التفسير:

وفي هذه الآية يقول الله تعالى مخبراً عن حال المتقين لجلاله ﷻ، إنهم يوم مَعادهم يكونون في جناتٍ وعيون، منعَّمين وفرحين، يأكلون ويشربون، بخلاف ما فيه أولئك الأشقياء من العذاب والنكال والحريق والأغلال، فهم في ضنك وعذاب شديدين مستمرين بلا انقطاع[٣١٣].

قال سيد قطب: «فهذا الطريق طريق المتقين الأيقاظ الشديدي الحساسية برقابة الله تعالى لهم ورقابتهم هم لأنفسهم هؤلاء ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾»[٣١٤]. قوله تعالى: ﴿وَعُيُونٍ﴾ معناه في خلالها أي بين الأنهار في الجنة[٣١٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالكسر، على معنى أنهم في الجنة يسرحون بين أنهارها، ويأكلون من ثمارها، فرحين بنعم الله تعالى التي أنعمها عليهم جزاء عملهم الصالح في الدنيا.

أما القراءة بالضم، فقد دلَّت على عظمة هذه العيون، وكثرتها، وقوة

(٣١١) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٠١.
(٣١٢) لسان العرب ج١٣ ص٣٠٣.
(٣١٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٤٩.
(٣١٤) الظلال ج٦ ص٣٣٧٦.
(٣١٥) تفسير الرازي ج١٠ ص١٦٥.

مائها، فهي لا تنضب أبداً، ودلَّ على ذلك قوة حركة الضم، قال طنطاوي: «أي في جنات عظيمة ونعيم دائم لا ينقطع»(٣١٦).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يخبرنا الله تعالى عن ماهية هذه العيون والأنهار، التي أعدها لعباده المتقين، فهي عيون عظيمة كثيرة، لا ينضب ماؤها ولا يَتخيلُ جمالَها وروعَتها، وحسن مائها المتخيلون، ولا يصفها الواصفون.

٤ ـ **قال تعالى:** ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (مثلُ) بالرفع.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿مِّثْلَ﴾ بالنصب(٣١٧).

المعنى اللغوي للقراءتين:

مِثل كلمة تَسْوية، يقال: هذا مِثْلهُ ومَثَلُه، كما يقال شِبْهُه وشَبَهُه، والمَثَل ما يُضرب به من الأمثال، ومَثَلُ الشيء أيضاً بفتحتين صِفَتُه، والمثال الفراش(٣١٨).

التفسير:

إن الله تعالى يقسم في هذه الآية على حقيقة كل ما ذكره من أمور البعث، ويوم القيامة، وما فيها من جنة ونار، وعذاب وثواب، وعلى الرزق أيضاً.

---

(٣١٦) انظر: التفسير الوسيط ج١٤ ص٤٧.

(٣١٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٣١٨) انظر: مختار الصحاح ص٣٣١.

يقول ابن كثير: «يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كان لا محالة وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكُّوا فيه، كما لا تشكُّوا في نطقكم حين تنطقون»[٣١٩]. وأورد ابن الجوزي أن المعنى ما ذكره من أمر الآيات والرزق، وما وعدتم به من أمر النبي ﷺ[٣٢٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالضم، على أنها صفة «لحق» بمعنى مثل نطقكم.

بينما أفادت القراءة بالفتح، على أنه منصوب على التوكيد، بمعنى إنه لحق حقاً مثل نطقكم. وعليه فالقراءة بالنصب، دلَّت على تأكيد حدوث ذلك وحتميته.

قال السمرقندي: «فمن قرأ بالضم فهو نعت للحق وصفة له، ومن قرأ بالنصب فهو على التوكيد على معنى أنه لحق حقاً مثلَ نطقكم»[٣٢١].

وقال النسفي: «بالرفع صفة للحق أي حق مثل نطقكم، وبالنصب أي إنه لحق حقاً مثل نطقكم»[٣٢٢]. وإلى نحو ذلك ذهب عدد من المفسرين، منهم: الفخر الرازي[٣٢٣].

وقال ابن زنجلة: «فمن رفع مثل فهي من صفة الحق المعنى أنه مثلُ نطقكم، قال: ويجوز أن يكون منصوباً على التوكيد على معنى إنه لحقٌ حقاً مثل نطقكم»[٣٢٤].

---

(٣١٩) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٥١.
(٣٢٠) زاد المسير ص١٣٤٩.
(٣٢١) بحر العلوم ج٣ ص٢٧٨.
(٣٢٢) تفسير النسفي م٢ ج٤ ص١٨٥.
(٣٢٣) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص١٧٣.
(٣٢٤) حجة القراءات ص٦٧٩ (بتصرف).

وقال بذلك: أبو العلاء الكرماني وأبو منصور الأزهري[٣٢٥].

الجمع بين القراءتين:

وللجمع بين القراءتين نقول: كلا القراءتين أفادتا حقيقة وقوع البعث والنشر، وما يليه من ثواب وعقاب، وجنة ونار، إلا أن القراءة بالفتح جاءت على صيغة التأكيد؛ لبيان حتمية وقطعية وقوعه، فهو سيقع حتماً.

٥ ـ **قال تعالى:** ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات: ٢٤].

القراءات:

١ ـ قرأ هشام (إبراهَام) بفتح الهاء وألف بعدها.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ بكسر الهاء وبعدها ياء[٣٢٦].

المعنى اللغوي للقراءتين:

إبراهيم هو ابن آزر المذكور في القرآن، ويرجع نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام، ولد في بابل، أزال الله به الشرور وأبطل به الضلال، آتاه رشده وهو في صغره، وابتعثه رسولاً واتخذه خليلاً في كبره[٣٢٧]. ويقال بأنه عاش مائة وخمسة وسبعين عاماً، وهو إسم أعجمي سرياني معناه أب رحيم، ويقال: أنه بمعنى شدة النظر مشتق من البرهمة وهي شدة النظر[٣٢٨].

(٣٢٥) انظر: مفاتيح الأغاني ص٣٨٢، ومعاني القراءات ج٣ ص٣٠.

(٣٢٦) انظر: غيث النفع ص٤٩٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٠.

(٣٢٧) انظر: قصص الأنبياء ص١٠٢.

(٣٢٨) انظر: الإتقان ج٢ ص١٠٦٣، ١٠٦٤، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ج٢ ص٤ / دار الكتب العلمية ـ ط الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ومعجم مقاييس اللغة ص١٦٦.

التفسير:

هذه الآية تأتي بعد عرض سريع لمشهد المنكرين المستعجلين للعذاب على سبيل التهكم، وبعد تأكيد الله ﷻ على صدق وقوع ما وعد به، فتأتي هذه الآية تروي عن الرسول ﷺ برواية قصص من كان قبله من الأنبياء والمرسلين، وكيف أن الله تعالى كان معهم وناصرهم، كذلك جاءت بالتهديد والوعيد للمنكرين، وكأنها تقول لهم: لئن لم تنتهوا سيحل بكم مثل ما حل بمن سبقكم من المنكرين الكافرين.

يقول سيد قطب: «ويبدأ الحديث عن إبراهيم بالسؤال تنويهاً بهذا الحديث وتهيأ للأذهان مع وصف ضيف إبراهيم بالمكرمين، إما لأنهم كذلك عند الله تعالى، وإما إشارة إلى إكرام إبراهيم لهم كما ورد في القصة»[(٣٢٩)]. وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، يخبره أنه محلٌّ بمن تمادى في غيِّه، وأصرَّ على كفره، ما أحل بمن قبلهم من الأمم الخالية، ومذكراً قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم وما فعل بهم»[(٣٣٠)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء وبدون ألف ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾، على معنى ذكره بإسمه الذي يدل عليه وهو إبراهيم والذي هو مشتق من الرحمة في السريانية. ثبوت الصفة به، وملازمتها له، وهي صفة الرحمة والحلم.

أما القراءة بدون ياء وبإثبات الألف (إبراهام)، فقد جاءت على وجه المبالغة؛ للدلالة على غلبة هذه الصفة عليه، ولفت الأنظار إلى سعة حجمها في قلبه، وشدة بيان أثرها على سلوكه، فهي صفة متأصلة فيه[(٣٣١)]. ودلَّ

(٣٢٩) الظلال ج٦ ص٣٣٨٢.

(٣٣٠) جامع البيان ج٩ ص٧٦٢٥.

(٣٣١) انظر: معاني القراءات ص٦٣، ومعاني الأبنية في العربية ص٩٤، وبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ص٢٠٩.

على ذلك أيضاً المد الذي هو للزيادة والمبالغة وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه الصفة فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥]. والحلم هي صفة تدل على عدم التعجل على من يسيء، وهذه غاية في الرحمة واللطف(٣٣٢).

وقد ذكرت الباحثة أحلام أبو شعبان في معرض تفسيرها لهذه القراءة في سورة التوبة أن قراءة (إبراهيم) بالياء وبدون ألف، أفادت ثبوت الصفة له، وملازمتها له، وأنها متأصلة فيه عليه السلام؛ وذلك لأن صيغة فعيل تدل على ثبوت الصفة.

وقالت عن القراءة بثبوت الألف (إبراهام) فقراءة الألف هنا تفيد زيادة في الوصف والمبالغة فيه(٣٣٣).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر مدى حجم الرحمة التي يتمتع بها إبراهيم عليه السلام وكثرته، فهو مع قوة عزيمته وشدة صبره، إلا أنه غاية في الحلم والرحمة، فمن شدة رحمته حلم على الناس، وصبر عليهم، فهو لا يتعجل في طلب تعذيبهم، ومحاسبة المسيء منهم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ الأخوان(٣٣٤) (قال سِلم) بكسر السين وإسكان اللام.

(٣٣٢) انظر: روائع البيان ص٢٣٠.

(٣٣٣) انظر: رسالة ماجستير في تفسير القرآن بالقراءات العشر ص٢٦٠ ـ إشراف د. زهدي أبو نعمة.

(٣٣٤) والأخوان هما: حمزة والكسائي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سَلَٰمٌ﴾ بفتح السين واللام وألف بعدها[٣٣٥].

المعنى اللغوي للقراءتين:

السَّلْمُ: هو نوع من الدلاو له عروةٌ واحدة، ويقال لمن لدغته الحَيَّة: سَلِيْم ومسْلوم. ورجل سليم: سالِمٌ سَلِمَ سلامةً. وقولهم: السلام عليكم: أي السلامة من الله عليكم، والسلام السداد[٣٣٦].

التفسير:

وفي هذه الآية يصور الله ﷻ هذا المشهد المهيب عند دخول هؤلاء الملائكة، الذين جاءوا على هيئة شُبَّان حِسان، عليهم مهابة عظيمة. وكيف كان استقبال إبراهيم عليه السلام لهم.

يقول ابن كثير: «وذلك أن الملائكة وهم: جبريل وإسرافيل وميكائيل قدموا عليه في صورة شبان حسان، عليهم مهابة عظيمة، ولهذا قال عز من قائل: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾»[٣٣٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ذهب بعض علماء التفسير والقراءات إلى أنهما بمعنى واحد، فقال البيضاوي: «وقرأ حمزة والكسائي (قال سلم) وقرئ منصوباً والمعنى واحد»[٣٣٨]. وكذلك اعتبر أبو السعود أن القراءة بالرفع والنصب كلاهما بمعنى واحد[٣٣٩]. وقال الدكتور محمد محيسن: «وهما لغتان مثل حرم وحرام»[٣٤٠].

(٣٣٥) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٠.
(٣٣٦) انظر: القاموس المحيط ص١٠١١ ـ ١٠١٢.
(٣٣٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٥٢.
(٣٣٨) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٣٨.
(٣٣٩) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٣٧.
(٣٤٠) المستنير ج٣ ص١٢٥.

وذهب غيرهم إلى وجود فرق بين القراءتين، فذكر الطبري أن القراءة (سلام) بالألف بمعنى قال إبراهيم لهم: سلام عليكم، وقال: (سِلمٌ) بغير ألف بمعنى قال أنتم سلم[(٣٤١)].

وقال ابن زنجلة: «بغير ألف، أي أمري سليم، أي لا بأس علينا»[(٣٤٢)].

يقول الباحث: وعلى هذا تكون قد أفادت القراءة بالألف (سلام)، على أنها تظهر ترحيب إبراهيم بهم، وردّه على سلامهم وقبولهم ضيوفاً عليه.

أما القراءة بدون ألف، فدلّت على أن إبراهيم عليه السلام لم يستقبلهم ويرد عليهم السلام فحسب، بل أمّنهم وأنزلهم في حمايته، وطمأنهم ظناً منه باحتمال حدوث مكروه لهم من قومه؛ لذلك فإنه لما علم قومه بقدومهم، وجاءوا ليأخذوهم، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، وظل رافضاً لتسليمهم إلى قومه.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلّتا على استقبال إبراهيم لهم، ورده على سلامهم بالمثل، أو بما هو أفضل، إلا أن القراءة بدون ألف دلّت على أن إبراهيم عليه السلام أدخلهم في كنفه، وطمأنهم على أنفسهم بأنه لن يمسهم مكروه، ولا هو.

٧ ـ قال تعالى: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الذاريات: ٤٤].

---

(٣٤١) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٦٢٥، ٧٦٢٦.

(٣٤٢) حجة القراءات ص٦٧٩، ٦٨٠.

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (الصعْقة) بإسكان العين من غير ألف قبلها.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ بكسر العين وألف قبلها[٣٤٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(الصاعقة): صعق الإنسان صَعْقا وصَعَقَاً فهو صَعِقٌ: غُشِيَ عليه وذهب عقله من صوت يسمعه كالهَدَّة الشديدة. وصَعِق صَعَقاً وصَعْقاً وصَعْقَةَ وتَصْعاقاً، فهو صَعِقٌ: مات[٣٤٤].

التفسير:

هذه الآية الكريمة تظهر صورة من العذاب الشديد الذي أصاب المعاندين من قوم ثمود الذين عصوا أمر الله تبارك وتعالى، وخالفوا أوامره، وقتلوا الناقة، برغم ما لاقوه من التحذير والوعيد، فنزل بهم ما نزل من العذاب والنكال والموت ليستأصل كفرهم ويذيقهم ألوان ما صنعوا من باطل، فصعقهم صعقاً فماتوا.

وهم لمَّا رأَوا العلامات التي بيَّنها لهم صالح عليه الصلاة والسلام من إصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها، عمدوا إلى قتله، فنجاه الله تعالى إلى فلسطين، وفي اليوم الرابع في ضحوته أتتهم الصيحة فهلكوا[٣٤٥].

يقول الصابوني: «أي فاستكبروا عن امتثال أمر الله، وعصوا رسولهم، فعقروا الناقة، فأخذتهم الصيحة المهلكة، صيحة العذاب، وهم يشاهدونها ويعاينونها؛ لأنها جاءتهم في وضح النهار»[٣٤٦].

---

(٣٤٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٧، والبدور الزاهرة ص٣٨١.

(٣٤٤) انظر: لسان العرب ج١٠ ص١٩٨.

(٣٤٥) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٣٩.

(٣٤٦) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٣٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالألف ﴿ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ على معنى العذاب المهلك الذي حلَّ بقوم ثمود وقتلهم جميعاً.

أما القراءة بدون ألف (الصعقة)، للدلالة على المرة الواحدة، بمعنى أنها حدثت لهم مرة واحدة، لا مرات متتالية، وهذه المرة كانت كفيلة بإهلاكهم جميعاً.

قال البيضاوي: «وقرأ الكسائي (الصعقة) وهي المرة من الصعق»[٣٤٧].

وذهب إلى ذلك مجموعة من المفسرين منهم: النسفي[٣٤٨]، وأبو السعود[٣٤٩].

وقال ابن زنجلة: «بغير ألف وهي مصدر صعق يَصْعَقَ صعْقاً وصعْقةً واحدة، وحجته أن الصعقة هي المرة الواحد»[٣٥٠]. وقال بذلك أبو منصور[٣٥١] وابن خالويه[٣٥٢].

وذهب آخرون إلى الصاعقة بدون ألف هي الصيحة، وهي الصوت الذي يكون من الصعق.

فقال الدكتور محمد محيسن: «بحذف الألف وسكون العين على إرادة الصوت الذي يصحب الصاعقة، و(الصاعقة) بالألف بعد الصاد وكسر العين، على إرادة النار النازلة من السماء للعقوبة»[٣٥٣]. وهذا هو رأي الشيخ أحمد البنا[٣٥٤].

---

(٣٤٧) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٤٠.
(٣٤٨) انظر: تفسير النسفي م٢ ج٤ ص١٨٧.
(٣٤٩) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٣٩.
(٣٥٠) حجة القراءات ص٦٨٠.
(٣٥١) انظر: معاني القراءات لأبي منصور ج٣ ص٣١.
(٣٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٣٢.
(٣٥٣) المستنير ج٣ ص١٢٦.
(٣٥٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٩٣.

ويرى الباحث: أن الصوت والصيحة، إنما هما واقعاً في كلا الحالتين، وثابتاً في كلا القراءتين، ويدل على ذلك ما ذهب إليه ابن عطية حيث قال: «وهي على القراءتين الصيحة العظيمة، ومنه يقال للوقعة الشديدة من الرعد صاعقة، وهي التي تكون معها النار»(٣٥٥). وقال أبو منصور: «ومن قرأ (الصاعقة) عنيَ بها الصيحة التي أهلكتهم»(٣٥٦).

وهذا يدل على أن الصاعقة تصاحبها الصيحة في كلا القراءتين.

ولا إشكال في ذلك، ويكون المعنى على القراءة بالألف أن هذه الصاعقة هي عذاب، ونار نازلة من السماء، ويصاحبها وهي نازلة صيحةٌ وصوتٌ مرتفعٌ وعظيمٌ.

وعلى القراءة بدون ألف، يظهر أن هذا العذاب، وهذه النار المهلكة المصحوبة بالصيحة، وهو الصوت العظيم المرتفع، إنما حدثت مرة واحدة، والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلّتا على نزول عذاب الله تعالى عليهم، وهو الصاعقة المصاحبة للصيحة العظيمة، وهذه الصاعقة إنما حدثت لهم مرة واحدة، فكانت صعقة واحدة مع صيحة واحدة، فأهلكتهم جميعاً.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات: ٤٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف (وقومِ نوح) بخفض الميم.

(٣٥٥) المحرر الوجيز ج٥ ص١٨٠.

(٣٥٦) معاني القراءات ج٣ ص٣١.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَقَوْمَ﴾ بنصبها[٣٥٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

القَوْمُ: الجماعةُ من الرِّجالِ والنِّساءِ أو الرجالِ خاصة، أو تدخله النساء على التَّبَعِيَّة. والقوم جمع أقوام، وجمع الجمع أقاوم[٣٥٨].

التفسير:

المعنى أي أهلكنا قوم نوح بالطوفان من قبل إهلاك هؤلاء المذكورين، وهم قوم ثمود وعاد وغيرهم ممن استحقوا عقاب الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ﴾ تعليلٌ للهلاك، أي لأنهم كانوا فسقة خارجين عن طاعة الرحمن بارتكابهم الكفر والعصيان، أصابهم هذا الإهلاك الشديد، والموت المحقق[٣٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالكسر، معنى أن في قوم نوح آية وعبرة، وذلك أنهم قد حدث لهم المكروه، ونزل بهم العذاب بسبب كفرهم، وذلك على اعتبار أنها معطوفة على (ثمود).

أما القراءة بالفتح فقد أفادت بيان حقيقة ما حصل لهم، ووصفت نوع العذاب الذي حلّ بهم، وهو الغرق والإهلاك الشامل، مثل ما حدث لقوم موسى.

قال أبو حيان: «﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي وأهلكنا قوم نوح؛ لأن ما قبله يدل عليه. وقال: والجر عطفاً على ثمود أي وفي قوم نوح آية»[٣٦٠]. قال ابن

---

(٣٥٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٧.

(٣٥٨) انظر: الصحاح في اللغة ص٩٦٥، والقاموس المحيط ص١٠٣٩.

(٣٥٩) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٣٩ (بتصرف).

(٣٦٠) انظر: تفسير البحر المحيط ج٨ ص١٣٩ (بتصرف).

عاشور: «بالنصب بتقدير أذكر أو بفعل محذوف، يدل عليه ما ذكر من القصص قبله، تقديره، وأهلكنا قوم نوح»[(٣٦١)].

وقال أبو منصور: «من نصب فهو معطوف على معنى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾، ومعناه فأهلكناهم وأهلكنا قوم نوح من قبل.

ويجوز أن يكون محمولاً على قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الذاريات: ٤٠] أي فأغرقناه وجنوده، وأغرقنا قوم نوح من قبل. ومن خفض ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ فالمعنى وفي قوم نوح آية»[(٣٦٢)].

وقال ابن خالويه: «فالحجة لمن نصب أنه رده على قوله تعالى: ﴿وَفِى ثَمُودَ﴾ [الذاريات: ٤٣]»[(٣٦٣)].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن ما حدث لقوم نوح من عذاب، كان آية وعبرة لكلِّ المكذِّبين، وهذا العذاب الذي حل بهم كان الغرق والإهلاك.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (ليعبدوني) بإثبات الياء في الوصل والوقف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ بحذف الياء في الوصل والوقف[(٣٦٤)].

---

(٣٦١) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٧ ص١٤.

(٣٦٢) معاني القراءات ج٣ ص٣١.

(٣٦٣) الحجة في القراءات ص٣٣٢.

(٣٦٤) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٤، النشر ج٢ ص٢٨٧.

المعنى اللغوي للقراءتين:

العبد الإنسان حرًّا كان أو رقيقاً، يُذْهَبُ بذلك إلى أنه مربوب لباريه ﷻ[٣٦٥].

والعَبْدُ خِلاف الحُرِّ، وجمعه عبيدٌ وأعبُدٌ وعُبَادٌ[٣٦٦]. والعبادةُ الطَّاعة، والتَّعَبُّد التَّنَسُّك[٣٦٧].

التفسير:

هذه الآية تلفت نظر الإنسان، وتأخذ بلبّه إلى حقيقة مهمة، وهي سبب خلقه ووجوده، وذكر الجن لأنه مشارك لهم في هذه الحقيقة على هذه الأرض على الأقل.

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس تتمثل في وظيفة من قام بها وأدّاها، فقد حقق غاية وجوده، ومن قصَّر فيها، أو نَكَلَ عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى، وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع. هذه الوظيفة المعنية التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود، هي العبادة لله، أو هي العبودية لله، أن يكون هناك عبدٌ وربٌّ. عبدٌ يَعْبُد، ورب يُعْبَد، وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار»[٣٦٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون ياء، بيان وظيفة الإنس والجن، وسبب خلقهم، وهي العبادة. عبادة الله تعالى.

---

(٣٦٥) انظر: لسان العرب ج٣ ص٢٧٠.

(٣٦٦) انظر: الصحاح في اللغة ص٧٠٠.

(٣٦٧) انظر: مختار الصحاح ص٢٢٧.

(٣٦٨) الظلال ج٦ ص٣٣٨٧ (بتصرف).

أما القراءة بياء الملكية، فجاءت لمزيد بيان وتأكيد أن هذه العبادة هي لله وحده، فلا يشرك في هذه العبادة أحد معه، وكأنه سبحانه يقول: ليعبدوني أنا وحدي ولا يعبدوا معي غيري.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أنه لا غنى عن واحدة من الاثنتين فالقراءة بدون ياء بيّنت سبب خلق الله تعالى للإنسان والجن، وهي العبادة لله تعالى. وهذه العبادة لا تكون إلا لله وحده، وهذا ما دلّت عليه القراءة بإثبات الياء، وكأنه سبحانه يقول: يعبدوني أنا وحدي.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٧].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (يطعموني) بإثبات الياء في الوصل والوقف.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يُطْعِمُونِ﴾ بحذف الياء في الوصل والوقف[٣٦٩].

المعنى اللغوي للقراءتين:

الطَّعامُ ما يُؤكل، وربما خُصَّ بالطَعام البُرُّ. والطَعْمُ بالفتح ما يؤدِّيه الذَّوق. يقال: طَعْمُهُ مُرٌّ. والطَّعْمُ أيضاً ما يُشتَهى منه. يقال: ليس له طَعْمٌ، وما فلان بذي طَعْم إذا كان غثاً.

والطُعمُ بالضم الطَّعامُ[٣٧٠].

(٣٦٩) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٤، والنشر ج٢ ص٢٨٧.

(٣٧٠) انظر: الصحاح في اللغة ص٦٧١.

التفسير:

تتحدث هذه الآية عن موضوع بالغ الأهمية في حياة الناس، وهو الرزق. ولأن مسألة الرزق، وكيفية تحصيله مسألة تشغل بال وفكر الكثير من الخلق، وتستنزف جهودهم وأوقاتهم، بل وقد تشغلهم عن الحقيقة، والسبب والهدف الذي خُلقوا لأجله، وهو عبادة الله الواحد القهار.

بيَّن الله ﷻ لهم أن هذا كله بيده، وهو المتصرف به كيف يشاء، فهو ﷻ الرزَّاق الذي يقدِّر الرزق وينزله على خلقه بعلمه وحكمته. لذلك فلا ينبغي لهم أن ينشغلوا عن هدفهم وقصدهم وعبادتهم لله بحجة البحث عن الرزق. كما أنه سبحانه هو إلهٌ واحدٌ أحد، ليس مثل تلك الآلهة التي تريد ممن يعبدونها أن يشاركوها في الإطعام والرزق.

والله ﷻ ليس بحاجة للطعام، بل هو الذي يُطْعِمُ.

قال البيضاوي: «والمراد أن يبيِّن أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم»[٣٧١]. وقال الصابوني: «فكأنه ﷻ يقول: ما أريد أن أستعين بهم كما يستعين السادة بعبيدهم، فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي»[٣٧٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون ياء أن الله تعالى لا يريد منهم أن يطعموا أنفسهم، ولا غيرهم من عباده.

جاء في البحر المحيط: «المقصود أي أن يطعموا خلقي»[٣٧٣].

وقال ابن الجوزي: «أي أن يطعموا أحداً من خلقي لأني أنا الرزاق.

---

(٣٧١) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٤٢.

(٣٧٢) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٣٧٣) البحر المحيط ج٨ ص١٤١.

وإنما أسند الإطعام إلى نفسه؛ لأن الخلق عيالُ الله، ومن أطعَمَ عيالَ الله فقد أطعمه»[٣٧٤].

أما القراءة بإثبات الياء، فقد أفادت بأن الله تعالى لا يريد منهم أن يطعموه، وأن لا ينشغلوا عن عبادته بذلك، وفي تحصيل الرزق له. وفي هذا تعريض لأصنامهم، فإنهم كانوا يعملون معها ما ينفعها، ويحضرون لها الأكل، فلربما أكلته الكلاب، ثم بالت على الأصنام، ثم لا يصدهم ذلك[٣٧٥]. وقال البيضاوي: «أي ما أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي، فاشتغلوا بما أنتم مخلوقين له ومأمورين به، والمراد أن يبيّن أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم»[٣٧٦] وقد مرَّ سابقاً. وقال صاحب الوسيط: «أي ما أريد منهم منفعة ولا رزقاً كما يريد الناس بعضهم من بعض، وما أريد منهم طعاماً ولا شراباً، فأنا الذي أُطعِمُ ولا أُطعَم»[٣٧٧].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين نقول: إن الله تعالى لا يريد من عباده أن يطعموا أنفسهم، ولا غيرهم من الخلق، وكذلك لا يريد منهم أن ينشغلوا في تحصيل الرزق له ﷻ، فهو الذي يُطْعِمُ ولا يُطْعَم، إنما يريد منهم أن ينتبهوا إلى الوظيفة التي خُلقوا من أجلها، وهي عبادته وحده ﷻ.

١١ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩﴾ [الذاريات: ٥٩].

(٣٧٤) انظر: زاد المسير ص١٣٥٢.
(٣٧٥) انظر: نظم الدرر ج٧ ص٢٨٩.
(٣٧٦) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٤٢.
(٣٧٧) التفسير الوسيط ج١٤ ص٣٥.

القراءات:

١ - قرأ يعقوب (تستعجلوني) بإثبات الياء في الوصل والوقف.

٢ - وقرأها الباقون ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ بحذف الياء وصلاً ووقفاً[٣٧٨].

المعنى اللغوي للقراءتين:

العَجَلُ والعَجَلة السرعة خلاف البطء. ورجلٌ عَجِلٌ وعَجُلٌ وعَجْلانُ وعاجلٌ وعَجِيلٌ من قوم عَجالى وعُجالى وعِجالٍ[٣٧٩].

التفسير:

وبعد هذا العرض الطويل الذي قدمته هذه السورة، يختتمها الله ﷻ بالإنذار، والتهديد للذين ظلموا واستعجلوا وعد الله تعالى، فإنه سيصيبهم من العذاب مثل ما أصاب من قبلهم.

قال الطبري: «ومعنى الكلام فإن للذين ظلموا نصيباً من عذاب الله، وحظاً نازلاً بهم، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم، على مناهجهم من العذاب، فلا يستعجلون به»[٣٨٠]. وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ هم أهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذَّبوا الرسول ﷺ وأنكروا رسالته، ومعنى ذنوباً أي حظاً ونصيباً[٣٨١].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بحذف الياء على أنهم وصلوا في تكذيبهم إلى درجة أنهم يستعجلون العذاب، أي أنهم هم الذين يستعجلون بقدوم العذاب عليهم، وحلوله بهم.

---

(٣٧٨) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٧، والبدور الزاهرة ص٣٨١.

(٣٧٩) انظر: لسان العرب ج١١ ص٤٢٥.

(٣٨٠) جامع البيان ج٩ ص٧٦٤٢.

(٣٨١) انظر: البحر المحيط ج٨ ص١٤١.

أما القراءة بإثبات الياء فقد أفادت بأنهم بهذا السلوك إنما هم يستعجلون الله تعالى بمعنى أنهم يطلبون من الله تعالى أن يعجل لهم العذاب. وهذا يظهر مدى جهلهم وتجرؤهم على الله تعالى.

والقراءة بإثبات الياء فيها تهديد ووعيد لهم؛ وذلك لأن الله تعالى هو الذي سيتولى تعذيبهم، وإن حدث ذلك فسيكون عذابهم ساحقاً ماحقاً ومهلكاً.

قال الألوسي: «﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي لا يطلبون مني أن أعجل في الإتيان به، يقال: استعجله أي حثه على العجلة وطلبها منه»[٣٨٢]. وذكر حقي أن أصله بياء المتكلم، أي لا يطلبون مني أن أعجَلَ في المجيء به، لأن له أجلاً معلوماً، فهو نازلٌ بهم لا محالة في وقته المحتوم[٣٨٣].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هؤلاء الكفار كانوا هم أنفسهم يستعجلون قدوم العذاب، وأنهم كذلك يطلبون من الله تعالى أن يستعجل لهم حدوث العذاب، وهذا غاية في الجهل والاستهزاء. وقول الله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ فيه تهديد ووعيد لهم.

تمت سورة الذاريات بحمد الله تعالى وتوفيقه.



(٣٨٢) روح المعاني ج١٤ ص٢٤.

(٣٨٣) انظر: تفسير حقي ج٩ ص١٨١.



الفصل الثاني
تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الطور ـ النجم ـ القمر ـ الرحمٰن

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الطور المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة النجم المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة القمر المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة الرحمٰن المتضمنة للقراءات العشر.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الطور
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وهي تسع وأربعون آية، وهذه السورة سورة جليلة، تمثل حملة عميقة التأثير في القلوب البشرية، وهي عبارة عن مطاردة عنيفة للهواجس والشكوك والأباطيل؛ لتثبت الحق وتؤكده، وتبطل الباطل وتقوض أركانه[٣٨٤].

سبب التسمية:

سميت سورة الطور بهذا الاسم؛ لأن الله تعالى بدأ هذه السورة الكريمة، وافتتحها بالقسم بجبل الطور، الذي كلم الله تعالى عنده موسى عليه السلام[٣٨٥].

مناسبتها لما قبلها:

لما كان آخر سورة الذاريات فيه تحذير ووعيد للكافرين المنكرين،

(٣٨٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٩٠.

(٣٨٥) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٤٣.

وبيان ما ينتظرهم من عذاب ونكال، جاء مطلع سورة الطور؛ ليؤكد حدوث ذلك مصحوباً بالقسم من الله تعالى(٣٨٦).

الموضوع العام للسورة:

ابتدأت السورة بالحديث عن أهوال يوم القيامة وشدائدها، وما سيلقاه الكافر في ذلك اليوم الرهيب المهيب، واستعرضت السورة رسالة محمد ﷺ، وأنكرت على الكافرين بها المنكرين لها، وحذَّرتْهم وردَّت عليهم بالحجة والبرهان، ثم اختتمت السورة بالتهكم على تلك الآلهة والأصنام التي يؤمن بها الكافرون تهكماً وسخريةً بتلك العقول التافهة، التي اتخذت الأصنام آلهة، وتركت عبادة الله تعالى الواحد القهار(٣٨٧).

١ ـ قال تعالى: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ [الطور: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (فكهين) بحذف الألف بعد الفاء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بإثبات الألف(٣٨٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الفاكِهةُ معروفةٌ، وأجناسُها الفَواكِهُ، والفاكِهانيُّ بالضم الذي يبيعها، والفُكاهَةُ بالضَّم المُزاحُ والفَكاهَةُ بالفتح مصدر فَكِهَ الرجلُ بالكسر فهو فَكِهٌ إذا كان طيِّبَ النَّفْس مَزَّاحاً.

و(فاكهين) أي ناعمين(٣٨٩). والتفكّه التعجب(٣٩٠).

---

(٣٨٦) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٧.

(٣٨٧) انظر: الظلال ج٦ ص٣٣٩١، ٣٣٩٢، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٤٣.

(٣٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٢.

(٣٨٩) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٧٣.

(٣٩٠) انظر: المصباح المنير ص٢٨٥.

التفسير:

هذه الآية تصف لنا الحالة التي يكون عليها المؤمنون في الجنات، حيث إنهم يكونون في نعيم مقيم، وهم فرحون وطيبة نفوسهم فرحاً ورضاً بما آتاهم الله من فضله، وكذلك لأن الله نجّاهم من النار وعذابها.

قال ابن كثير: «أي يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ، من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك .. ﴿وَوَقَنٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها، مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٣٩١].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإسقاط الألف، على معنى أنهم في الجنة يكونون فرحين ومسرورين.

أما القراءة بإثبات الألف، فقد أفادت بأنهم وهم في هذه الحالة أصحاب فاكهة أي عندهم فاكهة كثيرة متعددة ومتنوعة، وهم في هذا كلّه ناعمون.

قال مقاتل: «(فكهين) يعنى معجبين، ومن قرأها ﴿فَٰكِهِينَ﴾ يعنى ناعمين محبورين»[٣٩٢].

وجاء في المستنير: «بحذف الألف التي بعد الفاء، على أنها صفة مشبهة من فكه بمعنى فرح، وبإثبات الألف على أنها اسم فاعل بمعنى أصحاب فاكهة كلابن وتامر»[٣٩٣].

وقال القرطبي: «﴿فَٰكِهِينَ﴾ أي ذو فاكهة كثيرة: يقال رجل فاكه أي

---

(٣٩١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٥٨.

(٣٩٢) تفسير مقاتل ج٣ ص٢٨٣.

(٣٩٣) انظر: المستنير ج٣ ص١٢٨.

ذو فاكهة كما يقال: لابن وتامر، أي ذو لبن وتمر، وقال: (فكهين) بغير ألف ومعناه معجبين ناعمين»(٣٩٤).

وعلى هذا يكون الفرق واضح بين القراءتين، فهي بدون ألف، أفادت وصف حالة الرضا والفرح التي هم عليها، وبإثبات الألف أفادت بأنهم وهم في هذه الحال من الفرح والسرور والرضا، عندهم كل ما تشتهيه أنفسهم من أصناف وأنواع الثمار والفواكه.

الجمع بين القراءتين:

وفي حال الجمع بين القراءتين، يتبيّن لنا أن هؤلاء المؤمنين الذين أدخلهم الله في جنته، وأظلّهم في رحمته، هم في نعيم وسعادة، وفرح وسرور، وهم كذلك عندهم جميع ما يشتهون من أصناف الفاكهة الطيبة الطعم، المتعددة الأصناف والألوان.

٢ ـ قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ٢٠﴾ [الطور: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (متكين) بحذف الهمزة في الحالين أما حمزة يحذفها عند الوقف فقط في أحدى وجهيه.

٢ ـ وقرأها حمزة بالتسهيل بين بين وهو الوجه الآخر له.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ بإثبات الهمز(٣٩٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

المُتَّكَأ مَوضِع الاتّكاء، ومعناه في الآية الكريمة المجلس، وتَوَكَّأَ على

(٣٩٤) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٩٤ (بتصرف).

(٣٩٥) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٢.

العصا وَأَوْكَأه إيكاءً أي نَصَبَ له مُتكأً[٣٩٦].

التفسير:

لا يزال وصف حال المؤمنين في الجنة وما هم فيه من النعيم قائماً ولكن هذه المرة يصف الله تعالى لنا حالهم كيف يتكئون وعلى ماذا يتكئون.

قال السمرقندي: «أي مستندين استناد راحة لأنهم يُخْدَمُون فلا حاجة لهم إلى الحركة»[٣٩٧].

وقال الصابوني: «أي جالسين على هيئة المضجع على سرر من ذهب مكللة بالدر والياقوت، مصطفَّة بعضها إلى جانب بعض»[٣٩٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بإثبات الهمز؛ للدلالة على الحال التي يكون عليها أصحاب الجنة، إذ إنهم متكئون على سرر مصفوفة، بينما أفادت القراءة بحذف الهمز؛ للدلالة على سهولة هذا الاتكاء، وحصوله بسرعة ويسر وسهولة، فهم يتكئون متى شاءوا، وكيفما شاءوا، على سرر مريحة وفسيحة، والله تعالى أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾

١ ـ قرأها أبو عمرو (وأتبعناهم) بقطع الهمزة وفتحها، وإسكان التاء

(٣٩٦) انظر: مختار الصحاح ص٣٩١.

(٣٩٧) نظم الدرر ج٧ ص٢٩٧.

(٣٩٨) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٤٦.

والعين، ونون وألف بعدها.

٢ ـ وقرأها الباقون (واتَّبعَتْهم) بوصل الهمزة، وتشديد التاء، وفتح العين، وتاء ساكنة بعدها[٣٩٩].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾

١ ـ قرأ أبو عمرو (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بالألف وكسر التاء.

٢ ـ وقرأها ابن عامر ويعقوب (ذُرِّيَّاتُهُم) بالألف وضم التاء.

٣ ـ وقرأها الباقون (ذُرِّيَّتُهُمْ) بضم التاء من غير ألف[٤٠٠].

ج ـ قوله تعالى ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ﴾

١ ـ قرأ المدنيان والبصري والشامي: (ذرياتهم) بألف بعد الياء على الجمع مع كسر التاء.

٢ ـ وقرأها الباقون بحذف الألف على التوحيد مع نصب التاء[٤٠١].

د ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾

١ ـ قرأ ابن كثير (ألِتناهم) بكسر اللام.

٢ ـ وقرأها الباقون بالفتح[٤٠٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (واتبعتهم): تَبِعْتُ القَوْمَ تَبَعاً وتَباعَةً بالفتح إذا مَشيت خلفهم، أو مرُّوا بك فمَضَيْتَ معهم؛ وكذلك اتَّبَعْتُهم، وأتْبَعتُ القوم إذا كانوا قد سبقوك فلَحِقتَهم، وتَبِعْتُه وأتْبَعْتُهُ بمعنى واحد[٤٠٣].

---

(٣٩٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٧.

(٤٠٠) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٥.

(٤٠١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٢.

(٤٠٢) انظر: غيث النفع ص٥٠٢، البدور الزاهرة ص٣٨٢.

(٤٠٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٥.

ب ـ **(ذريتهم)**: الذَرُ النسل، والذرية فعلية من الذر وهم الصغار، وتكون الذرية واحداً وجمعاً[٤٠٤]. وذرية الرجل ولده، والجمع الذراري والذريات[٤٠٥].

ج ـ **(ألتناهم)**: وألته ماله وحقه يألته ألتاً من حَدَّ ضرب: المعنى نقصه. سبق تعريفها في سورة الحجرات[٤٠٦].

التفسير:

يخبر الله تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه بهم، وذلك أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان، يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقرّ أعين الآباء بالأبناء في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك في عمله ومنزلته؛ للتساوي بينه وبين ذلك، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، فإن كان الولدُ أرفع درجة من والده رُفع والده إليه[٤٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولا: قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ﴾

أفادت القراءة بهمزة القطع وألف بعد النون، بأن الفعل مضاف إلى الله تعالى، وهو على معنى جعلنا ذريتهم مؤمنين، وألحقناهم بهم في الجنة.

وأما القراءة بهمزة الوصل وبدون ألف بعد النون، فقد أفادت بأن الفعل مضاف إلى الذرية، وهو على معنى أن الذرية تبعت المؤمنين على الإيمان، فألحقهم الله بهم في الجنة.

قال السمرقندي: «من قرأ (اتبعناهم) معناه ألحقناهم يعنى الذين آمنوا،

---

(٤٠٤) انظر: المصباح المنير ص١٢٦.
(٤٠٥) انظر مختار الصحاح ص١٢٩.
(٤٠٦) انظر ص٧٥.
(٤٠٧) انظر: معاني القرآن ج٣ ص٩٢، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٥٩.

وجعلنا ذريتهم مؤمنين، ألحقنا بهم ذريتهم في الجنة في درجتهم، ومن قرأ (واتبعتهم) بغير ألف يعني ذريتهم معهم»[٤٠٨].

وقال مكي: «وحجة من قطع الألف أنه أضاف الفعل إلى الله تعالى جل ذكره، فحمله على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، وقال: وحجة من أضاف الألف أضاف الفعل إلى الذرية فارتفعت بفعلها، ولولا الجماعة لكانت القراءة الأولى أحب إليّ لصحة معناها؛ ولأنه ليس كل من آمن اتبعته ذريته بإيمان. إنما ذلك إلى الله تعالى يوفق من يشاء من ذرية المؤمنين إلى الإيمان بمثل إيمانهم، ويخذل من يشاء فلا يوفقه إلى الإيمان»[٤٠٩].

ويرى الباحث: إن هذا الكلام الذي ورد في الكشف يحتاج إلى تصويب، وذلك لأنه يقول: ولولا الجماعة لكانت القراءة الأولى أحب إليّ لصحة معناها؛ ولأنه ليس كل من آمن اتبعته ذريته بإيمان. وهو بهذا وكأنه يشكك في صحة القراءة الثانية، ولكن ولأن القراءة الثانية عليها الجماعة قَبِلَها مضطراً وغيرَ مقتنع بها. فهو يقول: أحب إليّ لصحة معناها، وهل كان المعنى في القراءة الثانيَة غير صحيح حسب وجهة نظره، ثم يقول: ولأنه ليس كل من آمن اتبعته ذريته بإيمان ... إلى آخر الكلام.

وللرد على هذا الكلام نقول:

أولاً: إن كلا القراءتين صحيحتان، فبالتالي معناهما صحيح، ولا يكون معنى إحداهما صحيحاً والآخر ليس صحيحاً.

ثانياً: من قال بأن القراءة الثانية (واتبعتهم) بأنها تدل على أن المؤمنين ستتبعهم وستلحقهم ذرياتهم بدون إذن من الله، أو توفيق منه ﷻ، فالمشكلة ليست في القراءة الثانية، ولكن في كيفية فهم قصدها ومعناها.

وبعد هذا العرض يتضح الآتي:

---

(٤٠٨) بحر العلوم ج٣ ص٢٨٤.

(٤٠٩) الكشف ج٢ ص٢٩٠ (بتصرف).

إن القراءة (واتبعتهم) بهمزة الوصل وبدون ألف بعد النون تفيد التتابع والمشاهدة والقرب، وكأنه يقصد الذرية المقربة من الزوجة والأولاد، بدليل القراءة في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ على الإفراد بدون ألف ولا جماعة.

أما القراءة (واتبعناهم) بهمزة قطع وألف بعد النون فقد تشير على معنى أكبر وأشمل وأبعد، وهي تفيد معنى الإلحاق، والإلحاق أبعد من التتابع؛ لذلك سُمِّيَ من عاصروا الصحابة تابعون؛ لقربهم. أما من جاء بعدهم، ونحن، ومن سيأتي بعدنا لاحقون.

وعلى هذا يكون المعنى في قراءة (واتبعناهم) أي والذين شاء الله لهم بأن يسيروا على الإيمان من أحفادهم، وإن جاءوا بعدهم بسنوات، وإن لم يرَ الآخرون منهم الأولين، كلهم سيجمعهم الله تعالى مع بعضهم البعض في جنته، ودليل ذلك قوله تعالى على قراءة الجمع: (واتبعناهم ذرياتهم)، فهي ليست ذرية واحدة، بل ذريات وأقارب كثر. وهي كذلك دلت أنه في المحصلة أنه ستكون ذريات كبيرة وكثيرة مجتمعة؛ وذلك لأن كل واحد منهم يجب أن يكون معه ولده، والولد يجب أن يكون معه ولده، والولد الآخر هذا يجب أن يكون معه ولده وهكذا. قال أبو السعود: «وقُرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة»[410].

وهناك لطيفة بين القراءتين وهي:

عبَّر القرآنُ الكريم على قراءة: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ وأضاف وأسند الفعل إلى الذرية على اعتبار الذرية القريبة، وهم الزوجة والأولاد، وكأنه يقول: أن الأصل والأجدر بالذرية القريبة المُشَاهِدة والمتابِعة أن تختار هذا الإتباع بنفسها؛ لأنها رأت هذا الأب الصالح والأم الصالحة، بل إن هذا الأب الصالح المؤمن، وهذه الأم الصالحة المؤمنة، هي التي ربَّت ذريتها، وعلَّمتهم الإيمان والصلاة. فالأصل في هذه الذرية القريبة والمُشَاهِدة، أن لا يكون لها خياراً إلا أن تتبع وتسير خلف وليّها، وأن تكون مبادرة لاختيار

(٤١٠) تفسير أبو السعود ج٦ ص١٤٦.

ذلك من نفسها وبإرادة الله تعالى لذلك أسند الفعل في الإتباع إليها.

كذلك كان تعبير القرآن على قراءة (واتبعناهم)، وأضاف وأسند الفعل إليه ﷻ، وذلك على اعتبار أن هذه الذرِّيَّات الكثيرة والمتباعدة في الزمن، فلربما جاء لهذا الصالح الذي توفاه الله ﷻ من ذريته صالحون من أحفاده، ولربما كان الأب القريب لهذه الذرية غير مؤمن وليس له فضل عليهم بالإيمان، فأراد الله تعالى لهؤلاء الأولاد والذرية بالإيمان، فضلاً منه، فألحقهم بجدهم الأول الذي لم يروه، وهذا يحتاج إلى فعل الله تعالى الخالص؛ لذلك كان إسناد الفعل إلى الله ظاهراً والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وفى الجمع بين القراءتين، يظهر لنا بان الله تعالى سيجمع المؤمنين مع ذرياتهم في جنته، وفي درجتهم رحمة منه ومنّة، حتى ولو كانوا ألفاً من الأولاد قليلاً كانوا أو كثيراً.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾

أفادت القراءة بدون ألف أن المراد جنس الذرية.

أما القراءة بألف مع كسر التاء، فقد أفادت جمع ذرية.

أما القراءة بألف مع ضم التاء، فقد أفادت الجمع مع المبالغة في التكثير.

قال السمرقندي: «من قرأ ذرياتهم بألف فهو جمع ذرية، من قرأ بغير ألف فهو عبارة عن جنس، ويقع على الجماعة أيضاً»[٤١١].

وقال البيضاوي: «بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح، فإن الذرية تقع على الواحد والكثير»[٤١٢]. وذكر أبو السعود أنها للمبالغة في

(٤١١) بحر العلوم ج٣ ص٢٨٤.
(٤١٢) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٤٧.

الكثرة[٤١٣].

وقال مكي: «القراءة بالجمع لكثرة ذرية المؤمنين، فحملوه على المعنى فكسروا التاء؛ لأنه جمع مُسَلَّم منصوب ب (ألحقنا)، ولفظ الجمع فيها هو الاختيار؛ لكثرة من تناسل من المؤمنين واتبعوا منهاج آبائهم في الإيمان»[٤١٤].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر أن الله تعالى سيجمع المؤمنين مع ذريتهم في الجنة، وهذه الذرية قد تكون ذريات كثيرة، حتى ولو بلغ عدد الأولاد ألفاً أو أكثرَ.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ﴾

والقول فيها مثل ما قلنا في القراءة السابقة ﴿ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾[٤١٥].

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾

وقد مضى الحديث عنها في اللغة والتفسير في سورة الحجرات، وهي بمعنى واحد من اللغات العربية[٤١٦].

٤ ـ **قال تعالى**: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ المكي والبصريان (لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ) بفتح الواو من (لغو) والميم من (تأثيم) من غير تنوين.

---

(٤١٣) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٤٦.
(٤١٤) الكشف ج٢ ص٢٩١ (بتصرف).
(٤١٥) انظر: الصفحة السابقة ١٣٨.
(٤١٦) انظر: ص٧٥ و٧٦.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ برفعهما مع التنوين.

٣ ـ وقرأ (تأثيم) بإبدال الهمز ألفاً ورش والسوسي وأبو جعفر، وفي الوقف فقط حمزة[٤١٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

اللَّغو واللَّغا السَّقَط وما لا يعتدّ به من الكلام وغيره، ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع[٤١٨].

التفسير:

وفي هذه الآية الكريمة يعرض لنا المشهد ألوان المناعم واللذائذ في ذلك النعيم، فإذا هم يتعاطون كأساً ليست كخمر الدنيا، تطلق اللغو والهذر من الشفاه والألسنة، وتشيع الإثم والمعصية في الحس والجوارح، إنما هي مصفّاة مبرأة، يعطونهم إياها الخدم بأيديهم، وهذا التعاطي (كأساً) يعني خمراً، ولا حلف في شربهم، ولا مأثم يعني ولا كذب، كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمر[٤١٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالرفع والتنوين على وجه الإخبار. بمعنى أن اللغو والتأثيم المعروف والذي نعرفه غير موجود، وليس طابعاً عاماً عندهم.

أما القراءة بالنصب وبغير تنوين، فقد جاءت على وجه التبرئة أي النفي العام لجميع الوجوه من ذلك الصنف، أي لا يوجد أي نوع من أنواع اللغو، ولا تأثيم على الإطلاق، قلَّ أم كثُر، نعرفه كنّا، أم نجهله.

قال الطبري: «بالرفع والتنوين على وجه الخبر، على أنه ليس في

(٤١٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٢.

(٤١٨) انظر: لسان العرب ج١٥ ص٢٥٠.

(٤١٩) انظر: تفسير مقاتل ج٣ ص٢٨٤، والظلال ج٦ ص٣٣٩٧.

الكأس لغو ولا تأثيم.

وقرأ بعض قراء البصرة: (لا لغو فيها ولا تاثيم) نصباً غير منوَّن على وجه التبرئة»[٤٢٠].

وقال السمرقندي: «فمن قرأ بالنصب فهو على التبرئة، ومن قرأ بالضم، فهو على معنى الخبر يعني ليس فيها لغو ولا تأثيم»[٤٢١].

وقال مكي: «وحجة من فتح أنه أراد النفي العام المستغرق لجميع الوجوه من ذلك الصنف»[٤٢٢].

وقال الدكتور محمد محيسن: «برفع الواو والميم مع التنوين، على أن لا نافية للوحدة، وبفتح الواو والميم مع عدم التنوين، على أن لا نافية للجنس»[٤٢٣].

وقال ابن زنجلة: «فمن رفع فعلى ضربين على الرفع بالابتداء و(فيها) خبر، وعلى أن تكون (لا) في مذهب ليس رافعة، ومن نصب فعلى النفي والتبرئة. ثم قال: فمن رفع كأنه جعله جواباً لقول القائل: (أفيهما لغو أو تأثيم) فجعله نفياً لهذا، ومن نصب جعله جواباً لقوله (هل من لغو فيها أو تأثيم) فجوابه (لا لغو فيها ولا تاثيم)»[٤٢٤]. ويقول الدكتور محمد عيسى: «ولقد جاءت مجموعة من الآيات على هذا النحو في القران الكريم»[٤٢٥].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هذا الكأس أو الخمر التي يشربونها في الجنة، ليس فيها لغو ولا تأثيم، بل ليس فيها أيَّ نوعٍ من أنواع اللغو

---

(٤٢٠) جامع البيان ج٩ ص٧٦٦١.

(٤٢١) بحر العلوم ج٣ ص٢٨٤.

(٤٢٢) الكشف ج١ ص٣٠٥.

(٤٢٣) المستنير ج٣ ص١٣١ (بتصرف).

(٤٢٤) حجة القراءات ٦٨٣ (بتصرف).

(٤٢٥) أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي ص٤١٠، ٤١١.

والتأثيم، قليلاً كان أو كثيراً، نعرفه كنا، أو لا نعرفه.

٥ - قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤].

القراءات:

١ - قرأ السوسي وشعبة وأبو جعفر (لؤلؤ) بإبدال الهمزة الأولى مطلقاً[٤٢٦].

٢ - وقرأها حمزة بإبدال الهمزة الأولى في حالة الوقف فقط.

٣ - وقرأ هشام وحمزة بإبدال الهمزة الثانية، ولهما أيضاً التسهيل مع الروم، ولهما إبدال بالواو الخالصة مع السكون والإشمام والروم[٤٢٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

اللؤلؤةُ الدُرَّةُ والجمعُ اللُّؤلُؤُ والَّلآلِئُ، والعرب تقول لصاحب اللؤلؤ لآلٌ على مثال لعَّاع[٤٢٨].

التفسير:

وفي وصف هؤلاء الولدان، الذين يقومون على خدمة المؤمنين في الجنة، يقف الإنسان مع نفسه وقفة يسرح فيها العقل، ويسبح فيها الوجدان، وينجذب إليها القلب انجذاباً.

ثم لم يلبث هذا التأمل طويلاً، حتى ينادي منادي النفس والعقل بانبهار شديد، أيّ نعمة هذه التي سيكون عليها المؤمنون في الجنة؟ إنه، والله لهو الفوز العظيم.

(٤٢٦) يعني إبدالها واواً ساكنة.

(٤٢٧) انظر: غيث النفع ص٥٠٢، والبدور الزاهرة ص٣٨٣.

(٤٢٨) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٣٣.

يقول سيد قطب معلقاً على هذه الآية الكريمة: «في حين يقوم على خدمتهم ويطوف بالكأس عليهم غلمان صِبَاح أبرياء فيهم نظافة وفيهم صيافة وفيهم نداوة»(٤٢٩).

وقال الطبري: «كأنهم لؤلؤ في بياضه وصفائه مكنون يعني مصون في كنّ، فهو أنقى له وأصفى لبياضه»(٤٣٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن كلا القراءتين بمعنى واحد وهنَّ من اللغات العربية فالعرب قد تقرأ بالهمز وقد تترك الهمز تخفيفاً.

٦ ـ **قال تعالى**: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والكسائي (ندعوه أنه) بفتح الهمزة.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ﴾ بالكسر(٤٣١).

المعنى اللغوي للقراءتين:

إنَّ حرف توكيد، تنصب الاسم، وترفع الخبر. وأَنَّ كذلك حرف توكيد ومصدر تنصب الاسم، وترفع الخبر(٤٣٢).

التفسير:

هذه الآية تعرض لنا جانباً من الحديث، الذي دار بين هؤلاء المُنَعَّمين

---

(٤٢٩) الظلال ج٦ ص٣٣٩٧.

(٤٣٠) جامع البيان ج٩ ص٧٦٦٢.

(٤٣١) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٦.

(٤٣٢) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص١٩.

في الجنة، الذين لقوا ما لقوا من النعيم والرغد والفرح والسرور، فتذكروا كيف كانوا يعبدون الله تعالى في الدنيا، وكيف كانوا يدعونه بأنه يمنّ عليهم بالرحمة والوقاية من العذاب؛ لأن الله تعالى هو الذي يقدر على ذلك، فهو البر الرحيم، وهم الآن في هذه اللحظات قد وجدوا ذلك حقاً وعملياً، فهم اليوم ينعمون ويرغدون بهذه الرحمة.

قال القرطبي: «أي في الدنيا بأن يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا وقيل (ندعوه) أي نعبده»[٤٣٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بفتح الهمزة (أنه) بمعنى التعليل أي لأنه برٌّ رحيم، وهو الذي يغفر لنا، ويرحمنا؛ ولأن هذه هي صفته كنّا نعبده خوفاً وطمعاً.

أما القراءة بكسر الهمزة (إنه)، فقد جاءت على الاستئناف، والتأكيد بمعنى: إن الله برٌّ غفورٌ رحيمٌ؛ لذلك هو قد غفر لنا، ورحمنا، وأدخلنا جنته، وإنَّ ما نحن فيه من نعيم ورحمة، هو من آثار مغفرته ورحمته وبرّه بنا.

قال الطبري: «(أنه) بفتح الألف بمعنى: إنا كنا من قبل ندعوه؛ لأنه البرّ، أو بأنه هو البر. وقال: وبالكسر على الابتداء»[٤٣٤]. وقال الألوسي: «(أنه) بفتح الهمزة لتقدير لام الجر التعليلية قبلها، أي لأنه»[٤٣٥]. وقال الشوكاني: «قرأ الجمهور بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ نافع والكسائي بفتحها، أي لأنه»[٤٣٦]. وإلى ذلك القول ذهب ابن عادل وغيره[٤٣٧].

---

(٤٣٣) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٩٨.
(٤٣٤) جامع البيان ج٩ ص٧٦٦٣.
(٤٣٥) روح المعاني ج١٤ ص٣٦.
(٤٣٦) فتح القدير ج٥ ص١١٩.
(٤٣٧) انظر: تفسير اللباب ج١٨ ص١٣٣.

وقال أبو منصور: «من قرأ (ندعوه أنه) بفتح الألف فمعناه؛ لأنه أو بأنه، ومن قرأ: إنه فهو استئناف»[٤٣٨]. وقال مكي: «بفتح الهمزة على تقدير؛ لأنه هو البر و(أن) اسم لدخول حرف الجر عليها، وقرأ الباقون بكسر الهمزة على القطع والابتداء، و(إن) حرف للتأكيد وفي القراءتين بمعنى التأكيد أن الله برّ رحيم، لكن الكسر أمكن في التأكيد من الفتح؛ لأن الكسر فيه معنى الإلزام أنه برٌّ رحيم على كل حال بالمؤمنين، والفتح فيه معنى فعل شيء لأجل شيء آخر؛ لأن دعاءهم إياه كان لأنه برٌّ رحيم بالمؤمنين، فالكسر أبين في التأكيد»[٤٣٩].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أن الله تعالى برٌّ رحيم غفور، وهذه عقيدة عند المؤمنين؛ ولذلك هم كانوا يدعونه ويعبدونه حُبًّاً فيه، وخوفاً منه سبحانه، ورجاءً بأن يغفر لهم ويرحمهم.

٧ ـ **قال تعالى**: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ قنبل وهشام وحفص بخلف عنه (المسيطرون) بالسين.

٢ ـ وقرأ حمزة بخلف عن خلاد (المصيطرون) بإشمام الصاد زاياً.

٣ ـ وقرأها الباقون بصاد خالصة[٤٤٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

سَيْطَرَ سَيْطَرَةً وتَسَيْطَرَ عليهم كان مُسيطراً عليهم أي رقيباً ومتسلطاً

(٤٣٨) معاني القراءات ج٣ ص٣٥.

(٤٣٩) الكشف ج٢ ص٢٩١، ٢٩٢.

(٤٤٠) انظر: غيث النفع ص٥٠٣، والبدور الزاهرة ص٣٨٣.

ومتعهداً لأعمالهم وأحوالهم وأصله من السطر[٤٤١].

التفسير:

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق مجموعة من الآيات الكريمة التي تنكر على الكافرين تكذيبهم وإنكارهم وعدم إيمانهم، والاستمرار في كيدهم للنبي ﷺ.

فالمتصرف الوحيد، والمسيطر على كل تفاصيل هذا الكون، هو الله تعالى، لا هم ولا أحد غيره. وهو ﷻ عنده خزائن الرزق والنبوة.

قال الشوكاني: «﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ أي خزائن أرزاق العباد، وقيل: مفاتيح الرحمة»[٤٤٢]. وجاء في البحر المديد بأن الخزائن بمعنى النبوة والرزق، وغيرها[٤٤٣].

وقال سيد قطب: «وإذا لم يكونوا كذلك، ولم يدعوا هذه الدعوة، فمن ذا يملك الخزائن؟ ومن ذا يسيطر على مقاليد الأمور؟ القرآن يقول: إنه الله القابض الباسط المدبّر المتصرف، وهذا هو التفسير الوحيد لما يجري في الكون من قبض وبسط وتصريف وتدبير بعد انتفاء أن يكونوا هم المالكين للخزائن، المسيطرين على تصريف الأمور»[٤٤٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الواضح أن القراءات الثلاث كلها بمعنى واحد؛ لأن الأصل هي السين، ولكن كتبه بعض الناس، وقرأه بالصاد، مراعاة للطاء ليتناسب النطق[٤٤٥]. قال الألوسي: «(المسيطرون) بالصاد لمكان حرف الاستعلاء

(٤٤١) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٣٦٨.
(٤٤٢) فتح القدير ج٥ ص١٢٢.
(٤٤٣) انظر: البحر المديد ج٧ ص٢٢٧.
(٤٤٤) الظلال ج٦ ص٣٤٠٠.
(٤٤٥) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص١٩٣.

وهو الطاء»(٤٤٦).

وقال ابن زنجلة: «(والمسيطرون) الأرباب المتسلطون. يقال: تسيطر علينا، وتصيطر بالصاد والسين، والأصل السين، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً ويجوز الإشمام»(٤٤٧).

وقال مكي: «وحجة من قرأ (السراط) بالسين، وهو قنبل وابن كثير أن السين في هذا هو الأصل، وإنما أبدل منها صاداً؛ لأجل الطاء التي بعدها، فقرأها على أصلها، ويدل على أن السين هو الأصل أنه لو كانت الصاد هي الأصل لم ترد إلى السين؛ لضعف السين، وليس من أصول كلام العرب أن يردُّوا الأقوى إلى الأضعف، وإنما أصولهم في الحروف إذا أبدلوا أن يردُّوا الأضعف إلى الأقوى أبداً، وحجة من قرأ بالصاد أنه اتبع المصحف وأن السين حرف مهموس فيه تَسَفُّل وبعدها حرف مطبق مجهور مستعل، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المُسْتَفِل المهموس فيه تَكَلُّف وصعوبة، فأبدل من السين صاداً لمؤاخاتها الطاء في الإطباق والتصعيد؛ ليكون عمل اللسان في الإطباق والتصعيد عملاً واحداً، فذلك أسهل وأخف وعليه جمهور العرب وأكثر القراء. ثم قال: وحجة من قرأه بين الصاد والزاي وهو خلف عن حمزة أنه لما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في الجهر؛ لأن الصاد حرف مهموس والطاء حرف مجهور، أشم الصاد لفظ الزاي للجهر الذي فيها فصار قبل الطاء حرف يشابهها في الإطباق وفي الجهر»(٤٤٨).

الجمع بين القراءات:

كلا القراءتين بمعنى واحد، وقد أفادتنا بأن المتصرف الوحيد بهذا الكون هو الله تعالى لا غيره، وإنما أبدلت السين صاداً لصعوبة النطق بالسين عند الطاء، ولنفس السبب أُشربت الصاد زاياً، وتمَّ بيان ذلك سابقاً.

(٤٤٦) روح المعاني ج١٤ ص٣٨.

(٤٤٧) حجة القراءات ص٦٨٤.

(٤٤٨) الكشف ج١ ص٣٤ وذلك عند الحديث عن الصراط في سورة الفاتحة.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الطور: ٤٥].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿يُلَٰقُوا۟﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر (يَلْقَوا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف.

٢ ـ وقرأها الباقون (يُلاَقُوا) بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها مع ضم القاف[٤٤٩].

ب ـ قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾

١ ـ قرأ ابن عامر وعاصم (يصعقون) بضم الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها[٤٥٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (يلاقوا)

لَقِيَه لِقَاءَ بالكسر والمد، ولُقىَ بالضم والقصر، ولُقِيًّا بالضم والتشديد ولُقْيَاناً ولُقْيَانَة واحدة بالضم فيها ولَقْيَه واحدة بالفتح ولِقَاْءة واحدة بالكسر والمد، ولا تقل لَقَاةً فإنها مُوَلَّدة وليست من كلام العرب، وأَلْقَاْهُ طَرَحَهُ تقول أَلْقِهْ من يدك وأَلْقِ به من يدك، وألقى إليه المودَّة وبالمودَّة، والْتَقَوْا وتَلاَقَوْا بمعنى، واستلقى على قفاه، وتَلَقَّاْهُ أي استقبله[٤٥١].

ب ـ (يصعقون)

صعق الإنسان صَعْقاً وصَعَقَاً فهو صَعِقٌ: غُشِيَ عليه وذهب عقله من

---

(٤٤٩) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٣.

(٤٥٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٨.

(٤٥١) انظر: مختار الصحاح ص٣٢٥.

صوت يسمعه كالهَدَّة الشديدة. والصعيق هو الذي صُعِق فَمَات. وقد مر تعريفها في سورة الذاريات[٤٥٢].

التفسير:

جاءت هذه الآية الكريمة بتعابير فريدة عجيبة، فهي إضافة إلى أنها تحمل في طياتها التهديد والوعيد، إلا أنها في هذه المرة قد أوقفت الكافرين المعاندين عند حدِّهم، ووضعت حدّاً لكبرهم وغرورهم، فلا يحسب هؤلاء الكفار الذين يتحدث إليهم النبي، ويناقشهم ويعرض عليهم الإيمان طمعاً في إيمانهم ورحمة بهم، لا يحسبون أن النبي ﷺ في حاجة إليهم، بل الأصل أنهم هم في حاجته، فهم المحتاجون إلى الإيمان، فلا يأخذهم بذلك الغرور، وكأنه يقول لهم: إن بقيتم على عنادكم وتكذيبكم بعد ما عرفتم من الحق الذي جاء به إليكم النبي ﷺ فليس لكم بعد ذلك إلا الذل والإهمال، فلا مجال ولا خيار لكم بعد هذا البيان إلا الإيمان وإتباع الرسول ﷺ، أو ترككم إلى مصيركم المحتوم والعذاب الأليم.

يقول الصابوني في تفسيره لهذه الآية: «أي اتركهم يا محمد يتمادون في غيهم وضلالهم حتى يلاقوا ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة الذي يأتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم ويسلب ألبابهم»[٤٥٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يُلَقُوا﴾

أفادت القراءة بـ(يلقوا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف، أن هؤلاء الكفار المعاندين يلقون هذا اليوم الذي توعدهم به الله تعالى، وما به من شدة وعذاب، وهذا اللقاء لهذا العذاب سيكون بدفعهم إليه، فهم الذين

(٤٥٢) انظر: ص١١٥.
(٤٥٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٥١.

سيلقونه؛ وذلك لأنهم هم الذين اختاروا كفرهم ورفضهم للإيمان في حياتهم الدنيا.

أما القراءة بـ (يلاقوا) فقد أفادت معنى المشاركة والمفاعلة، فإذا كانوا على القراءة الأولى هم المدفوعون للعذاب، المنساقون إليه، فإن العذاب على هذه القراءة مندفع إليهم أيضاً، فأصبح الفعل فيه مشاركة من الطرفين، فكلاهما يندفع إلى الآخر، فهم مدفوعون إلى العذاب، والعذاب مدفوع إليهم.

كذلك فإن هذه المشاركة والمفاعلة تفيد مدى المشقة التي سيلاقيها هؤلاء، لما في المعنى من مكابدة، فهم على هذه القراءة يلاقون ويكابدون ويصارعون، فهم إذن في عذاب وضنك شديدين طويلين، وكلمة (يلاقون) تفيد الاستمرار والتنوع وطول فترة العذاب، ودلّ عليه المد، حيث إن المد يدل على طول زمن الفعل، فهم يلاقون العذاب مرة بعد مرة، وصنفاً بعد صنفٍ. قال إطفيش: «﴿حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟﴾ مفاعلة بمعنى الفعل، وقال: أو شَبَّهَ اليوم بشيء يتلقاهم، فتكون المفاعلة على بابها»[454]. كذلك ويحتمل إضافة لما سبق ذكره أن قراءة (يلقوا) تدل على سرعة لقاء العذاب لهؤلاء الكفار في الدنيا كما حصل معهم في غزوة بدر.

وأما قراءة (يلاقوا) تدل على طول فترة الإمهال لهم، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون في الآخرة؛ لأن المد يدل على طول زمن الفعل، وفي ذلك زيادة تهديد؛ لتذهب نفوسهم كل مذهب ممكن[455].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن لنا بأن هذا العذاب الذي توعدهم الله تعالى به هو عذاب شديد، فيه مكابدة ومفاعلة، وهذا العذاب هو عذاب

(٤٥٤) تفسير إطفيش ج١٠ ص٣٨٠.

(٤٥٥) انظر: رسالة في تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر / الباحث عماد شعبان الشريف - إشراف: د. رياض قاسم - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م - ص١٧٩.

طويل متتابع يلاقيهم مرة بعد مرة، وأصنافه مختلفة، يلاقيهم صنفاً بعد صنف.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾

أفادت القراءة بـ (يَصعقون) بفتح الياء بمعنى يموتون، والفعل منسوبٌ إليهم أي هم يموتون.

أما القراءة بـ (يُصعَقون) أي أن غيرهم هو الذي يصعقهم.

قال الكرماني: «(يومهم الذي فيه يَصعقون) أي يموتون من قوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]. وقرأ عاصم: بضم الياء من أصعقهم الله إذا قتلهم وأهلكهم»[٤٥٦].

وقال الشيخ أحمد البنا: «بضم الياء مبنياً للمفعول، والمعنى أن غيرهم أصعقهم، والباقون بفتحها مبنياً للفاعل»[٤٥٧].

وعلى هذا، فإذا كانت كلا القراءتين أفادت معنى أن هذا سيقع لهم يوم سيقتلون، أو يموتون في يوم بدر، أو يوم القيامة، حسب ما جاء في التفاسير[٤٥٨]، فإن القراءة بالضم تفيد أن هذا الهلاك، وهذا الموت، إنما حدث لهم من شدة ما رأوا من الأهوال، وعظيم الزلزال.

قال البقاعي: «(يصعقون) بالموت من شدة الأهوال، وعظيم الزلزال كما صُعِقَ بنو إسرائيل في الطور»[٤٥٩]. وهذا حدث لهم يوم بدر، فقد عُذِّبوا وقُتِّلوا وشاهدوا أهوالاً جساماً، وسيحدث لهم ذلك يوم القيامة.

والقراءة بالضم تفيد مدى شدة ما سيلاقونه من العذاب والصعق؛ لأن الضمة من أقوى الحركات على الإطلاق، كذلك ويحتمل أن يكون المعنى

(٤٥٦) مفاتيح الأغاني ص٣٨٤.

(٤٥٧) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٩٨.

(٤٥٨) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٣٩، وفتح القدير ج٥ ص١٢٣.

(٤٥٩) نظم الدرر ج٧ ص٣٠٩.

على القراءة بالفتح، أن ذلك الذي يتوعدهم الله به سيحدث لهم عند موتهم العادي حين يموتون واحداً تلو الآخر، وعلى القراءة بالضم، أي أن ذلك سيحدث لهم عندما يهلكهم الله تعالى سواء في يوم بدر أو يوم القيامة.

قال أبو حيان: «أي يوم موتهم واحداً واحداً والصعق العذاب أو يوم بدر لأنهم عذبوا فيه، أو يوم القيامة»(٤٦٠).

الجمع بين القراءتين:

والجمعُ بين القراءتين، يُظهر لنا بأن هذا الموت الذي سيقع لهم، إنما سيقع من شدة هول العذاب، أو أن هذا الذي يتوعدهم الله تعالى به، سيلاقونه حين يموتون واحد تلو الآخر أو بعذاب أو إهلاك من الله تعالى.

تمت سورة الطور بحمد الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(٤٦٠) البحر المحيط ج٨ ص١٥٠.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة النجم
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وهي إحدى وستون آية، وهي أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة المكرمة، وهي سورة ذات طابع خاص، تمتاز بأنها منظومة ذات نغم وإيقاع، وموزونة ومقفاة، تبحث في موضوع الرسالة في إطارها العام، والبعث والنشور[٤٦١].

مناسبتها لما قبلها:

العلاقة بين السورتين واضحة جلية، فسورة الطور اختتمت بذكر النجوم، وهذه السورة افتتحت بذكر النجم، والأولى فيها ذكر لذرية المؤمنين، وهذه فيها ذكر لذرية اليهود[٤٦٢].

الموضوع العام للسورة:

تتحدث السورة الكريمة في موضوعها الرئيس عن قصة الإسراء والمعراج، التي حدثت مع رسول الله ﷺ، وبيان صدق الوحي، وتستعرض

(٤٦١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٠٦، والظلال ج٦ ص٣٤٠٥.

(٤٦٢) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٤٤.

أصول العقيدة كما هي منذ أقدم الرسالات، وكل ذلك في مقاطع عامة للسورة وهي:

المقطع الأول: ابتدأت الحديث في هذا المقطع عن الإسراء والمعراج، وأكدت صدق رسول الله ﷺ فيما رأى من عجائب وغرائب في ملكوت الله تعالى الواسع، وأكدت صدق الوحي ووهن عقيدة الشرك.

المقطع الثاني: تناولت في هذا المقطع الحديث عن آلهتهم المدعاة، وأوثانهم الباطلة، وهي اللات والعزى ومناة، وذكرت أوهامهم وافتراءاتهم على الملائكة، بأنها بنات الله تعالى، واعتمادهم في ذلك على الظن الباطل.

المقطع الثالث: في هذا المقطع يأمر الله تعالى بالإعراض عن المكذبين، وتركهم إلى مصيرهم، وعدم الحزن عليهم، وفي ذلك لفتة وإشارة تهديد ووعيد لهم، وتحقيرٌ لحالهم؛ لأنهم أصرُّوا على كفرهم بعد بيان الحق، وظهور بطلان شركهم.

المقطع الرابع: وفي هذا المقطع يقرر الله تعالى عقيدة راسخة، وحقيقة عادلة، وهي أنه لا تحمل نفسٌ خطايا غيرها، ولا تجزى إلا بما قدمت هي من قول وعمل.

المقطع الخامس: ولما ذكر الله تعالى موضوع المحاسبة والجزاء، أخذ في استعراض قدرته تعالى في الإحياء والإماتة، وبيان أصل خلق الإنسان، ثم عرجت على ذكر الأقوام التي طغت وبغت، وكيف أن الله تعالى أهلكهم في لفتة تحذير ونذير؛ ليعود الناس إلى ربهم ويعبدوه حق العبادة(٤٦٣).

١ ـ قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١].

(٤٦٣) انظر: الظلال ج٦ ص٣٤٠٥، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٥٣.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وهشام (كذَّب) بتشديد الذال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَذَبَ﴾ بتخفيفها(٤٦٤).

المعنى اللغوي للقراءتين:

كذب: هو كذوب وكذَّاب وكُذَبة وكَيْذُبانٌ، وكذَبَ أخاه كذِباً وكِذَّاباً وليس لمكذوبٍ رأيٍ. وكاذبه مكاذبة وكِذاباً، والصدوق لا يكاذب وتكذَّب تكلَّف الكَذِبَ، وكذَّبه وكذَّبَ به: جعله كاذباً بأن وصفه بالكذب. وهو من تكذيب العرب. وجاء بأكذوبة وأكاذيب. وواعدني فأكذبته وجدته كاذباً(٤٦٥).
والكذبُ هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، سواءٌ فيه العمد والخطأ، ولا واسطة بين الصدق والكذب(٤٦٦).

التفسير:

تناولت هذه الآية حدثاً عظيماً جليلاً من الأحداث العظيمة الجليلة، التي حدثت لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وهذا الحدث هو الرؤيا. واختلف المفسرون فيها، فمنهم من قال: هو رأى ربَّه ﷻ. وقال غيرهم: بل رأى جبريلَ عليه السلام(٤٦٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف، أن قلب محمد عليه الصلاة والسلام لم يوهمه بأنه رأى، بل كانت رؤية صادقة حقيقية، وليست وهماً ولا خيالاً، فكان قلبه صادقاً فيها.

---

(٤٦٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٨، التجريد لبغية المريد ص٣١٢.
(٤٦٥) انظر: أساس البلاغة ص٣٨٩.
(٤٦٦) انظر: المصباح المنير ص٣١٤.
(٤٦٧) انظر: نظم الدرر ج٧ ص٣١٥.

أما القراءة بالتشديد فقد أفادت بأن قلب محمد ﷺ لم ينكر ما رأته عينه، بل صدَّق وأكَّد.

قال ابن الجوزي: «فمن شدَّد أراد ما أنكر فؤادُه ما رأته عينُه؛ ومن خفَّف أراد: ما أوهمه فؤاده أنه رأى ولم ير، بل صَدَقَ الفؤاد رؤيته»(٤٦٨). وإلى ذلك ذهب الماوردي وغيره(٤٦٩).

وقال الشيخ أحمد البنا: «بتشديد الذال أي ما رآه سيدنا محمد ﷺ بعينه صدَّقه قلبُه ولم ينكره. وبالتخفيف: أي صَدَق قلبُ محمد ﷺ في رؤية ربه تعالى»(٤٧٠). وقال بذلك أيضاً ابن زنجلة والأزهري(٤٧١).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن لنا بأن محمداً ﷺ قد حدثت له الرؤيا لله تعالى أو لجبريل على الاختلاف، وهذه الرؤيا بالبصر لم تكن وهماً ولا خيالاً، بل صَدَق بذلك قلبُه، فكانت حقاً، وكذلك إن قلب محمد ﷺ لم ينكر هذه الرؤية الحقيقية، بل صدَّقها وأكدها.

٢ ـ قال تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ [النجم: ١٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب (أفتَمْرونه) بفتح التاء وإسكان الميم من غير ألف.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ بضم التاء وفتح الميم والألف بعدها(٤٧٢).

(٤٦٨) زاد المسير ص١٣٦٢.
(٤٦٩) انظر: النكت والعيون ج٥ ص٣٩٤.
(٤٧٠) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٩٩، ٥٠٠ (بتصرف).
(٤٧١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٨٥، ومعاني القراءات للأزهري ج٣ ص٣٧.
(٤٧٢) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٨.

المعنى اللغوي للقراءتين:

أفتمارونه: مريتُ الناقةَ مَرْياً إذا مسحتُ ضرعها ليدرّ. وأمْرَتِ الناقةُ أي درَّ لبنُها. ومَرَاه حقَّه أي جحده[٤٧٣]. وماراه مراءً جادله. والامتراء في الشيء الشك فيه[٤٧٤].

التفسير:

هذه الآية تبيِّن لنا موقف الكافرين تجاه هذه الكرامة الكبيرة التي كرَّم الله بها نبيه محمداً ﷺ، وفيها إنكار وتقريع لهم ولهذا الموقف الذي وقفوه.

قال الخازن: «يعني أفتجادلونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أسري به وقالوا له صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به. والمعنى: أفتجادلونه جدالاً ترمون به دفعه عمَّا رآه وعَلِمَه»[٤٧٥]. وقال الشعراوي: «أفتجادلونه على ما رأى من آيات الله تعالى»[٤٧٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بضم التاء وفتح الميم (أفتُمَارونه) على معنى أتجادلونه، أي أنهم أكثروا من الجدال والأسئلة لرسول الله ﷺ، فكانوا يسألون والرسول ﷺ يجيبهم، فسألوا عن وصف المسجد الأقصى، وسألوا عن العير وغير ذلك.

أما القراءة بفتح التاء وتسكين الميم (أفتَمْرونه) فقد أفادت بأن هؤلاء الكفار جحدوه، وأنكروا وكذبوا ما قاله لهم رسول الله ﷺ.

---

(٤٧٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٩٥.
(٤٧٤) انظر: مختار الصحاح ص٣٣٥.
(٤٧٥) تفسير الخازن المجلد الرابع ج٦ ص٢٥٨.
(٤٧٦) زبدة التفاسير ص٦٠٤.

قال البغوي: «(أفتَمرونه) بفتح التاء وسكون الميم بلا ألف: أي أفتجحدونه. تقول العرب: مريت الرجل إذا جحدته.

وبالألف وضم التاء (أفتُمارونه) على معنى أفتجادلونه على ما يرى وذلك أنهم جادلوه حين أسرى به ﷺ فقالوا: صف لنا بيت المقدس، وأخبرنا عن عيرنا في الطريق، وغير ذلك مما جادلوه به وكانوا يهدفون إلى دفعه عمَّا شاهده»[٤٧٧]. قاله الطبري[٤٧٨] والشوكاني[٤٧٩]. وقال بذلك أيضاً: ابن خالويه[٤٨٠]، ومكي[٤٨١].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر أن هؤلاء الكفار الذين حدثهم رسول الله ﷺ عن رحلته المباركة في الإسراء والمعراج لم يصدِّقوا رسول الله ﷺ، وأخذوا يجادلونه جدالاً كبيراً، وكان هدفهم من هذا الجدال هو إنكارهم وتكذيبهم، لرسول الله ﷺ، ومحاولة صرفه ودفعه عن ما رأى وعلم.

٣ ـ **قال تعالى**: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ رويس (اللآتَّ) بتشديد التاء مع المد المشبع.

٢ ـ وقرأها الباقون (اللات) بالتخفيف.

٣ ـ وقرأها الكسائي (اللاه) بالهاء عند الوقف فقط والباقون بالتاء[٤٨٢].

(٤٧٧) تفسير البغوي ج٥ ص١٥٣ (بتصرف).
(٤٧٨) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٦٨٦.
(٤٧٩) انظر: فتح القدير ج٥ ص١٢٨.
(٤٨٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٣٣٥.
(٤٨١) انظر: الكشف ج٢ ص٢٩٤، ٢٩٥.
(٤٨٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٤.

المعنى اللغوي للقراءات:

لات اسم لصنم كانوا يعبدونه، ومرَّ تعريفها في اللغة عند تفسير سورة الحجرات[(٤٨٣)].

التفسير:

إن لهذه الآية مدلولات عظيمة وساحرة، فهي إضافة للمعنى الظاهر المعروف، تحمل معاني ساحرة باهرة، فيها تبكيت وتحسير للكافرين، وفيها كذلك تذكير لهم، فلو نظرنا بتفحص لوجدنا أن هذه الآية جاءت بعد أن عرض لنا الله ﷻ موقف المشركين المكذبين المنكرين لقصة الإسراء والمعراج وما تخللها من كرامات، ثم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ تأكيداً لما حدث، وتعظيماً له فإن الذي رآه رسولنا عظيم وكبيرٌ، وآيات وكرامات ومشاهد باهرة وحقيقية، وبعد هذه الآية يأتي قول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾، وفي ذلك مفارقة عجيبة ومناسبة أعجب تُظْهِرُ لهؤلاء الكافرين والمنكرين مدى تفاهتهم وسفه عقولهم. وكأن الله تعالى يقول لهم لقد علمتم وسمعتم ما حدث لمحمد رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من الكرامات، وعلمتم قدر الله تعالى وقدر رسوله ﷺ، إلا أنكم تنكرون وتجادلون. فأخبروني عن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله وماذا فعلت لكم؟ فهل لها شيء من أفعال العظمة التي يتصف بها الله ﷻ؟!.

قال الزمخشري: «(اللات والعزى ومناة) أصنام كانت لهم وهي مؤنثات»[(٤٨٤)].

وقال الصابوني: «أي اخبرونا يا معشر الكفار عن هذه الآلهة التي تعبدونها (اللات والعزى ومناة) هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وُصف

(٤٨٣) انظر: ص٧٧.

(٤٨٤) تفسير الكشاف ج٤ ص٣٩.

بها ربّ العزة حتى زعمتم أنها آلهة»[٤٨٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالتخفيف على أنها اسم صنم كانوا يعبدونه.

أما القراءة بالتشديد، فقد جاءت اسم فاعل؛ للدلالة على أصل وسبب التسمية، فهي نسبة للرجل الذي كان يقوم على إطعام الحجاج، وكان يلِتّ لهم السويق، فلما مات عبدوه، وصنعوا على هيئته صنماً. قال أبو السعود: «وقرئ بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلتّ السمنَ بالزيت، ويطعمه الحاجَّ، وقيل: كان يلتُّ السويقَ بالطائف، ويُطعمهُ الحاجَّ، فلمَّا مات عكفوا على قبره يعبدونه، وقيل كان يجلس على حجر، فلما مات سُمِّيَ الحجر باسمه، وعُبد من دون الله تعالى. وقيل: كان الحجر على صورتِه»[٤٨٦].

وقال ابن الجوزي: «فقرأ الجمهور بتخفيف التاء، وهو اسم صنم كان لثقيف اتخذوه من دون الله. وقال: (اللات) ورد في تفسير ذلك عن ابن عباس ومجاهد، أن رجلاً كان يأتي السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. وقال بذلك أيضاً الرازي في تفسيره، وغيره[٤٨٧].

وقال الشيخ أحمد البنا عن القراءة بتشديد التاء: «قال ابن عباس: كان رجلاً بسوق عكاظ يلت السمن والسويق عند صخرة ويطعمه الحاج، فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده إجلالاً لذلك الرجل سموه باسمه. أما القراءة بالتخفيف: فهي للدلالة على اسم صنم لثقيف بالطائف»[٤٨٨].

يقول الباحث: أما عن القراءة بالهاء عند الوقف (اللاه) فقد تفرد بها

---

(٤٨٥) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٥٧.

(٤٨٦) تفسير أبو السعود ج٦ ص١٥٥.

(٤٨٧) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٢٤٧.

(٤٨٨) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٠١ (بتصرف).

الكسائي. وهذه القراءة على الأصل، إذ أنهم اشتقوا اسم هذا الصنم من اسم الله تعالى.

فقد كان المشركون يتعاطون (الله) اسماً لبعض أصنامهم، فصرفهم الله إلى اللات صيانة لهذا الاسم وذبًّا عنه(٤٨٩).

قال ابن خالويه: «فأما الوقف على اللات فبالتاء إجماعاً إلا ما تفرد به الكسائي من الوقف عليها بالهاء والاختيار التاء؛ لأن الله تعالى منعهم أن يحلفوا بالله قالوا (اللات)، ولما منعهم أن يحلفوا بالعزيز قالوا (العُزَّى)»(٤٩٠).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات، يتضح لنا: بأن الكفار اتخذوا أصناماً لهم، واشتقوا أسماءً لها من اسم الله تعالى، وهذه الأصنام منها، اللات. كذلك وإن تسمية بعض الأصنام يرجع إلى ذلك الرجل الذي كان يلت السويق، ويطعمه للحجاج، فسَمُّوا الصنم باسمه، والله أعلم.

٤ ـ **قال تعالى:** ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (ومناءة) بهمزة بعد الألف.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ بغير همز(٤٩١).

المعنى اللغوي للقراءتين:

مناة: قال ابن منظور: «ومنىً بمكة، يُصرف ولا يُصرف، سُمِّيت

---

(٤٨٩) انظر: زاد المسير ص١٣٦٣.

(٤٩٠) الحجة في القراءات السبع ص٣٣٦.

(٤٩١) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٨، وغيث النفع ص٥٠٤.

بذلك لما يُمنى فيها من الدماء أي يُراق. ومنَاة صخرة»[٤٩٢] وقال الرازي: «ومَنَاةُ اسم صنمٍ كان لِهُذَيلٍ وخُزَاعَة بين مكة والمدينة»[٤٩٣].

التفسير:

هذه الآية عبارة عن خطاب من الله تعالى للكافرين، يسألهم فيه عن هذه الآلهة الباطلة التي لا حول لها ولا قوة ولا تضر ولا تنفع، عسى أن يفكروا فيما هم فيه من جهل وضلال، فيمتنعوا عنه وينزجروا. والمعنى: أخبروني عن هذه الأصنام التي اتخذتموها آلهة، وتركتم عبادة ربكم الذي خلقكم، ووهبكم الحياة وشتَّى أصناف النعم. قال الزمخشري: «(ومناة) هي صخرة لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس ﷺ لثقيف»[٤٩٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالهمزة (منأت) أنها مشتقة من النوء، وهو المطر؛ وذلك لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء.

أما القراءة بدون همزة (منات) فهي مشتقة من مَنَىٰ يَمْنِي بمعنى صَبَّ؛ وذلك لأن دماء النسائك كانت تُصَبّ عندها، وهناك من قال كانت مياه تصب عندها.

قال ابن عادل: «أما قراءة ابن كثير (منأت) فاشتقاقها من النوء، وهو المطر؛ لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء. وأما قراءة العامة (منات) فاشتقاقها من منى يمني أي صَبَّ لأن دماء النسائك كانت تصب عندها»[٤٩٥]. وقال بذلك البيضاوي وغيرهم[٤٩٦].

---

(٤٩٢) لسان العرب ج١٥ ص٢٩٣، ٢٩٧ (بتصرف).

(٤٩٣) مختار الصحاح ص٣٤٢.

(٤٩٤) تفسير الكشاف ج٤ ص٣٩ (بتصرف).

(٤٩٥) تفسير اللباب ج١٨ ص١٧٧. (بتصرف).

(٤٩٦) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٥٦.

وزاد على ذلك الدكتور محمد محيسن بقوله: «بغير همز: (منات) وهي مشتقة من منى يمني أي صبَّ لأن ماء البحار كانت تصب عندها»[497].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر لنا بعض ما كان يفعله الكفار عند هذه الأصنام. فإن هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله كانوا يصُبُّون دماء الذبائح والنسائك عندها، وكانوا يستمطرون عندها، أي يدعون ويطلبون نزول المطر.

٥ ـ قال تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير المكي (ضئْزَى) بهمزة ساكنة بعد الضاد.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ضِيزَىٰ﴾ بياء تحتية ساكنة بعد الضاد[498].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(ضيزى): ضاز في الحكم أي جار. يقال: ضازه حقه يَضِيْزُهُ ضَيْزاً، أي بَخَسَه ونقصه. وقد يهمز فيقال: ضَأَزَهُ ضَأْزاً. وقوله تعالى: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ أي جائرة، وبعض العرب تقول: ضِئْزى ضُؤزى بالهمز[499]. وقال الرازي: «وإنما كسروا الضاد لتَسْلم الياءُ؛ لأنه ليس في الكلام فِعْلَى صِفَةً، وإنما هو من بناء الأسماء، كالشِّعْرَى والدِّفْلَى[500]، ومن العرب من يقول

---

(٤٩٧) المستنير ج٣ ص١٣٥ (بتصرف).

(٤٩٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٦٨، ٦٩٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٤.

(٤٩٩) انظر: الصحاح في اللغة ص٦٥٥.

(٥٠٠) والدِّفلى: هي نَبْت مُرٌّ يكون واحداً وجمعاً، يُنَوَّن ولا يُنوَّن. [انظر: مختار الصحاح للإمام الرازي ص١٢٢].

ضِئْزَى بالهمزة»[٥٠١].

التفسير:

يشير الله ﷻ إلى ذلك المنطق الباطل الأعوج، الذي يسلكه الكافرون. حيث إنهم يكرهون لأنفسهم البنات، ويجعلونهن وينسبونهن لله تبارك وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية ﴿إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ أي جائرة غير معتدلة، يعني القسمة التي قسمتم من نسبة البنات إلى الله تعالى، وإيثاركم أنفسكم البنين، حيث جعلتم له سبحانه ما تستنكفون منه، ولا ترضونه لأنفسكم، فكيف ترضونه لله تعالى؟![٥٠٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

هناك من اعتبر أن كلا القراءتين بمعنى واحد، وممن قال بذلك: بعض علماء التفسير وجمهرة من علماء القراءات[٥٠٣].

إلا أن هذا المذهب وهذا القول لا يمنع من البحث، لمحاولة الوصول إلى فرق منطقي ومقبول. فصحيح أن المعنى قد يكون متقارباً إلى درجة أن يحكم عليه البعض أو الكل بأنه بمعنى واحد، إلا أنه قد يكون هناك فرق ولو كان دقيقاً، خاصة إذا علمنا بأن هناك عدداً من علماء التفسير يشيرون إلى ذلك الفرق في هذه الكلمة.

وعليه فقد أفادت القراءة بالمد والهمز (ضائزة) بمعنى ظالمة أو جائرة أو منقوصة.

(٥٠١) مختار الصحاح ص٢١٦.
(٥٠٢) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٥٧، وتفسير النيسابوري ج٤ ص١٩٩.
(٥٠٣) انظر: تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٠٠، وحجة القراءات ص٦٨٦، معاني القراءات للأزهري ج٣ ص٣.

أما القراءة بدون مد وبغير همز (ضيزى)، فقد أفادت معنى المبالغة في الجور والظلم، فهي قسمة ظالمة وجائرة شديدة الجور، وهي كذلك؛ لأن هذه المعادلة لو كانت بين إنسان بشري وآخر مثله لكانت ظالمة فكيف لو كانت بين البشر وبين الله تعالى؟ حقًّا إنها لشديدة الظلم.

قال الرازي: «(ضيزى) قرئ بالهمز وبغير الهمز، وعلى الأولى هي فِعلى بكسر الفاء، كذكرى على أنه مصدر وصف به كرجل عدل، أي قسمة ضائزة، وعلى القراءة الثانية هي فعلى، وكان أصلها (ضوزى) لكن عين الكلمة يائية، فكسرت الفاء؛ لتسلم العين عن القلب. كذلك فعل ببيض، فإن جمع أفعل فعل، تقول: أسود وسود وأحمر وحمر، وتقول: أبيض وبيض وكان الوزن بيضاً، وكان يلزم منه قلب العين، فكسرت الباء وتركت الباء على حالها، وعلى هذا ضيزى للمبالغة من ضائزة، تقول: فاضل وأفضل وفاضلة وفضلى، وكبير وأكبر وكبيرة وكبرى، كذلك ضائز وضوز وضائزة وضوزى. على هذا نقول: أضوز من ضائز وضيزى من ضائزة»(٥٠٤).
وقال إطفيش: «أو ضيزى مصدر كذكرى وصف به مبالغة كرجل عدل»(٥٠٥).

وإذا علمنا كما ذكرنا سابقاً بأن أصل كلمة (ضِيزى) هو (ضُوزى) بالضم على الضاد، ولكن كسرت الضاد حتى لا ينقلب حرف الياء إلى واو، فلعل هذا الأصل خير دليل على المعنى الذي تقدم، وهو أن هذه الكلمة بدون مد ولا همز (ضيزى) تدل على المبالغة، ومما يؤكد ذلك وجود الضمة في أصل الكلمة التي هي أقوى الحركات على الإطلاق.

قال الشيخ أحمد الحملاوي في معرض حديثه عن هذه الآية: «فان كانت [فعلى] صفة محضة وجب تصحيح الياء، وقلب الضمة كسرة، ولم يسمع منه إلا (قسمة ضيزى)»(٥٠٦).

---

(٥٠٤) تفسير الرازي ج١٠ ص٢٤٩.

(٥٠٥) تفسير إطفيش ج٤ ص٤٠٦.

(٥٠٦) شذرات العرف في فن الصرف / مكتبة المعارف ط الأولى ١٤٢٢هـ ص١٤٨.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، ظهر لنا بأن هذه القسمة التي قسمها الكافرون، وذلك بنسبة ما يكرهونه لأنفسهم لله تعالى، هي قسمة جائرة ظالمة، وهذا الجور وهذا الظلم هو شديد وعظيم وكبير، وهو ليس كأي ظلم، فإن الذي لا يرضاه الإنسان لنفسه الأصل أن لا يرضاه لأخيه الإنسان، فكيف يرضاه لله العظيم الكبير المتعال؟! حقاً، والله إنها قسمةٌ شديدةُ الجور.

٦ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

القراءات:

أ ـ قال تعالى: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (كبِيْر) بغير ألف وبكسر الباء وبعدها ياء ساكنة.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ بإثبات الألف وبدون ياء(٥٠٧).

ب ـ قال تعالى: ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾

١ ـ قرأ حمزة (إِمِهاتكم) بكسر الهمزة والميم في حالة الوصل فقط.

٢ ـ وقرأها الكسائي (إِمَهاتكم) بكسر الهمزة وفتح الميم في حالة الوصل فقط.

٣ ـ وقرأها الباقون (أُمَهاتكم) بضم الهمزة وفتح الميم(٥٠٨).

---

(٥٠٧) انظر: حجة القراءات ص٦٨٦، والشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٥.

(٥٠٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٥.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(كبائر)**: الكبير في صفة الله تعالى العظيم الجليل، والمتكِّبر الذي تكبر عن ظلم عباده، والكِبْرِياء عظمة الله تعالى، جاءت على فعلياء؛ ويقال كبُر بالضم يَكْبُرَ أي عَظُم، فهو كبير. والكبائر الواردة في الآية: واحدتها كبيرة، وهي الفعلةُ القبيحةُ من الذنوب المنهي عنها شرعاً العظيم أمرها(٥٠٩).

ب ـ **(أمهاتكم)** الأم: والجمع أُمَّات وأُمهات، وقيل: الأمهات للناس، والأمَّات للبهائم، ويقال: لا أم لك كلام للذم، وربما قيل للمدح والاستحسان(٥١٠).

التفسير:

يتحدث الله ﷻ لنا في هذه الآية عن صفات المحسنين، أو عن أشهر الصفات لهؤلاء، سيجازيهم الله ﷻ بالحسنى، وهي الجنة. وفي باطن هذه الآيات أمرٌ لنا من الله تعالى بالابتعاد عن هذه الكبائر والفواحش؛ لأن الله تعالى يأمر بكل ما هو خير، وينهى عن كل ما هو شرّ، كذلك يذكِّرنا الله ﷻ بأصل خلقنا ومراحله، إذ نكون أجنّة، ثم مرحلة الرضاعة وغير ذلك .... قال القرطبي: «هذا نعت للمحسنين، أي هم لا يرتكبون كبائر الإثم، وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام، (والفواحش) الزنى، و﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ كل ذنب ختم بالنار (والفواحش) كل ذنب فيه حدّ»(٥١١).

وقال سيد قطب: «في تفسيره للآية: فهو العلم السابق على ظاهر أعمالهم، العلم المتعلق بحقيقتهم الثابتة التي لا يعلمونها هم، ولا يعرفها إلا الذي خلقهم. علمٌ كان وهو ينشئ أصلهم من الأرض، وهم بعد في عالم الغيب. وكان وهم أجنة في بطون أمهاتهم، لم يروا النور بعد، علم بالحقيقة قبل الظاهر، وبالطبيعة قبل العمل. ومن كانت هذه طبيعة علمه

(٥٠٩) انظر: لسان العرب ج٥ ص١٢٥، ١٢٦، ١٢٩ (بتصرف).
(٥١٠) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص١٧.
(٥١١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٢١، ٢٢٢ (بتصرف).

يكون من اللغو بل من سوء الأدب أن يعرفه إنسان بنفسه وأن يعلمه سبحانه بحقيقته وأن يثني على نفسه أمامه يقول له: أنا كذا وكذا»[٥١٢]. وسبب نزول هذه الآية هو قول اليهود إذا أهلك لهم صبي صغير قالوا عنه: هو صدِّيق فأنزل الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾[٥١٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾

أفادت القراءة بالألف والهمز (كبائر) أن هناك مجموعة من المعاصي الكبيرة التي يجب على المسلمين اجتنابها، وهذه الكبائر هي مجموعة من الأشياء يجب على المسلمين أن يحذروا من القرب منها؛ لخطورة ما يترتب عليها من عظيم الإثم والعقاب.

أما القراءة بدون ألف ولا همز (كبير) فقد أفادت بأن من بين هذه الكبائر هناك كبيرة واحدة خطيرة، وهي أعظم الكبائر وأخطرها على الإطلاق، واجتنابها لازم وضروري، والقرب منها خطير للغاية، وأفردها الله ﷻ لعظيم ما يترتب عليها، إنها الشرك بالله تعالى، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال النسفي: «(كبير) أي النوع الكبير منه»[٥١٤].

وقال الزمخشري: «وقرئ (كبير الإثم) أي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله تعالى»[٥١٥].

وذكر **أبو السعود** أن القراءة بدون ألف (كبير الإثم) تدل على إرادة

---

(٥١٢) الظلال ج٦ ص٣٤١٣.

(٥١٣) انظر: أسباب النزول للإمام للسيوطي /تحقيق حامد طاهر ط الأولى دار الفجر للتراث ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م / ص٣٨٩.

(٥١٤) تفسير النسفي م٢ ج٤ ص١٩٨.

(٥١٥) تفسير الكشاف ج٤ ص٤١.

الجنس أو الشرك[٥١٦].

وقال ابن زنجلة: «بغير ألف يعني الشرك»[٥١٧]. وقال الدكتور محمد محيسن: «(كبِير) بكسر الباء الموحدة بعدها ياء ساكنة على التوحيد. وقال: (كبَائر) بفتح الباء وألف بعدها وبعد الألف همزة مكسورة على الجمع»[٥١٨].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر بأن هؤلاء المحسنين، من صفاتهم أنهم يجتنبون الكبائر من الزنا، وغير ذلك مما يلزم الحد، وهم من باب أولى يجتنبون أكبر الكبائر التي وصفها الله تعالى: ﴿كَبِيرٌ﴾، وهي الشرك بالله تعالى.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾

قال العلامة أحمد الفيومي المقرئ عن أصل هذه الكلمة: «في الناس أمهات وفي غير الناس أمّات للفرقة، ثم قال: إن فيها أربع لغات: أم بضم الهمزة وكسرها وأُمة وأُمهة، فالأمهات والأمات لغتان ليست إحداهما أصلاً للأخرى»[٥١٩]. وعلى هذا فإن هذه القراءات بمعنى واحد، وهي لغات القبائل العربية، والله تعالى أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النجم: ٣٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (يُنَبَّا) بإبدال الهمز[٥٢٠] وصلاً ووقفاً، أما حمزة وهشام ففي الوقف فقط.

---

(٥١٦) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٥٩.
(٥١٧) حجة القراءات ٦٨٦.
(٥١٨) المستنير ج٣ ص١٣٦ (بتصرف).
(٥١٩) المصباح المنير ص٢٠.
(٥٢٠) تبدل الهمزة ألفاً.

٢ - وقرأ الباقون ﴿يُنَبَّأُ﴾ بغير إبدال(٥٢١).

المعنى اللغوي للقراءتين:

النبأ الخَبَر يُقال نَبَأَ ونَبَّأَ وأَنْبَأَ أي أخبر، ومنه النبيُّ؛ لأنه أنبأ عن الله، وهو فَعِيْل بمعنى فَاعِل، تركوا هَمْزَه كالذرِّية والبريَّة والخابية إلا أهل مكة فإنهم يهمزون الأربعة(٥٢٢).

التفسير:

تتحدث هذه الآية والتي قبلها وبعدها عن الرجل الذي لم يجد ما يُحْمَل عليه للمشاركة في الغزو مع رسول الله ﷺ، فلقيه صديقٌ له، فدفع إليه شيئاً حتى يَتَحَمَّل عنه العذاب يوم القيامة، فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ [النجم: ٣٣](٥٢٣). وأورد الرازي أن سبب نزولها أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، كان جالساً عند رسول الله ﷺ، فسمع موعظةً أثَّرت فيه تأثيراً كبيراً، فقال له رجل: لم تترك دين آبائك، لا تخف، وأعطني كذا، وأنا أتحمل عنك أوزارك، فأعطاه بعض ما التزمه، وتولى عن الوعظ وسماع كلام النبي ﷺ(٥٢٤). وأيما كان السبب، ففي هذه الآية يبيّن الله تعالى أنه سيحاسب كل واحدٍ بما قدّم، ولن يأخذ أحداً بجريرة غيره، ولن يقبل الله ﷻ بمحاسبة أحد عوضاً عن غيره. قال القاسمي: «﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها»(٥٢٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالهمز على قصد الإخبار، أي ألم يخبر بما في

(٥٢١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٥.
(٥٢٢) انظر: مختار الصحاح ص٣٤٥.
(٥٢٣) انظر: أسباب النزول ص٣٩٠.
(٥٢٤) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٢٧٢.
(٥٢٥) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج١٥ ص٥٥٨٣ / دار إحياء الكتب العربية، وحيثما ذكرته فسأكتفي بقولي: تفسير القاسمي.

الصحف، أما القراءة بالمد وبدون همز، فقد أفادت المبالغة في الإخبار والتأكيد، والمد يعني إطالة زمن الصوت، وكأنه ﷺ يقول: ألم يعلم علماً يقينياً وأكيداً من صحف إبراهيم وموسى، ومن أخبار إبراهيم عليه السلام أنه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، وإذا لم يكن عنده علم يقيني أكيد بهذا الأمر، ألم يُبْلَغ ويُخْبَر من هنا أو هناك عن خطأ فعله، فيحمله ذلك على التوقف والسؤال والتأكد، للوصول إلى الحقيقة والصواب. قال الفخر الرازي: «إن من علم العلم كله لا يؤمر ولا يُلزم بحضور مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن جهل جهلاً مطلقاً فهو كالنائم، فهل علم هذا الرجل كل العلم فجاز له التولي عن رسول الله ﷺ، أو لم يسمع شيئاً وما بلغه دعوة أصلاً فيعذره، والحقيقة أنه لا واحد من الأمرين كائن فهو في التولي غير معذور على الإطلاق»(٥٢٦).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، تسأل الآية الكريمة عن علم هذا الرجل المذكور بما فعل من جهالةٍ فتقول: ألم يُخْبَر ويَعْلَم عن خطأ ما يقوم به؟، ثم ألم يكن عنده عِلمٌ يقينيٌ وأكيدٌ بما جاء في صحف إبراهيم وموسى بأنه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها. وفي القراءة بالتشديد إشارة إلى أنه لا بد للإنسان أن يتعلم دينه من جهة موثوقة، وأن يجتهد ليبلغ هذا العلم المتلقى مبلغاً قوياً في نفسه، وليس مجرد إخبار، وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا بلغه خبر ولو كان ضعيفاً، لزم عليه التوقف والتحقق من ما يقوم به حتى يتأكد علمه به، لذلك فإن الآية فيها لمحة من استغراب وعتاب، فهو إن لم يكن عالماً ومتأكداً من صحة أو خطأ ما فعله، فلا يخلو أن يكون قد وصل له خبر من هنا أو هناك، من صحف إبراهيم، أو صحف موسى عليهما السلام، أو من أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا الخبر وإن كان ضعيفاً، فهو يحمله على التدبر والتفكر فيما يقوم به؛ ليصل أخيراً إلى

(٥٢٦) تفسير الرازي ج١٠ ص٢٧٤ (بتصرف).

الصواب والحقيقة.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ هشام (إبراهَام) بفتح الهاء وألف بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون (إبراهِيم) بكسر الهاء بدون ألف بعدها[٥٢٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

إبراهيم اسم أعجمي، وقد ورد بيانه عند تفسير سورة الذاريات[٥٢٨].

التفسير:

أي وفَّر وأتمَّ ما ابتلي به من الكلمات، أو ما فرض عليه، وعمل بما أُمر به، أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله، وتخصيصه بذلك؛ لاحتماله ما لم يحتمله غيره، كالصبر على نار النمرود، وعلى ذبح الولد[٥٢٩]. وقال الصابوني: «أي وبما في صحف إبراهيم الذي تمَّم ما أُمِر به من طاعة الله، وتبليغ رسالته على وجه الكمال والتمام»[٥٣٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بكسر الهاء وبدون ألف، على أنها ذِكْرٌ له باسمه، وهو إبراهيم.

أما القراءة بفتح الهاء وزيادة ألف؛ للدلالة على صفة عظيمة من

(٥٢٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٥.

(٥٢٨) انظر: عند تفسير سورة الذاريات الآية: ٢٤ ص١١٠.

(٥٢٩) انظر تفسير أبو السعود ج٦ ص١٦٠، وتفسير الحسن البصري ج٢ ص٣١٠، وتفسير مجاهد ج٢ ص٦٣٢ ـ تحقيق عبد الرحمن السورتي / المنشورات العلمية ـ بيروت.

(٥٣٠) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٠.

صفاته، وهي الرحمة. وتَمَّ بيان ذلك عند تفسير سورة الذاريات[٥٣١].

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [النجم: ٤٧].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (النَّشَآءة) بفتح الشين والمد.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ بإسكان الشين والقصر[٥٣٢].

المعنى اللغوي للقراءتين:

النشأة: أنشَأَهُ الله: خَلَقَه، والاسم النشأة والنشاءة بالمد عن أبي عمرو بن العلاء. وأنشأ يفعلُ كذا أي: ابتدأ. وفلان يُنشِئُ الأحاديث أي يَضَعُها[٥٣٣]. وجاء في لسان العرب: والمُنشَآت السفن المرفوعة الشرع[٥٣٤].

التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة ضمن مجموعة من الآيات، كلها تتحدث عن قدرة الله ﷻ وقوته اللامحدودة في أشياء كثيرة، منها النشأة، وهي إعادة الأبدان وإنشاؤها من جديد، وإعادة الأرواح إليها. قال أبو السعود: «أي الإحياء بعد الموت وفاءً بوعده»[٥٣٥]. وقال القرطبي: «أي إعادة الأرواح في الأشباح للبعث»[٥٣٦]. وقال ابن كثير: «أي كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة»[٥٣٧].

---

(٥٣١) انظر: عند تفسير سورة الذاريات الآية: ٢٤ ص١١٠.
(٥٣٢) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٠١، وحجة القراءات ص٦٨٦.
(٥٣٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١١٦٤ ـ ١١٦٥.
(٥٣٤) انظر: لسان العرب ج١ ص١٧٣.
(٥٣٥) تفسير أبو السعود ج٦ ص١٦١.
(٥٣٦) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٣٠.
(٥٣٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٧٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون مد (النشأة)، بمعنى أن الله تعالى سيعيد الأبدان بإنشائها بعد فنائها، وسيعيد الأرواح إليها، لتعود حية كما كانت بإذنه ﷻ، وفيها بيان لقدرة الله تعالى العظيمة في الإحياء والإعادة. قال الألوسي: «هي الإحياء بعد الإماتة وفاءً بوعده جل شأنه»[٥٣٨].

أما القراءة بالمد (النشآءة) فجاءت هذه القراءة؛ لبيان مدى العظمة التي تتمتع بها القدرة الإلهية المبدعة غاية الإبداع، والعظيمة غاية العِظَم، فالقراءة بالمد دلَّت على المبالغة والتعظيم، وأظهرت أن أمر الإنشاء ليس أمراً عادياً، بل هو أمر عظيم كبير، تفاصيله كثيرة، ومتعددة ومختلفة، ومتنوعة بتنوع أصناف هذه الأبدان وأشكالها من طول وحجم ولون، والأصابع بدقائقها، وجميع تفاصيلها من بصمة كما هو معروف وغيره، وما بها من نفوس مختلفة ومتضادة، كذلك وما تحمله من أرواح متآلفة، وغير متآلفة، وكيف أن كل روح سترجع إلى البدن الذي خرجت منه، كل ذلك تدركه وتستعرض تفاصيله وأنت تقرأ بالقراءة بالمد (النشاءة) فالمد أثناء القراءة تسمح لهذا العقل بأن يفكر، ويسرح ويتأمل بكل هذه التفاصيل، كذلك فإنها تظهر مدى العظمة في الكُنْه والفعل، وفي الجوهر والمظهر، إلا أن هذه العظمة وبكل تفاصيلها، هي هينة على الله تعالى ويسيرة، فإذا أراد الله تعالى شيئاً إنما يقول له كن فيكون، وعلى ذلك فالمد في القراءة يشير إلى أمرين: الأول: بيان عظمة هذا الفعل وكثرة تفاصيله. الثاني: بيان العظمة الهائلة، والقوة الربانية المهولة، وذلك لأن من عرف كل هذه التفاصيل التي تتعلق بإعادة الأبدان كما كانت بعد الفناء بكل تفاصيلها البالغة في الإعجاز والعظمة، ثم عرف بأن هذه الإعادة وهذا الإنشاء، هو أمر يسير على الله تعالى، بل هو بالغ في اليسر، وقف صامتاً من هول ما علم من أسرار هذه القدرة الإلهية، التي لا يمكن أن تقف عند حد، أو يحيط بها وصف، وإذا تكلم فإنه سيجد عقله وقلبه وكله ينطقون بكلمة واحدة، وهي التسبيح

(٥٣٨) روح المعاني ج١٤ ص٦٨.

والتعظيم والتبجيل لله تبارك وتعالى ـ فسبحان الله العظيم ـ ... قال الألوسي: «(النشاءة) بالمد مصدر نشأ الثلاثي»[٥٣٩]. ومن المعروف أن المصدر أبلغ في التعبير.

١٠ ـ **قال تعالى:** ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠﴾ [النجم: ٥٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب (عاداً الاولى) مدغمة وغير منونة ولا مهموزة.

٢ ـ وقرأها قالون عن نافع (عادا الأولى) مدغمة مهموزة ساكنة.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ منونة مهموزة وغير مدغمة[٥٤٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

عاد: رجل من العرب الأولى، قبيلته قديمة، سُمِّيَت به، يقال: ما أدري أي عاد هو، أي أيُّ خلق[٥٤١].

التفسير:

لا تزال هذه الآية والآيات التي تأتي في سياقها تتحدث عن قوة الله تعالى وقدرته وعظمته، ولكنها في هذه الآية بلغت عظمتها إلى حد الإهلاك، الذي حدث بفعل قوة الله تعالى وعظمته لأولئك القوم الذين كانوا من أشد الناس قوة، وأعتاهم وأطغاهم. إلا أن قوة الله تعالى أكبر وأعظم. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠﴾ هم القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه الصلاة والسلام[٥٤٢]. وقال الصابوني: «أي أهلك

(٥٣٩) روح المعاني ج١٤ ص٦٨.
(٥٤٠) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٦.
(٥٤١) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٥٣٦.
(٥٤٢) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٦٠.

قوم عاد القدماء الذين بُعِثَ لهم نبيُّ الله هود عليه السلام، وكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وأطغاهم، فأهلكهم الله تعالى بالريح الصرصر العاتية»(٥٤٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ أفادت القراءة بالتنوين ـ أي بصرف (عاداً الأولى) ـ على أنه اسم للأب يعني أب القبيلة.

أما القراءة بدون تنوين ـ أي بلا صرف ـ فهي على أنه اسم للقبيلة أو الأم.

قال ابن عادل: «صرفوا عاداً إما لأنه اسم للحي أو الأب. وقال: وغير مصروف ذهاباً به إلى القبيلة أو الأم»(٥٤٤).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتضح بأن هذه القبيلة التي أهلكها الله تعالى، هي قبيلة عاد، وسبب تسميتها بهذا الاسم، نسبة للأب، وهو جدّ القبيلة عاد، ولمّا ذكر الله تعالى عاداً إنما أراد بالإهلاك عموم القبيلة.

ب ـ أما القراءة بالإدغام والهمز على الواو: (عاد لؤلى)، فهي على لغة من يبدل الواو الناشئة عن إشباع الضمة همزاً(٥٤٥).

ج ـ والقراءة بحذف الهمزة الأولى، وإدغام التنوين في اللام: (عاداً لُولى) فهو كقول الكثير من العرب: هذا الأحمرُ جاء، ثم يحذفون الهمز فيقولون: هذا لَحْمرُ قد جاء(٥٤٦). فهي بذلك من اللغات العربية.

---

(٥٤٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦١.

(٥٤٤) تفسير اللباب ج١٨ ص٢٠٠.

(٥٤٥) انظر: التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص١٥٣.

(٥٤٦) انظر: معاني القراءات للأزهري ج٣ ص٣٩.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ [النجم: ٥١].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ويعقوب وحمزة (وثَمُوْدَ) بترك تنوين الدال.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَثَمُودَاْ﴾ بالتنوين[٥٤٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

ثمود هي قبيلة من العرب الأولى، يصرف ولا يصرف؛ ويقال: إنهم من بقية عاد، وهم قوم صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام[٥٤٨]. وثمد ثمداً الشيء فلاناً صيَّره يفنى ماله. والمثمود من الرجال الذي كثُر عليه السؤال حتى أنفدوا ما عنده. وثمد ثمداً وأثمد وأستثمد الماء جعل له موضعاً كالحوض ليتجمع فيه. والثمْدُ والثمَدُ جمع ثماد الماء القليل يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف[٥٤٩].

التفسير:

والحديث في هذه الآية هو استكمالٌ لما سبق في الآية السابقة من عملية الإهلاك، ولكن هذه المرة لثمود. قال البغوي: «(وثمود) قوم صالح أهلكهم الله تعالى بالصيحة فما أبقى منهم أحداً»[٥٥٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالصرف، على أنها اسم للأب، أي أب القبيلة التي اشتهرت باسمه.

---

(٥٤٧) انظر: غيث النفع ص٥٠٧، والبدور الزاهرة ص٣٨٦.

(٥٤٨) انظر: لسان العرب ج٣ ص١٠٥.

(٥٤٩) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٧٤.

(٥٥٠) تفسير البغوي ج٥ ص١٦٠.

أما القراء بدون صرف ـ أي بغير تنوين ـ فقد أفادت معنى اسم القبيلة.

قال ابن عاشور: «(وثموداً) بالتنوين على إطلاق اسم جد القبيلة عليها. وقرأه عاصم وحمزة بدون تنوين على إرادة اسم القبيلة»(٥٥١). وجاء في الجلالين: «بالصرف اسم للأب وبلا صرف للقبيلة»(٥٥٢).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع يظهر أن هذه القبيلة التي أهلكها الله تعالى هي قبيلة ثمود، وسبب تسميتها نسبة للأب وهو جد القبيلة ثمود، ولما ذكر الله ثمود على أنه الأب، إنما قصد القبيلة التي أهلكها الله ﷻ.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ [النجم: ٥٥].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تّمَارَىٰ) بتاء واحدة مشددة وذلك في حال الوصل.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ بتاءين خفيفتين(٥٥٣).

المعنى اللغوي للقراءتين:

ورد تعريفها في مطلع السورة عند قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾(٥٥٤).

التفسير:

هذه الآية الكريمة تُذَكِّر هذا الإنسان بنعم الله العظيمة عليه؛ لأن الله تعالى قد منَّ على هذا الإنسان بالإسلام والإيمان، ورَحِمَه من أن يكون مثل

(٥٥١) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص١٥٤.
(٥٥٢) تفسير الجلالين ص٥٠٧.
(٥٥٣) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧٠١، والبدور الزاهرة ص٣٨٦.
(٥٥٤) انظر: ص١٥٦.

هؤلاء الذين أُهلكوا، وكأن الله تعالى في هذه الآية يُذكِّر هذا الإنسان بقوته الهائلة التي أهلكت الكافرين، وكذلك يذكِّره بنعمه العظيمة عليه؛ لأنه لم يجعله من هؤلاء القوم الهالكين أو المستحقين لمثل هذا الهلاك.

قال الصابوني: «أي فبأي نعم الله الدالة على وحدانيته وقدرته تتشكك أيها الانسان وتكذب»(٥٥٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بتاء واحدة، على معنى الجحود والشك، أي فبأي آلاء ربك أيها الإنسان تشك أو تجحد وتنكر.

أما القراءة بتاءين اثنتين، فقد أفادت معنى الكثرة، أي مرة بعد مرة. وهذا دليل على كثرة حدوث ذلك من الإنسان، أو هي على هذه القراءة تكون إحدى التاءين للخطاب، والثانية للتفاعل.

قال أبو منصور: «من قرأ (تمارى) بتاءين فإحدى التاءين تاء الخطاب والثانية تاء التفاعل على معنى أيها الإنسان بأي نعم ربك التي تدل لك على أنه واحد تتشكك»(٥٥٦).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخاطب الله ﷻ هذا الإنسان، مستنكراً عليه فعله، إذ الواجب عليه فعله أمام نعم الله تعالى الظاهرة، وقوته القاهرة أن يقف مُسَلِماً ومصدقاً، لا أن يكون جاحداً ومشككاً.

تمت سورة النجم بحمد الله تعالى وتوفيقه.

□ □ □ □ □ □

(٥٥٥) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٢.

(٥٥٦) معاني القراءات ج٣ ص٤٠.

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة القمر
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وآياتها خمس وخمسون آية، وتسمى اقتربت، وهذه السورة من مطلعها إلى خاتمتها هي بمثابة حملة رهيبة رعيبة مفزعة على قلوب المكذبين بالنذر، وفي نفس الوقت ذاته هي طمأنة عميقة ووثيقة للقلوب المؤمنة المصدقة(٥٥٧).

مناسبتها لما قبلها:

هذه السورة تأتي بتفصيل القول في أحوال الأمم التي أشار الله تعالى إلى إهلاكهم في السورة السابقة، كما أنه لا يخفى ما بين السورتين من تناسق في الأسماء «النجم ـ القمر»(٥٥٨).

الموضوع العام للسورة:

تركزت محاور هذه السورة الكريمة في الحديث حول ثلاث محاور.

(٥٥٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٣٥، وروح المعاني ج١٤ ص٧٣.

(٥٥٨) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٧٣.

المحور الأول: تحدثت السورة الكريمة عن تلك المعجزة الكونية، وهي انشقاق القمر الذي حدث في زمان النبي ﷺ، تصديقاً وتأييداً له، وبيان صدق رسالته ﷺ، وهي بهذا الذكر تسطر تلك المعجزة كحقيقة أبدية واقعية إلى يوم القيامة.

المحور الثاني: ويدور هذا المحور حول الحديث عن أهوال يوم القيامة وما فيه من أحداث مفزعة رهيبة، وشدائد مخيفة، ووصف للحالة التي سيخرج عليها هؤلاء من قبورهم من ذل وهوان، وتستعرض كذلك صورة من صور عذابهم، فهم يسحبون على وجوههم في النار سحباً.

المحور الثالث: يتحدث هذا المحور عن مصارع المكذبين من الأمم السابقة، وبيان لعاقبتهم المخزية، وتحذير قريش من أن يلقوا نفس هذا المصير(٥٥٩).

١ - قال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ [القمر: ٣].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر (مُسْتَقِرٍ) بخفض الراء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ برفعها(٥٦٠).

المعنى اللغوي للقراءتين:

قَرَّ الشيءُ مِن باب ضَرَبَ، اسْتَقَرَّ بالمكان والاسم القَرَارُ، ومنه قيل لليوم الأول من أيام التشريق يومُ القَرِّ؛ لأن الناس يَقِرُّونَ في مِنى للنحر؛ والاستقرار التمكّن، وقرار الأرض المُسْتَقِرُّ الثابتُ(٥٦١).

---

(٥٥٩) انظر: الظلال ج٦ ص٣٤٢٤، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٤.

(٥٦٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩.

(٥٦١) انظر: المصباح المنير ص٢٩٥.

التفسير:

هذه الآية تصف لنا نفسية هؤلاء الكفار المعاندة المكذبة، المنكرة للحق الواضح الظاهر، المتبعة للهوى والباطل، فهي نفسيات مريضة باطلة مُبطِلة ضَالة مُضِلة، ليس لها ميزانٌ صادق، ولا حكم عادل تجاه هذه الآيات الصادقة، والمعجزات الخالدة، فهم يسارعون إلى إنكار الحق، ويظنّون به الظنونا، وفي نفس الوقت وبسرعة أشد يغمسون أنفسهم في مستنقع الباطل غمساً؛ جاءهم الرسول ﷺ وهم يعرفون نسبه وصدقه وحسن خلقه، فسفّهوه ... وأيده الله بالآيات والمعجزات الخالدات فكذّبوه .. استزلهم الشيطان وقادهم للهوى وتركوا الحق الواضح، واتبعوا سرابهم الكاذب، وها هم اليوم يؤكدون ضلالهم مرة أخرى، وذلك بإنكارهم لآية عظيمة من آيات الله، وهي انشقاق القمر.

قال الرازي: في شرح هذه الآية «وهو يحتمل أمرين أحدهما: كذبوا محمداً ﷺ المخبر عن اقتراب الساعة؛ وثانيهما: كذبوا بالآية، وهي انشقاق القمر. فإن قلنا كذبوا محمداً عليه الصلاة والسلام فقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي تركوا الحجة، وأوّلوا الآيات، وقالوا هو مجنون تُعينه الجن، وكاهنٌ يقول عن النجوم، ويختار الأوقات للأفعال، وساحرٌ. فهذه أهواءهم، وإن قلنا كذبوا بانشقاق القمر فقوله: ﴿وَاتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُمْ﴾ في أنه سَحَر القمر، وأنه خسوف، والقمر لم يصبه شيء، فهذه أهواءهم وكذلك قولهم في كل آية»(٥٦٢).

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ فيه تهديد لهم، وتأكيد على إنجاز ما وعد الله من العقوبة.

قال السمرقندي: «يعنى كل قول من الله تعالى له حقيقة منه في الدنيا سيظهر، وما كان منه في الآخرة سيعرف. يعني ما وعد لهم من عقوبة. ويقال: معناه مستقر لأهل النار عملهم، ولأهل الجنة عملهم. يعني يعطي

(٥٦٢) تفسير الرازي ج١٠ ص٢٩٠.

لكل فريق جزاء أعمالهم»(٥٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالرفع ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ على أنها خبر كل، بمعنى كل أمرٍ في الدنيا أو في الآخرة سيظهر. فالخير سيستقر بأهله، والشر سيستقر بأهله. والمعنى أن أمرك أيها الرسول محمد عليه الصلاة والسلام سينتهي إلى الاستقرار بالنصر في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.

أما القراءة بالجر (مستقرٍ) فهي صفة لأمر، وهو بذلك يكون معطوفاً على الساعة، ويكون المعنى: اقتربت الساعة، واقترب كلّ أمر مستقر، يعني أشراطها.

قال الزمخشري: «أي كلُ أمرٍ لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها، وأن أمر محمد عليه الصلاة والسلام سيصير إلى غاية يتبيّن عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته»(٥٦٤).

وقال ابن عجيبة: «وقرئ مستقر بالجر، فيعطف على الساعة، أي: اقتربت الساعة وكل أمر مستقر يعني أشراطها»(٥٦٥).

وقال ابن عطية: «وقرئ (كل أمر مستقرٍ) بجر مستقرٍ يعني بذلك أشراطها»(٥٦٦).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، تبيّن أن الله ﷻ يخبرنا أن تكذيب هؤلاء الكفار وإنكارهم لن ينفعهم، ولن يدوم ضلالهم، فكل أمر في الدنيا أو في

(٥٦٣) تفسير بحر العلوم ج٣ ص٢٩٨.

(٥٦٤) الكشاف ج٤ ص٤٤.

(٥٦٥) البحر المديد ج٧ ص٢٥٢.

(٥٦٦) المحرر الوجيز ج٥ ص٢١٢.

الآخرة سينتهي إلى الظهور والاستقرار.

فالله ﷻ سَيُظْهِر الحق، وسينصر رسوله ﷺ ومن معه في الدنيا، وسيكون في الآخرة هو وأمته من الفائزين. وكذلك إن أمر الساعة التي كذب بها الكفار سيظهر، وستظهر أشراطها لهم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تُغْني) بالياء عند الوقف فقط.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُغْنِ﴾ بحذفها مطلقاً(٥٦٧).

المعنى اللغوي للقراءتين:

غَنِيَ به عنه غُنْيَةٌ. وغَنِيَتِ المرأةُ بزوجها غُنْيَاناً، أي استغنتْ. وغَنِيَ بالمكان، أي أقام. وَغَنِيَ أي عاش. وأغنيتُ عنكَ مُغْنى فلانٍ، ومَغْنَى فلانٍ، وَمغْناة فلانٍ، إذا أجزأتُ عنك مُجْزَأَهُ. ويقال: ما يُغْني عنك هذا أي ما يُجزىء عنك وما ينفعك(٥٦٨).

التفسير:

يصور الله ﷻ الحد الذي وصلوا إليه في إعراضهم، لدرجة أنهم لا ينتفعون بالأنباء، ولا جدوى للنذر معهم.

قال السمرقندي: «يعني جاءهم كلمة بالغة وهو القرآن يعني حكمة وثيقة ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يعني لا تنفعهم النذر إن لم يؤمنوا»(٥٦٩). وقال محمد طنطاوي: «والنذر جمع نذير بمعنى مُنْذِر»(٥٧٠).

---

(٥٦٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٧.
(٥٦٨) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٣٠.
(٥٦٩) بحر العلوم ج٣ ص٢٩٨.
(٥٧٠) التفسير الوسيط ج١٤ ص١٢٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإثبات الياء، أن النذر لم تنفع هؤلاء الكفار؛ وذلك لشدة كفرهم، وعدم استقبالهم للإيمان، ولم تنشرح إليه صدورهم.

أما القراءة بحذف الياء، فلقد عبَّرت عن هذا الحد الذي وصلوا إليه، ليس بالمعنى المستنبط من الكلمة فقط، بل بخط الكلمة أيضاً؛ وأعني بالخط فكما سقطت غاية أحرف الكلمة في تغني وهي الياء، كذلك سقطت ثمرة الإنذار فلم يقبلوا، ولم يستجيبوا.

وهذه القراءة تظهر شدة ضعف تأثير الآيات والنذر في نفوس هؤلاء الكفار، وذلك بسبب فساد هذه النفوس والقلوب. وهذا ظاهر في حذف الياء وسرعة النطق بالكلمة بدون الياء.

قال البقاعي: «ولعل الإشارة بإسقاط يا (تغني) بإجماع المصاحف من غير موجب في اللفظ إلى أنه كما سقطت غاية أحرف الكلمة، سقطت ثمرة الإنذار وهو القبول»[٥٧١].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، تبيّن لنا أن هذه النذر، التي لم تغن عنهم ولم تنفعهم، كانت منعدمة التأثير في نفوسهم، بل كانت شديدة انعدام التأثير في نفوس هؤلاء الذين رفضوا استقبال الإيمان، ودلَّ على ذلك حذف الياء وسرعة النطق بالكلمة بدونها.

٣ ـ قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾ [القمر: ٦].

القراءات:

أ ـ قال تعالى: ﴿ٱلدَّاعِ﴾

(٥٧١) نظم الدرر ج٧ ص٣٤٦.

١ ـ قرأ أبو عمرو وأبو جعفر وورش (الداعِي) بإثبات الياء وصلاً.

٢ ـ وقرأ البزي ويعقوب بإثباتها في الحالين[٥٧٢].

٣ ـ وقرأ الباقون (الداعْ) بحذفها مطلقاً[٥٧٣].

ب ـ قال تعالى: ﴿نُكُرٍ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير (نُكْر) بإسكان الكاف.

٢ ـ وقرأ الباقون (نُكُر) بضمها[٥٧٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱلدَّاعِ﴾: دعا بالشيء دعْواً، ودعوةً، ودُعاءً، ودعوى: طلب إحضاره. قال: ويقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة. ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه[٥٧٥].

﴿نُكُرٍ﴾ : النكرة ضد المعرفة. وقد نكِرْتُ الرجلَ بالكسر نُكْرَاً ونُكُوْرَاً، وأَنْكَرْتُهُ واسْتَنْكَرْتُهُ بمعْنَىً. وقد نَكُرَ الأمر بالضم أي صَعُبَ واشتدَّ. والإنكارُ الجحود[٥٧٦].

التفسير:

هذا أمر من الله ﷻ للرسول ﷺ بترك هؤلاء، فلقد وصلوا إلى حدٍ مبالغٍ فيه من الصدود والإنكار.

قال ابن عجيبة: «ومعنى نُكُر أي شيء منكر فظيع، تنكره النفوس،

(٥٧٢) أي في الوصل والوقف.

(٥٧٣) انظر: غيث النفع ص٥٠٨، والبدور الزاهرة ص٣٨٧.

(٥٧٤) انظر: التيسير في القراءات السبع ص١٦٦.

(٥٧٥) انظر: المعجم الوسيط ص٢٨٦.

(٥٧٦) انظر: الصحاح في اللغة ص١٢٠٤.

لعدم العهد بمثله، وهو هول يوم القيامة»[٥٧٧].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعند هذا الحد من تصور إعراضهم وإصرارهم، وعدم انتفاعهم بالأنباء، وقلة جدوى النذر مع هؤلاء، يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ للإعراض عنهم، وتركهم يلاقون اليوم الذي لا يحفلون النذير باقترابه، وهم يرون انشقاق القمر بين يدي مجيئه»[٥٧٨].

واختلف العلماء في بيان من هو الداعي، فقيل: هو إسرافيل. وقيل: هو جبريل. وقيل: ملك غيرهما عليهما السلام. وقيل: هو الله ﷻ[٥٧٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ٱلدَّاعِ﴾

أفادت القراءة بإثبات الياء، على معنى: أي يا محمد عليه الصلاة والسلام اتركهم إلى يوم يبعثهم الله تعالى فيه، حيث سيدعوهم الداعي إلى الخروج من قبورهم، والعودة بعد هذا الموت الطويل.

أما القراءة بحذف الياء، فقد دلّت على سرعة هذا النداء، وقلة كلماته، فبكلمات قليلة يحي الله ﷻ كل هذه الأعداد المهولة من البشر، ويعيدهم من بعد العدم.

قال الألوسي: «وجوز أن يكون الدعاء للإعادة في ذلك اليوم كما الأمر في كن فيكون»[٥٨٠].

الجمع بين القراءتين:

(٥٧٧) تفسير البحر المديد ج٧ ص٢٥٣.

(٥٧٨) الظلال ج٦ ص٣٤٢٩.

(٥٧٩) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٧٩.

(٥٨٠) روح المعاني ج١٤ ص٧٩.

وبالجمع بين القراءتين، يظهر أن الدعاء ربما لن يكون ذو كلمات كثيرة أو طويلة. بل ما هو إلا كلمات قليلة فيخرج الناس للقضاء، ودلَّ على ذلك حذف الياء من كلمة الداعي، وسرعة نطقها وخفتها، بل المبالغة في الخفة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿نُّكُرٍ﴾

ذكر بعض العلماء أنهما من اللغات العربية، وأن الإسكان جاء للتخفيف(٥٨١). ولكن الناظر إلى حركة الضم على حرف الكاف، فإنه من خلالها يستطيع أن يستنبط فرقاً بين القراءتين، وعليه فقد أفادت القراءة بالسكون على الكاف (نُكْر)، للدلالة على أمر فظيع وصعب ومنكر.

أما القراءة بضم الكاف (نُكُر) فهي لبيان شدة هذا اليوم، ومدى قوته ودرجة صعوبته، فهو أمر ليس صعباً فقط، وليس فظيعاً فحسب، بل هو غاية في الفظاعة بحيث لا تتصوره النفس، ودل على ذلك قوة حركة الضم، وزاد في الدلالة وجود الضمتين المتلاحقتين، فإذا كان الضم يعبر عن القوة فكيف بضمتين متلاحقتين(٥٨٢).

وجاء في الصحاح نكر الأمر بالضم صعب واشتد(٥٨٣). قال السعدي: «قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي أمر فظيع، تنكره الخليقة، فلم تر منظراً أفظع ولا أوجع منه»(٥٨٤).

وفي ذلك مزيد زجر وردع وإنذار للناس كافة، حتى يفعلوا كل ما بوسعهم للاستعداد لمثل هذا اليوم؛ ليكونوا من الناجين بإذنه ﷻ.

---

(٥٨١) انظر: الحجة للقراء السبعة ج٦ ص٢٤٢ لأبي علي الفارسي / دار المأمون للتراث بيروت ـ ط الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، والكشف ج٢ ص٢٩٧.

(٥٨٢) انظر: ما قاله السامرائي في كتابه: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص١٠٢.

(٥٨٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٢٠٤.

(٥٨٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج٧ ص٢٢٨ / نشر الإدارة العامة للبحوث والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٤هـ.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يرسم لنا القرآن الكريم صورة مهيبة جليلة وفظيعة، تعبيراً عن مدى فظاعة هذا اليوم، وشدَّته على الخلائق.

٤ ـ قال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ﴿خُشَّعًا﴾ بضم الخاء وفتح الشين مشددة.

٢ ـ وقرأها الباقون (خَاشِعاً) بفتح الخاء وبعدها ألف وكسر الشين(٥٨٥).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الخشوع الخضوع كالإختشاع، والفعل كمنع يقال: خَشَعَ يَخْشَعُ خُشُوْعَاً واخْتَشَعَ. وخشع بِبَصَرِهِ أي غَضَهُ وهو مُجَاْز. قال: الخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن(٥٨٦).

التفسير:

بعد أن بيّن الله ﷻ في الآية السابقة أن الناس سيحيون من جديد بدعوة من الداعي، بيَّن الله ﷻ في هذه الآية الكيفية والحالة التي سيكون عليها الناس أثناء خروجهم من قبورهم. وهم بحال غاية في الحيرة والذل والهول بسبب ما سيحدث لهم حينها.

(٥٨٥) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٧، والنشر في القراءات العشر ج٢ ص٢٨٩.

(٥٨٦) انظر: تاج العروس ج٥ ص٣١٨.

يقول سيد قطب: «وهو مشهد من مشاهد ذلك اليوم، يناسب هوله وشدته ظلال السورة كلها، ويتناسق مع الإرهاص باقتراب الساعة، ومع الإنباء بانشقاق القمر، ومع الإيقاع الموسيقي في السورة كذلك، وهو متقارب شديد. وهو مع سرعته شاخص متحرك، مكتمل السمات والحركات؛ هذه جموع خارجة من الأجداث في لحظة واحدة، كأنهم جراد منتشر (ومشهد الجراد المعهود يساعد على تصور المنظر المعروض)، وهذه الجموع خاشعة أبصارها من الذل والهول، وهي تسرع في سيرها نحو الداعي الذي يدعوها لأمر غريب نكير شديد لا تعرفه ولا تطمئن إليه»[٥٨٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بضم الخاء وتشديد الشين، على معنى الجمع، وهي الحالة والصفة العامة التي ستكون عليها تلك الجموع. وهي الذلة والهوان.

أما القراءة بفتح الخاء وبعدها ألف، فهي على معنى التوحيد أي بمعنى أن كل واحد منهم سيكون كذلك، وذلك حتى لا يظن ظانّ بأن صفة الذل والخشوع هي وصف لعموم حالة الجموع، وقد يكون هناك بعض الأفراد منهم غير مشمولين بهذه الصفة، جاءت هذه القراءة على التوحيد، لتؤكد بأن كل واحد على حدة من هؤلاء ستكون صفته كذلك، وهذه غاية في المبالغة.

قال البغوي: «قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي (خاشعاً) على الواحد، وقرأ الآخرون ﴿خُشَّعًا﴾ بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع، ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير، والتأنيث، تقول: مررت برجال حسن أوجههم، وحسنة أوجههم وحسان أوجههم»[٥٨٨].

(٥٨٧) الظلال ج٦ ص٣٤٢٩.

(٥٨٨) تفسير البغوي ج٥ ص١٦٢.

وقال البقاعي: «وإفراده في قراءة أبي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي على أن الخشوع بلغ في النهاية من الشدة ونسبته إلى كل بصر على حد سواء»(٥٨٩).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن الحالة التي يخرج بها هؤلاء من قبورهم، هي حالة من الذل والهوان والذهول، وهذه الصفة ستلازم كل فرد منهم على السواء، ولا ينجو منها أحد من هؤلاء المنكرين الجاحدين.

٥ ـ قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان وأبو عمرو (الداعي) بإثبات الياء وصلاً.

٢ ـ وقرأها ابن كثير ويعقوب بإثبات الياء في الحالين.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلدَّاعِ﴾ بحذف الياء في الحالين(٥٩٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

دعا بالشيء دعْواً، ودعوةً، ودُعاءً، ودعوى: طلب إحضاره، وقد سبق بيانها في نفس السورة(٥٩١).

التفسير:

إذا كان قد بيَّن الله تبارك وتعالى في الآيات السابقة حقيقة يوم البعث،

---

(٥٨٩) نظم الدرر ج٧ ص٥٣٦.

(٥٩٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٧.

(٥٩١) انظر ص١٨٦.

وأن هناك منادياً سينادي على الخلائق للخروج من قبورها ليوم الحساب، وأن هؤلاء المنكرين سيخرجون في ذلة وخضوع وهوان وحيرة، فإنه ﷻ بيّن لنا في هذه الآية كيفية الاستجابة بعد الخروج، فهم مسرعون غاية الإسراع في سيرهم إلى الداعي.

قال سيد قطب: «وفي أثناء هذا التجمع والخشوع والإسراع يقول الكافرون ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ وهي قوة المكروب المجهود الذي يخرج ليواجه الأمر الصعب الرعيب»[٥٩٢].

وقال الصابوني: «أي مسرعين مادي أعناقهم إلى الداعي لا يتلكؤون ولا يتأخرون»[٥٩٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بإثبات الياء، بمعنى أنهم سيخرجون لِيُلَبُّوا دعاء الداعي الذي دعاهم للخروج.

أما القراءة بحذف الياء، فهي إشارة إلى أن هذا الداعي الذي دعاهم للخروج، إنما دعاهم بكلمات سريعة وقليلة، ودلّ على ذلك سرعة النطق بها، وقلة عدد حروفها، وذلك لحذف حرف الياء من كلمة (الداعي).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين عُلِمَ بأن الناس سيخرجون مسرعين نحو الداعي الذي دعاهم بكلمات قليلة في حروفها، كبيرة وقوية في وقعها، لدرجة أنهم لبُّوا أمر النداء مباشرة وبسرعة وبدون تردد.

٦ ـ **قال تعالى**: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾﴾ [القمر: ١١].

---

(٥٩٢) الظلال ج٦ ص٣٤٢٩.

(٥٩٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٧.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (فَفَتَّحنا) بتشديد التاء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بالتخفيف(٥٩٤).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الفتحُ نَقِيْضُ الإغلاق؛ فَتَحَهُ يَفْتَحه فَتْحاً وافْتَتَحه وفتَّحه فانْفَتَحَ وتَفَتَّحَ. وفُتِّحَتِ الأبواب شدّد للكثرة(٥٩٥).

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق مجموعة من الآيات، تتحدث عن العقاب والعذاب، الذي أنزله الله ﷻ على الأمم السابقة، التي كذبت رسولها، وفي ذلك إشارة لهؤلاء المكذبين أن المصير الذي لاقاه هؤلاء من الممكن أن تلاقوه أنتم بسبب كفركم، كذلك فإن هذه الآية ومثلها تفتح باب التدبر لهؤلاء الذين غرَّتهم عقولهم وأضلتهم أهواءُهم. أي انظروا إلى ما حل بمن سبقكم فاعتبروا وآمنوا قبل أن يأتيكم ما أتاهم فتكون عاقبتكم الخسران والذل والهوان.

قال سيد قطب: «وبعد هذا الإيقاع العنيف في مطلع السورة؛ والمشهد المكروب الذي يشمل المكذبين في يوم القيامة؛ يأخذ في عرض مشاهد التنكيل والتعذيب الذي أصاب بالفعل أجيال المكذبين قبلهم، وعرض مصارع الأمم التي سلكت من قبل مسلكهم، بادئاً بقوم نوح»(٥٩٦).

وقال الصابوني: «أي فأرسلنا المطر من السماء مُنْصَبّاً بقوة وغزارة»(٥٩٧).

---

(٥٩٤) انظر: الشامل ص٢٦٠، والبدور الزاهرة ص٣٨٨.

(٥٩٥) انظر: لسان العرب ج٢ ص٥٣٦.

(٥٩٦) الظلال ج٦ ص٣٤٢٩.

(٥٩٧) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون تشديد بيان أن الله تعالى انتصر لأنبيائه، وانتقم من المكذبين، وذلك بإنزال المطر الغزير عليهم حتى أغرقهم، والفتح لأبواب السماء يكون مرة واحدة فقط.

أما القراءة بالتشديد فقد دلَّت على المبالغة في الفعل؛ لبيان مدى شدّة المطر النازل، وكثرته. ولبيان كثرة الأبواب التي تفتَّحت من السماء، وكان التفتُّح مرة بعد مرة.

قال ابن عطية: «وقرأ ابن عامر وأبو جعفر والأعرج ففتَّحنا بشدها على المبالغة»(٥٩٨).

وقال السمرقندي: «تشديد التاء على تكثير الفعل»(٥٩٩).

وقال البيضاوي: «فتَّحنا بالتشديد لكثرة الأبواب»(٦٠٠). وقال ابن خالويه: «ووجه التخفيف أن الفتح في وقت واحد، ووجه التشديد أن التفتح من السماء كان كما التفجُّر من الأرض شيئاً بعد شيء ودام وكثر»(٦٠١).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن هذا المطر الغزير الذي أنزله الله على المكذبين من السماء كان غاية في الشدة والغزارة والمبالغة لدرجة أن السماء أخذت تتفتح مرة بعد مرة، وبأبواب كثيرة، ودائمة المطر، ولم يقتصر الأمر عند الفتح مرة واحدة.

٧ ـ **قال تعالى:** ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١٢].

(٥٩٨) المحرر الوجيز ج٥ ص٢١٤.
(٥٩٩) بحر العلوم ج٣ ص٢٩٩.
(٦٠٠) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٦٥.
(٦٠١) الحجة في القراءات ص٣٣٨.

القراءات:

١ ـ قرأ مكي وابن ذكوان وشعبة والأخوان (عِيوناً) بكسر العين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿عُيُونًا﴾ بالضم(٦٠٢).

المعنى اللغوي للقراءتين:

العَيْنُ عين الماء، والعين التي يخرج منها الماء، والعين يَنْبُوع الماء الذي يَنْبُع من الأرض ويجري(٦٠٣).

التفسير:

إذا كانت السماء صبت ماءَها بغزارة شديدة، فإن الأرض أيضاً قد شاركت بإغراق هؤلاء وتعذيبهم؛ لأنها قد تفجَّرت بالماء فأصبحت عيوناً تفور فوراً.

قال البيضاوي: «وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة، وأصله وفجَّرنا عيون الأرض فغير للمبالغة»(٦٠٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالكسر بأن الله ﷻ قد جعل الأرض عيوناً متفجرة، وجاءت بالكسر مجانسة بالياء(٦٠٥).

أما القراءة بالضم على العين، فقد أفادت بيان قوة هذه العيون، فهي تفيض بالماء بقوة وغزارة شديدة مقابلة لما تفعله السماء من إنزال للمطر بقوة وغزارة، ودل على ذلك قوة حركة الضم التي هي من أقوى الحركات قاطبة.

---

(٦٠٢) انظر: غيث النفع ص٥٠٩.

(٦٠٣) سبق بيانها عند تفسير سورة الذاريات ص١٠٦.

(٦٠٤) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٦٥.

(٦٠٥) انظر: أضواء البيان ج٥ ص٢١٠.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن كثرة وقوة هذه العيون التي تفجرت بالماء، لدرجة أن الأرض أصبحت كلها عيوناً تتفجر بالماء وتفيض به بقوة.

٨ ـ **قال تعالى:** ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر: ١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش (ونذري) بإثبات الياء وصلاً فقط.

٢ ـ وقرأ يعقوب بإثباتها في الحالين.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿وَنُذُرِ﴾ بحذف الياء مطلقاً[٦٠٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

الإنذار الإبلاغُ ولا يكون إلا في التخويف، والاسمُ النُّذُر بضمتين، والنَذير المُنْذِر والإنذار أيضاً[٦٠٧].

التفسير:

لقد وردت هذه الكلمات في ستة مواضع في هذه السورة[٦٠٨]، وهي لبيان هول ما لحق بهم. والاستفهام للتعظيم والتعجب، أي كان عذابي وإنذاري لهم على هيئة هائلة، لا يحيط بها الوصف، والنذر جمع نذير معنى الإنذار، أي فكيف كان عذابي وإنذاري[٦٠٩].

---

(٦٠٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٨.

(٦٠٧) انظر: مختار الصحاح ص٣٥١.

(٦٠٨) انظر: الآيات (١٦، ١٨، ٢١، ٣٠، ٣٧، ٣٩) من سورة القمر.

(٦٠٩) انظر: البحر المديد ج٧ ص٢٥٧، وتفسير غريب القرآن ص٤٣٢، دار الكتب العلمية بيروت ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بحذف الياء على معنى أرأيتم وسمعتم كيف كان عذاب الله تعالى هائلاً وشديداً، وأدركتم أن نذري كانت حقاً وصدقاً.

أما القراءة بإثبات الياء وإن كانت قد حملت في نفس المعنى الذي ذكرناه في القراءة بالحذف، إلا أنها أضفت طابعاً آخر على هذه الكلمة، وهو طابع ومشهد كله رعب وزجرٌ وردعٌ فإذا كان الإنذار بحد ذاته مرعباً، فكيف إذا نُسِب هذا الإنذار إلى قوِيّ جبّار، وذلك بإثبات الياء، وهي حرف كامل ممدود.

كذلك فإن المد في حرف الياء يشير إلى أن هذا الإنذار كان مجموعة من الإنذارات جاءتهم على أوقات متفرقة، وتركت لهم فرصة من الوقت ليعتبروا، ولكنهم لم يعتبروا، ودلّ على ذلك إطالة زمن الصوت وزيادته عند نطق حرف الياء الممدودة في (ونذري).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين أظهر لنا الله ﷻ كيف كان عظيم عذابه على الكافرين، وكيف أن إنذاره لهم لم يكن إلا حقاً وحقيقة، وهذا الإنذار كان عبارة عن مجموعة من الإنذارات جاءتهم في أوقات زمنية ومنحتهم فرصة من الوقت ليستفيدوا منها، ولكنهم لم يفعلوا. والقول في باقي المواضع التي وردت فيها هذه القراءة مثل القول في هذا الموضع تماماً.

٩ ـ قال تعالى: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القمر: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ قالون وأبو جعفر (أألقي) بتسهيل الهمزة الثانية مع إدخال ألف بينهما.

٢ ـ وقرأها أبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال وعدمه.

٣ ـ وقرأها بالتسهيل من غير إدخال ورش ومكي ورويس.

٤ ـ وقرأها هشام بثلاثة أوجه التسهيل مع الإدخال والتحقيق مع الإدخال وعدمه.

٥ ـ وقرأها الباقون (أألقي) بالتحقيق بلا إدخال[٦١٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

(أألقي): ألقيت الشيء بالألف طرحتُه، وألقيتُ إليه القولَ وبالقولِ أبلغته، وألقيته عليه بمعنى أمليته وهو كالتعليم، وألقيت المتاع على الدابة بمعنى وضعته[٦١١].

التفسير:

تبيّن هذه الآية الكريمة مدى سفه وجهل وعناد هؤلاء الكافرين، وذلك أنهم يمتنعون عن الإيمان بأسباب واهية باطلة كما هو حالهم في هذه الآية، فهم ينكرون على رسولهم صالح عليه السلام، ويرفضون تصديقه؛ لأنه بشر مثلهم، فهم ينكرون أن ينزل الذكر على رجل منهم ومن بينهم. أو كان سبب إنكارهم؛ لأنه واحد من أفنائهم، وليس من أشرافهم[٦١٢].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل مكذّبي رسوله صالح ﷺ من قومه ثمود: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ يعنون بذلك: أنزل الوحي وخصّ بالنبوّة من بيننا وهو واحد منا، إنكاراً منهم أن يكون الله يُرسل رسولاً من بني آدم»[٦١٣].

---

(٦١٠) انظر: غيث النفع ص٥٠٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٨.

(٦١١) انظر: المصباح المنير ص٣٣١.

(٦١٢) انظر: التفسير الوسيط ج١٤ ص١٣٩.

(٦١٣) جامع البيان ج٩ ص٧٧٤٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بتحقيق الهمزة، وتسهيلها بدون إدخال ألف ولا مد على معنى الاستفهام بمعنى كيف يخصه الله تعالى من بيننا وينزل عليه الذكر، فأية ميزة خصه الله تعالى بها، وهو اعتراض من الكافرين على الله تبارك وتعالى(٦١٤).

أما القراءة بتسهيل الهمز مع إدخال ألف ممدودة، فقد تعدت مرحلة الاستفهام إلى مرحلة الاستغراب والتعجب والمبالغة في الاعتراض، بمعنى أنهم متعجبون ومستغربون ومعترضون من اختيار الله تعالى للنبي المرسل، ودلّ على ذلك وجود المد الذي هو بمعنى الزيادة والمبالغة في الفعل.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينها، يتبيّن كيف أن هؤلاء الكفار، يتساءلون باستغرابٍ وتعجبٍ شديدين سؤال المنكرين والمعترضين على إختيار المرسلين من قِبَلِ الله تعالى عمّا يقولون علواً كبيراً.

١٠ ـ **قال تعالى:** ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [القمر: ٢٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحمزة (ستعلمون) بالخطاب.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ بالغيب(٦١٥).

المعنى اللغوي للقراءتين:

العمل هو حركة البدن بكلّه أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس. فهو إحداث أمر، قولاً كان أو فعلاً بالجارحة أو القلب، ولكن الأسبق

(٦١٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج٧ ص٢٣٥.

(٦١٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩، والشامل ص٢٦٠.

للفهم اختصاصه بالجارحة، وخصَّه البعض بما لا يكون قولاً، وقد مضى تعريفها عند تفسير سورة الفتح(٦١٦).

التفسير:

في هذه الآية يَرُدُّ الله ﷻ على إنكارهم واتهامهم لصالح بأنه كذَّاب وأشرّ، أي بطر بقوله تعالى: سيعلمون أنهم هم الكذَّابون الأشرون، لكن أورد ذلك مورد الإبهام إيماءً إلَّا أنه مما لا يكاد يخفي(٦١٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء على أنها إخبار من الله تعالى لصالح، بأن العذاب سيقع عليهم بعد زمن معين. أما القراءة بالتاء فهي خطاب من صالح لقومه، وذلك بأن صالحاً أخبر قومه بوقوع العذاب عليهم بعد زمن معين(٦١٨).

قال أبو حيان: «سيعلمون بياء الغيبة، وهو من إعلام الله تعالى لصالح عليه السلام؛ وقال بتاء الخطاب: أي قل لهم يا صالح وعداً يراد به الزمان المستقبل»(٦١٩).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يظهر بأن الله تعالى قد أخبر صالحاً عليه الصلاة والسلام بوقوع العذاب عليهم بعد مدة وأمره بتبليغ قومه بذلك.

تمت سورة القمر بحمد الله تعالى وتوفيقه.

---

(٦١٦) انظر: ص٣٥.

(٦١٧) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٨٨.

(٦١٨) انظر: فتح القدير ج٥ ص١٥١.

(٦١٩) انظر: البحر المحيط ج٨ ص١٧٩.

المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة الرحمن
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وهي ثمان وسبعون آية، سمِّيت بعروس القرآن، فهي كالعروس بين سائر السور الكريمة، وهي ذات نسق خاص ملحوظ، فهي إعلان وإعلام يصدح في الوجود، مخبراً بآلاء الله تعالى الباهرة الظاهرة في جميل صنعه وإبداع خلقه[٦٢٠].

مناسبتها لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال المكذبين المجرمين ومآلهم، وبيَّن حال المتقين، فإنه فصَّل هذا الإجمال في الذكر أشد التفصيل في هذه السورة، كذلك لمَّا عدَّد الله تعالى ما نزل بالمكذبين من الأمم السالفة من صنوف العذاب، عدَّد في هذه السورة ما أفاض الله تعالى به على كافة الأنام من فنون نعمه الدينية والدنيوية[٦٢١].

(٦٢٠) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٩٦، والظلال ج٦ ص٣٤٤٥، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٧٤.

(٦٢١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٩٦.

الموضوع العام للسورة:

تناولت هذه السورة الكريمة ثلاثة مواضيع رئيسة:

الأول: تناولت السورة ذكر آلاء الله تعالى الباهرة، وتعدد نعمه الكثيرة، وأشارت إلى تمجيده والثناء عليه ﷻ في خاتمة السورة.

الثاني: تحدثت السورة عن دلائل القدرة الإلهية الباهرة في تسيير الأفلاك، وتسخير السفن الكبيرة، التي تمخر عباب البحر بلا توقف، وكأنها الجبال الشاهقة من كبر حجمها وضخامتها، وفي تجلّي الله تعالى على جميع مخلوقاته بقهرهم بالموت والفناء.

الثالث: تناولت الحديث عن يوم القيامة وأهوالها، وبيان حال الأشقياء المجرمين، وما يحل بهم من عذاب أليم، وتناولت كذلك حال المؤمنين، وبيان ما هم فيه من النعيم، والسعادة الأبدية بتفصيل وإسهاب معقول(٦٢٢).

١ ـ **قال تعالى:** ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمٰن: ١٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر بنصب الحب، وذا، والريحان (والحبَّ ذا العصفِ الريحانَ).

٢ ـ وقرأ حمزة والكسائي وخلف بجر الريحان فقط، وَرَفْع الحب وذو (والحبُّ ذو العصفِ والريحانِ).

٣ ـ وقرأ الباقون برفع الثلاثة(٦٢٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(والحب)**: قال في اللسان: «والحَبُّ الزرع صغيراً كان أو كبيراً،

(٦٢٢) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٧٤.

(٦٢٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩، والبدور الزاهرة ص٣٩٠، وإرشاد المريد ص٣٦٨.

واحدته حبةٌ، والحَبُّ معروف مُستعمل في أشياء جمَّة حبةٌ من بُرّ وحَبَّة من شَعير، حتى يقولون حبّة من عنب. قال: والحِبَّة حبُّ الرياحين وواحده حَبَّة»[٦٢٤].

ب ـ **(ذو)**: ذو بمعنى صاحب فلا يكون إلا مضافاً، فإن وصَفْتَ به نكرة أضفته إلى نكرة، وإن وصفت به معرفة أضفته إلى الألف واللام. ولا يجوز إضافته إلى مضمر ولا إلى زيدٍ ونحوه[٦٢٥].

ج ـ **(والريحان)**: الريحان نبت معروف، وهو الرِزْق أيضاً[٦٢٦].

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق تعداد نعم الله تعالى على الإنسان، فالله سبحانه خلق هذا الإنسان في أبهى وأحسن صورة، وعلَّمَه البيان، وجعل له الأرض مسكناً يناسبه، وذلَّلها له، وجعل من فوقه سماءً عظيمة، فيها من أسباب الرزق والحماية، وفوائد شتى، وأوجد لهذا الإنسان في هذه الأرض شتى أنواع النعم، وأسباب الحياة من مأكل ومشرب، وليس له فحسب بل ولِدَوَابِّه أيضاً.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وفيها الحبّ وهو حبّ البُرّ والشعير ذو الورق. والتبن: هو العصف»[٦٢٧]. أما الريحان فاختلف في معناه، فمنهم من قال: بأنه كل ما له رائحة ذكية من الحشائش[٦٢٨]. ومنهم من ذهب إلى أنه الرزق وهو اللب: أي فيه ما يتلذذ به، والجامع بين التلذذ والتغذي[٦٢٩]. قال مجاهد: «(العصف) ورق الحنطة، (والريحان) الرزق»[٦٣٠].

(٦٢٤) لسان العرب ج١ ص٢٩٣.
(٦٢٥) انظر: مختار الصحاح ص١٣١.
(٦٢٦) انظر: مختار الصحاح ص١٥٢.
(٦٢٧) جامع البيان ج٩ ص٧٧٦٩.
(٦٢٨) انظر: التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٢٤٢.
(٦٢٩) انظر: البحر المديد ج٧ ص٢٦٨، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص٣٠٧.
(٦٣٠) تفسير مجاهد ج٢ ص٦٤٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: الرفع في الثلاثة، والنصب في الثلاثة مع الألف

أفادت القراءة بالرفع في الثلاثة على أنها معطوفة على المرفوع قبلها وهو قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾، والمعنى: فيها فاكهة وفيها الحبُ ذو العصف وفيها الريحانُ.

أما القراءة بالنصب في الثلاثة مع الألف فهي عطف على المنصوب قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٧]، أو قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾[الرحمٰن: ١٠]، أو هي بمعنى خَلَقَ أي خَلَقَ الحبَّ ذا العصفِ وخَلَقَ الريحانَ.

قال أبو حيان: «برفع الثلاثة عطفاً على المرفوع قبله، وقال: بنصب الثلاثة أي وخلق الحب»[٦٣١]. **وقال الشوكاني:** «برفع الثلاثة عطفاً على فاكهة. وقال: وبنصبها عطفاً على الأرض، أو على إضمار فعل أي وخلق الحب ذا العصف والريحان»[٦٣٢].

وقال أحمد البنا: «بنصب الثلاثة على إضمار الفعل، أي أخصُّ أو خَلَقَ أو عطفاً على الأرض و(ذا) صفة الحب، وبرفع الثلاثة عطفاً على المرفوع قبله أي فيها فاكهة وفيها الحب و(ذو) صفة»[٦٣٣].

وقال ابن خالويه: «فالحجة لمن قرأه بالواو أنه ردَّه على قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾. والحجة لمن قرأه بالألف والنصب، أنه ردَّه على قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ وأنبت الحب ذا العصف»[٦٣٤]. وإلى ذلك أيضاً ذهب ابن زنجلة[٦٣٥] وأبو منصور الأزهري وغيرهما[٦٣٦].

---

(٦٣١) البحر المحيط ج٨ ص١٨٨ (بتصرف).

(٦٣٢) فتح القدير ج٥ ص١٥٩ (بتصرف).

(٦٣٣) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٠٩ (بتصرف).

(٦٣٤) الحجة في القراءات السبع ص٣٣٨.

(٦٣٥) انظر: حجة القراءات ص٦٩٠، ٦٩١.

(٦٣٦) انظر: معاني القراءات لأبي منصور ج٣ ص٤٤.

ثانياً: القراءة بخفض النون في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾

أفادت القراءة بخفض النون في (الريحان) عطفاً على (العصف) فيكون المعنى: والحب ذو العصف الذي هو علف البهائم. والريحان الذي هو مطعم الإنسان. وأجاز البعض أن تكون (الريحان) معطوفة على فاكهة ولكنها جرَّت للمجاورة.

قال الألوسي: «(والريحان) بالجرّ عطفاً على (العصف)، إذ يبعد عليها حمله على المشموم، والقريب حمله على اللبّ، فكأنه قيل: والحبُّ ذو العصفِ الذي هو رزق دوابكم، وذو اللّبّ الذي هو رزق لكم. وجَوَّز أن يكون الريحان في هذه القراءة عطفاً على (الفاكهة)، كما في قراءة الرفع والجر للمجاورة»[٦٣٧].

وقال أبو حيان: «والريحان بالجر والمعنى: والحب ذو العصف الذي هو علف البهائم، والريحان الذي هو مطعم الناس»[٦٣٨].

وقال الشوكاني: «والريحان بالجر عطفاً على العصف»[٦٣٩]. **وقال ابن خالويه:** «بالخفض ردّاً على العصف؛ لأن العصف التبن، والريحان ما فيه من الرزق وهو الحبّ»[٦٤٠].

وعلى هذا تكون القراءة بالرفع بمعنى: فيها فاكهة، وفيها الحبُّ ذو العصفِ، وفيها الريحانُ، وهذا من تعداد نعم الله تعالى على الناس.

وأما القراءة بالجر عطفاً على العصف، فيكون المعنى: من باب مزيد تذكير بنعم الله تعالى على هذا الإنسان، حيث عقد مقارنة بين طعام الدّوابّ الذي هو حبٌّ له أوراق، وبين طعام الإنسان الذي هو الريحان أي الرزق.

---

(٦٣٧) روح المعاني ج١٤ ص١٠٣.

(٦٣٨) البحر المحيط ج٨ ص١٨٩.

(٦٣٩) فتح القدير ج٥ ص١٥٩.

(٦٤٠) الحجة في القراءات ص٣٣٨.

وذلك أنه لما ذكر الحبّ أو التبن للبهائم ذكر هنا اللبّ الذي يأكله الإنسان بتلذذ وهو الريحان.

قال الخازن: «وقيل: العصف التبن، والريحان ثمرته، فذكر قوت الناس والأنعام»(٦٤١).

قال الزمخشري: «(العصف) ورق الزرع، وقيل: التبن، (والريحان): الرزق وهو اللبّ. أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه، والجامع بين التلذذ والتغذي»(٦٤٢).

ويرى الباحث أنه لا بد من الإشارة إلى أن كل ما ذكر من النعم السابقة، هي طعام للإنسان، فمنها خاص بالتغذية مثل الحبّ وهو الحنطة والشعير، ومنها ما هو للتلذّذ والتغذية معاً، مثل: النخيل أو الريحان، وهو ما يتلذَّذ به من الفواكه مع حصول التغذية.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ إشارة إلى أن هذا الحبَّ صاحب الورق، ورقه وهو التبن طعام لِدَوَابِّكُم، وكذلك بعض حبوبه، أو ما ردئ منها، وهذا حاصل في إطعام الدَّواب. **قال السعدي**: «﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ أي ذو الساق الذي يداس فينتفع بتبنه للأنعام وغيرها، ويدخل في ذلك حبّ البُرّ والشعير والذرة والأرز، والدخن وغير ذلك»(٦٤٣).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يذكُر الله ﷻ هذا الإنسان بنعمه العظيمة

(٦٤١) تفسير الخازن المجلد الرابع ج٧ ص٣.

(٦٤٢) تفسير الكشاف ج٤ ص٥٠.

(٦٤٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المشهور بتفسير السعدي ج٧ ص٢٤٧ /تحقيق محمد النجار / الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض المملكة العربية السعودية / ١٤٠٤هـ. وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول: تفسير السعدي.

عليه، فهذا الحبُّ الذي هو للتغذية تتغذون به، وتطعمون من ورقه أنعامكم، ومن بعض حبوبه أيضاً. وهذا الريحان الذي هو للتلذذ والتغذية مثل الفاكهة ذات المذاق الحسن، والرائحة الحسنة، كلّ ذلك خلقه الله تعالى لكم، وإذا كان بعض أنواع الحب، وكذلك العصف طعاماً لِدَوَابِّكم، فإن الله تعالى زادكم إكراماً، بأن خصَّكم بالفاكهة، وهذا ما أشارت إليه قراءة الجر بالعطف على العصف.

٢ ـ قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٢].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ﴾

١ ـ قرأ المدنيان والبصريان (يُخرَج) بضم الياء وفتح الراء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الراء[(٦٤٤)].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾

١ ـ قرأ السوسي وشعبة وأبو جعفر (اللولؤ) بإبدال الهمزة الأولى واواً.

٢ ـ وقرأها حمزة بإبدال الهمزة الأولى في حالة الوقف فقط.

٣ ـ وقرأ هشام وحمزة بإبدال الهمزة الثانية (اللؤلو)، ولهما أيضاً التسهيل مع الروم، ولهما إبدال بالواو الخالصة مع السكون والإشمام والروم[(٦٤٥)].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (خرج): الخروج نقيض الدخول، خَرَجَ يَخْرُج خُروجاً ومَخْرَجاً

---

(٦٤٤) انظر: التجريد لبغية المريد ص٣١٥، والبدور الزاهر ص٣٩٠.

(٦٤٥) انظر: غيث النفع ص٥٠٢، والبدور الزاهرة ص٣٨٣، المبسوط في القراءات العشر ٢٥٨، إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥١٠.

فهو خارجٌ وخَروجٌ وخَرَّاجٌ، وقد أخْرَجَهُ وخَرَجَ به(٦٤٦).

ب ـ **(اللؤلؤ)**: اللؤلؤ الدُرَّةُ، والجمع اللُّؤْلُؤُ واللآلِئُ وبَائعُه لآل، وقد مرَّ تعريفها في سورة الطور(٦٤٧).

التفسير:

وهذه الآية أيضاً تعرض نعمةً أخرى من نعم الله تعالى، إلا أنها تتمتع بميزة فريدة، فهي لا تعرض تلك النعمة فحسب، بل وإنها تلفت نظر الإنسان، وتأخذ بفكره إلى ضرورة النظر في الأشياء، التي حوله مثل: البحار وغيرها، والبحث فيها لاستخراج كنوزها، والكشف عن أسرارها، لأن الذي سيفكر في الدخول في هذا البحر العباب ليستخرج هذه الكنوز، فإنه بذلك قد فتح أمام عينيه آفاقاً كبيرة وكثيرة ومتعددة من العلم والمعرفة والاستكشاف، فالأمر لن يقتصر بعد ذلك على البحار، بل سيصبح الاستكشاف غاية هذا الإنسان في كل الأشياء التي حوله.

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ أي من مجموعها، فإذا وجد ذلك لإحداها لكفى، واللؤلؤ معروف، فأما المرجان، فقيل: هو صغار اللؤلؤ، أو هو نوع من الجواهر أحمر اللون(٦٤٨). أو اللؤلؤ هو كبار اللؤلؤ، والمرجان هو الصغار(٦٤٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ﴾

أفادت القراءة بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسمّ فاعله، وهي

---

(٦٤٦) انظر: لسان العرب ج٢ ص٢٤٩.

(٦٤٧) انظر: ص١٤٢.

(٦٤٨) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٩٢ (بتصرف)، والأساس في التفسير ج١٠ ص٥٦٥١.

(٦٤٩) انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور ج٦ ص١٩٥.

تكون بذلك مبنيّاً للمفعول، ويكون اللؤلؤ على هذه القراءة نائب فاعل يخرج.

ويكون المعنى على هذه القراءة، أن هذا اللؤلؤ لا يخرج من تلقاء نفسه، وإنما هناك من يقوم بإخراجه، ولعله ﷻ أخفى الفاعل المُخْرِج لهذا اللؤلؤ؛ لتعدد الفاعل وأسباب الخروج، فلربما يخرج من فعل الإنسان من خلال تسخير إمكاناته لحصول ذلك، ولربما يخرج بسبب عوامل الطبيعة، مثل هيجان البحر وتقلُّبه، وارتفاع موجه، ومن المعروف أن البحر في فترة ما، يخرج ما فيه من طحالب وعوالق وأشياء تكون بداخله، فيخرج هذا اللؤلؤ معها، وكل ذلك بقوة الله تعالى وإرادته.

أما القراءة بفتح الياء وضم الراء، فهي على البناء للفاعل ويكون اللؤلؤ هو فاعل يخرج.

وليس المعنى على هذه القراءة أن اللؤلؤ يقوم بإخراج نفسه بنفسه، ولكن على الاتساع؛ لأنه إذا أُخرج فقد خَرج، بمعنى أن النتيجة أنه خرج بغض النظر عن من أخرجه. وأيضاً من الممكن أن يكون على سبيل الإخبار، بمعنى أن هذا البحر فيه كنوز ثمينة تخرج منه بدون التطرق إلى من يخرجها، أو إلى كيفية إخراجها.

قال الشنقيطي: «(يُخرَج) بضم الياء وفتح الراء مبنياً للمفعول، وعليه فاللؤلؤ نائب فاعل يخرج، وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الراء مبنياً للفاعل، وعليه فاللؤلؤ فاعل يخرج»(٦٥٠).

وذكر القيسي: أن القراءة بضم الياء وفتح الراء هي حملاً للكلام على معناه، لأن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان منهما بأنفسهما من غير مخرج لهما. أما القراءة بفتح الياء وضم الراء، فقد أضافوا الفعل إلى اللؤلؤ والمرجان على الاتساع؛ لأنه إذا أُخرج فقد خَرج(٦٥١). وقال بذلك أيضاً ابن

---

(٦٥٠) أضواء البيان ج٥ ص٢٢٥ (بتصرف).

(٦٥١) الكشف عن وجوه القراءات ص٣٠١.

زنجلة[٦٥٢].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يبيّن الله ﷻ بأن هذين البحرين يخرج منهما أو من أحدهما اللؤلؤُ والمرجانُ، وهذا الخروج يكون بفعل فاعل، ولا يخرج من تلقاء نفسه، فقد يخرج بفعل الإنسان، أو بفعل عوامل الطبيعة، كالمد والجزر وغير ذلك، وكل ذلك بإرادة الله تعالى وقوته.

ب ـ قوله تعالى: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾

مضى الحديث عنها سابقاً في سورة الطور، وهي من اللغات العربية[٦٥٣].

٣ ـ **قال تعالى**: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمـٰن: ٢٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْجَوَارِ﴾

١ ـ قرأ يعقوب (الجَوارِي) بإثبات الياء عند الوقف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ بحذفها مطلقاً[٦٥٤].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾

١ ـ قرأ حمزة وشعبة بخلف عنه (المنشِآت) بكسر الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتح الشين ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ وهو الطريق الثاني لشعبة.

---

(٦٥٢) انظر: حجة القراءات ٦٩١.

(٦٥٣) انظر: ص١٤٢.

(٦٥٤) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٠.

٣ ـ وقرأها حمزة (المنشيَات) عند الوقف فقط بإبدال الهمز ياءً[٦٥٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(الجوار)**: الْجَارِيَةُ السَّفِينَةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِجَرْيِهَا فِي الْبَحْرِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلأَمَةِ جَارِيَةٌ عَلَى التَّشْبِيهِ؛ لِجَرْيِهَا مُسْتَسْخَرَةً فِي أَشْغَالِ مَوَالِيهَا، وَالأَصْلُ فِيهَا الشَّابَّةُ؛ لِخِفَّتِهَا ثُمَّ تَوَسَّعُوا حَتَّى سَمَّوْا كُلَّ أَمَةٍ جَارِيَةً وَإِنْ كَانَتْ عَجُوزاً لاَ تَقْدِرُ عَلَى السَّعْيِ، تَسْمِيَةً بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ وَالْجَمْعُ فِيهِمَا الْجَوَارِي[٦٥٦]. وقال ابن منظور: «وجَرَتِ السفينةُ جَرْياً كذلك، والجاريةُ السفينة صفة غالبة وفي التنزيل ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]»[٦٥٧].

ب ـ **(المنشآت)**: أنشأه الله: خلقَهُ، والاسم النشأة والنشاءة بالمد عن أبي عمرو بن العلاء. وأنشأ يفعل كذا أي: ابتدأ. وفلان ينشئ الأحاديث أي يضعها. وجاء في لسان العرب: والمُنْشَآت السفن المرفوعة الشرع، وقد مر تعريفها في سورة النجم[٦٥٨].

التفسير:

وهذه أيضاً نعمة عظيمة من نعم الله تعالى الكثيرة علينا، وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ والتخصيص هنا له فائدة، وذلك حتى لا يظن الإنسان بأنه صاحب الفضل الأول في إيجاد هذه السفن؛ لأن الخالق الحقيقي لجميع أدواتها، والمواد التي بنيت منها هو الله تعالى؛ ثم إن القضية ليست في بناء هذه السفن فحسب، فهناك ما هو أهمّ من ذلك، وهو جريانها وعدم غرَقِها، فهي تجري بسهولة ويسر، وهي تحمل من الأثقال ما هو بِوَزنِ الجبال، وعندما قال الله تعالى: ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ تظهر لنا

---

(٦٥٥) انظر: غيث النفع ص٥١١، البدور الزاهر ص٣٩٠.

(٦٥٦) انظر: المصباح المنير ص٦٣.

(٦٥٧) لسان العرب ج١٤ ص١٤١.

(٦٥٨) انظر: ص١٧٣.

فائدة، فهي فعلاً مثل الجبال في ارتفاعها وضخامتها، وكبر حجمها، وقوة رسوخها، فإذا كان الجبل راسخاً في الأرض بمعنى أن جزءاً من هذا الجبل نازل ومثبت في الأرض، فكذلك السفن، فإن جزءاً منها نازل ومثبت في الماء، وفائدة النزول والرسوخ في كلا الشيئين: «الجبال، والسفن» هو التثبيت، والله أعلم[٦٥٩].

وخصها في الذكر؛ لأن جريانها في البحر لا صنع للبشر فيه، وهم معترفون بذلك[٦٦٠].

والتشبيه بين السفن والأعلام على حقيقته فهو تشبيه حسي. جاء في كتاب من بلاغة القرآن: شبّه السفن الجارية في البحر بالجبال بجامع الضخامة في كلٍّ، وعليه يكون وجه الشبه واحداً وحسياً[٦٦١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: ﴿الْجَوَارِ﴾

أفادت القراءة بحذف الياء على معنى أن هذه السفن التي تجري في البحر، هي ملك لله تعالى، وخصها له سبحانه؛ وذلك للتنبيه لأن المالك الحقيقي لها هو الله تعالى، وإن كان الإنسان هو الذي بناها، ولكن جميع المواد المستخدمة في صناعتها هي من خلق الله تعالى، كذلك فإن الذي وهبها صفة السير والجري في الماء والبحار هو الله تعالى لا أحد غيره.

أما القراءة بإثبات الياء فقد دلّت على كثرة جري هذه السفن، وكثرة استخدامها في خدمة وقضاء حوائج الإنسان، فهي تجري في الليل والنهار، وعلى الدوام، ولا غنى للإنسان عنها. ودل على كثرة وزيادة جريانها الزيادة

(٦٥٩) وقد وجدت الشيخ سعيد حوى قد ذكر مثل ذلك في الأساس ج١٠ ص٥٦٦٥.

(٦٦٠) تفسير حقي ج٩ ص٢٩٥.

(٦٦١) انظر: كتاب من بلاغة القرآن محمد علوان ونعمان علوان ص١٤٩.

في مبنى الكلمة، وذلك بإثبات الياء ومن المعروف أن الزيادة في المبنى هي زيادة في المعنى.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يبيّن الله تعالى لنا عظيم نعمه علينا، ومن هذه النعم هي السفن التي تجري في البحر لقضاء حاجة الناس، وهي تقوم بهذه الوظيفة ليلاً ونهاراً، وعلى الدوام بلا انقطاع.

ثانياً: ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾

أفادت القراءة بالفتح (المنشَآت) على معنى أنشأها الله تعالى أو الناس.

أمّا القراءة بكسر الشين (المنشِآت) فهي بمعنى الظاهرات السير اللاتي يُقبِلن ويدبرن.

أو هُنَّ المنشِآت للسير أو البادءات أو المنشِآت للأمواج بفعل السير.

قال أبو السعود: «(المنشَآت) المرفوعاتُ الشُّرُع، أو المصنوعاتُ، وقُرِئَ بكسر الشين أي الرافعاتُ الشرُعَ أو اللاتي يُنشِئن الأمواج بجريهن»[(٦٦٢)]. **وقال الثعالبي:** «(المنشِآت) بكسر الشين أي اللواتي أنشأن جريهن أي ابتدأنه. وقال: بفتح الشين أي أنشأه الله أو الناس»[(٦٦٣)].

وقال الزمخشري: «(المنشَآت) المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع أو اللاتي يُنشئن الأمواج بجريهن»[(٦٦٤)]. وقال بنحو ذلك الشيخ أحمد البنا[(٦٦٥)] وأبو منصور[(٦٦٦)].

---

(٦٦٢) تفسير أبو السعود ج٦ ص١٧٧.

(٦٦٣) انظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعالبي ج٣ ص٢٧٤، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: تفسير الثعالبي.

(٦٦٤) انظر: تفسير الكشاف ج٤ ص٥١.

(٦٦٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥١٠، ٥١١.

(٦٦٦) معاني القراءات ج٣ ص٤٦.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبرنا الله تعالى عن نعمةٍ عظيمة من نعمه، وهي السفن المبتدئة في الجري، الرافعة لشرعها، المستمسكة المنشئة للأمواج بسبب جريها في الماء لخدمة هذا الإنسان، وهذه السفن العظيمة هي لله تعالى، هو الذي أنشأها أو الإنسان، بمعنى أنه ﷻ يسَّر للإنسان أسباب إنشائها، وسهَّل عملية جريانها، وأكسبها هذه الصفة.

٤ ـ **قال تعالى:** ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمٰن: ٣١].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ﴾

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (سَيَفْرُغُ) بالياء.

٢ ـ وقرأ الباقون (سنَفْرغ) بالنون(٦٦٧).

ب ـ قوله تعالى: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾

١ ـ قرأ ابن عامر (أيهُ) بضم الهاء وصلاً.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها.

٣ ـ وقرأها البصري والكسائي (أيها) بالألف وقفاً.

٤ ـ وقرأها الباقون بهاء ساكنة وبدون ألف(٦٦٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (فرغ): الفراغُ الخلاءُ فَرَغَ يَفْرَغُ ويَفْرُغُ فراغاً وفروغاً، وفَرِغَ يَفْرَغُ وفي التنزيل: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [القصص: ١٠]، كذلك قوله

(٦٦٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٠، غيث النفع ص٥١١.

(٦٦٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٠.

تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمٰن: ٣١]، أي سنعمد[٦٦٩].

ب ـ (أيه) أي حرف نداء[٦٧٠].

التفسير:

هذه الآية الكريمة فيها من التهديد والوعيد ما لا يخفى على أحد.

فالله ﷻ هو الذي يخبرنا عن نفسه، وهو الذي سيقصد ويتجرد لحساب الجن والإنس، نسأله ﷻ أن يكون بنا لطيفاً ورحيماً، فأملنا به كذلك.

وعن معنى هذه الآية، قيل: هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة، وليس هو فراغاً عن شغل لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، فهو كقول القائل لمن يريد تهديده: لأتفرَّغنَّ لك وما به شُغل، وهذا قول ابن عباس، وإنما حسُن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن[٦٧١].

ويرى الباحث: أن معنى هذه الآية هو أنَّ الله تعالى سيترك لكم مساحةً وفراغاً من الوقت، وسيمهلكم، وبعد هذا الإمهال سيحاسبكم على ما قدمتم.

والدليل على ذلك ما قاله الخازن حيث قال: «وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال، ونأخذ في أمركم»[٦٧٢]. ومن المعروف أن معنى الفراغ هو الخلاء كما جاء في لسان العرب[٦٧٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالنون (سنفرغ) بنون العظمة على سبيل الالتفات، وهو إخبار من الله تعالى عن نفسه.

(٦٦٩) انظر: لسان العرب ج٨ ص٤٤٤، ٤٤٥.
(٦٧٠) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٢٢.
(٦٧١) انظر: تفسير الخازن المجلد الرابع ج٧ ص٦.
(٦٧٢) انظر: تفسير الخازن المجلد الرابع ج٧ ص٦.
(٦٧٣) انظر: لسان العرب ج٨ ص٤٤٤.

أما القراءة بالياء (سيفرغ) فهي على الغيبة، إخبار عن الله تعالى بمعنى: أي سيفرغ الله تعالى.

قال النيسابوري: «بالنون إسناد الفعل إلى المتكلم»[٦٧٤].

وقال الشوكاني: «وقرأ حمزة والكسائي بالتحتية مفتوحة مع ضم الراء أي سيفرغ الله»[٦٧٥].

وقال مكي القيسي: «بالياء أنه رده على لفظ الغيبة المتقدم في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ وحجة من قرأ بالنون أنه حمله على الإخبار من الله جل ذكره عن نفس»[٦٧٦].

وقال بمثله الشيخ أحمد البنا[٦٧٧].

وعلى ما ذكرنا، لا شك أن القراءة بالنون فيها مزيد تهديد ووعيد؛ لأن الذي يخبر هو الله العظيم، بنون العظمة وتأثيره في النفس أوقع وأكثر إثارة وتأثيراً.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخبرنا الله ﷻ بأنه سيقصد إلى حساب ومعاقبة الكفار من الجن والإنس يوم القيامة.

٥ ـ قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٥].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿شُوَاظٌ﴾

---

(٦٧٤) تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٢٢ (بتصرف).

(٦٧٥) تفسير فتح القدير ج٥ ص١٦٣.

(٦٧٦) الكشف ج٢ ص٣٠١، ٣٠٢.

(٦٧٧) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥١١.

١ ـ قرأ ابن كثير (شِواظ) بكسر الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿شُوَاظٌ﴾ بضمها[٦٧٨].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَنُحَاسٌ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح (نُحاسٍ) بخفض السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَنُحَاسٌ﴾ برفعها[٦٧٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (شواظ) الشُّواظ والشِّواظ اللهب الذي لا دخان فيه.

وقيل: الشُواظ قطعة من نار ليس فيها نحاس. وقيل: الشواظ لهب النار، ولا يكون إلا من نار، وشيء آخر يخلطه[٦٨٠].

ب ـ (نحاس) النَّحس: الجهد والضُر. والنَّحْسُ خلاف السَّعدِ من النجوم وغيرها، والجمع أَنْحُسٌ ونحوسٌ. قال: والنِّحاس ضربٌ من الصُفر، والآنية شديدُ الحمرة، والنُّحاس بضم النون الدُّخان الذي لا لهب فيه[٦٨١].

التفسير:

جاءت هذه الآية بعد إعلانٍ من الله تعالى وإخبارٍ منه سبحانه للجن والإنس بأنهم لا يستطيعون أن يفرّوا منه ﷻ، ولا يستطيعون أن يخرجوا من أقطار السماوات والأرض، طلباً للفرار من عذاب الله أو لشيءٍ آخر؛ لأن ذلك لا يمكن أن يحدث، ومن حاول أن يقوم بذلك، فإن الله تعالى جعل الشواظ له بالمرصاد، يرسله عليه مع النحاس، فلا يجدون بذلك نصيراً ولا مخرجاً. والظاهر أن هذه الآية تحكي عن أهوال يوم القيامة.

---

(٦٧٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧٠٦، النشر ج٢ ص٢٩٠.

(٦٧٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٠، والبدور الزاهرة ص٣٩٠.

(٦٨٠) انظر: لسان العرب ج٧ ص٤٤٦.

(٦٨١) انظر: المرجع السابق نفسه ج٦ ص٢٢٧.

قال النسفي: «والمعنى إذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار، ودخان يسوقكم إلى المحشر ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فلا تمتنعان منهما»(٦٨٢). وقال به النيسابوري(٦٨٣).

ويرى الباحث: أن الناظر إلى هذه الآية بتفحص شديد، يمكن له أن يجد ما هو أكثر من ما ذُكر سابقاً من معاني. فالآية فيها نداء من باب الإعلان للناس عن حقيقة لا يمكن لأحد من الجن أو الإنس أن يفعلها إلا بإرادة الله تعالى، وهذه الحقيقة هي: إنكم أيها الجن والإنس لا يمكن لكم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض ما دام الله تعالى لا يريد لكم ذلك. والمعنى أنكم عاجزون عن فعل ذلك في كل وقت، سواء في الدنيا أو في الآخرة، أو يوم الحساب. فالأمر إذاً غير مقصور على يوم القيامة وأهوالها، بل ويشمل الدنيا كما شمل الآخرة، وليس هناك ما يمنع ذلك.

وقدَّم الله تعالى ذكر الجن في هذا السياق وفي هذا التحدي؛ لأن الجن أقدر على فعل ذلك من الإنس، وذلك يرجع إلى القدرات التي وهبها الله لهم.

وقوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ﴾ بلغة المضارع يفيد استمرارية حدوث ذلك، ومن المعروف أن الجن تحاول على الدوام الصعود إلى السموات لاستراق السمع، فتكون الشهب وقطع النار الملتهبة لهم بالمرصاد. قال ابن عطية: «ومعنى الآية مستمر في تعجيز الجن والإنس»(٦٨٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: شواظ

ذهب علماء اللغة والتفسير والقراءات إلى أن كلا القراءتين بمعنى

---

(٦٨٢) تفسير النسفي م٢ ج٤ ص٢١١.

(٦٨٣) انظر: تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٢٣.

(٦٨٤) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٣١.

واحد[٦٨٥].

وهذا الذي ذكره العلماء صحيح، إلا أن القراءة بالضم لها مدلولاتها، وذلك بأن وجود الضمة على الشين يعطي قوة في المعنى؛ لأن الضمة من أقوى الحركات.

وعلى هذا يكون المعنى بالقراءة بالضم أن هذا الشواظ وهو النار ذو قوة بالغة في إيذاء الكافرين وحرقهم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن هذا الشواظ المرسل على الكافرين له قوة غاية في الإيذاء، وبالغة في الفتك بهم، وهذا ما أفادته القراءة بالضم، التي هي من أقوى الحركات وأثقلها.

ثانياً: نحاس

أفادت القراءة بالضم عطفاً على شواظ بمعنى: أنه يُرْسَلُ على الكافرين يوم القيامة شواظٌ وكذلك يُرْسَلُ عليهم نحاسٌ.

فيُرْسَلُ الشواظُ تارةً، ويُرْسَلُ النحاسُ تارة أخرى، أو يُرْسَلا مَعَاً، ولكن كل واحدٍ منهما على حدة، وعلى هذا يكون معنى النحاس كما قال بعض المفسرين، هو الصفر المذاب، وذلك لما له من شدة بالغة في الألم[٦٨٦].

أو هو بمعنى الدخان، فالدخان أيضاً هو عذاب وفيه إيذاء الكافرين، إلا أن الأول أنسب.

أمّا القراءة بالجر، فقد أفادت بأن هذا الشواظ الذي يرسله الله تعالى

---

(٦٨٥) انظر: حجة القراءات ص٦٩٣، وبحر العلوم ج٣ ص٣٠٩، ومختار الصحاح ص١٢٨.

(٦٨٦) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٧٩.

على الكافرين مركب ومُكَوَّن من عنصرين اثنين، وهما النار والدخان. فيكون معنى النحاس في هذه القراءة هو الدخان أظهر، وذلك بأن النار عندما يكون لها دخان تكون ظاهرة، وظهور النار مُهِمٌّ لإرعاب وتخويف الكافرين، وحصول مزيد من الألم الذي يلحق بهم.

قال النيسابوري: «من قرأ بالرفع فمعناه يُرْسَلُ عليكما هذا مرة وهذا مرة. ويجوز أن يُرْسَلا معاً من غير أن يمزج أحدهما بالآخر، ومن قرأ بالجر فبتقدير وشيء من نحاس»[٦٨٧].

وقال الرازي في حديثه عن القراءة بالجر: «فالشواظ مركب من نار ومن نحاس، وهو الدخان، وعلى هذا المرسل شيء واحد لا شيئان»[٦٨٨].

الجمع بين القراءتين:

وعند الجمع بين القراءتين، نجد أن الله تعالى يخبرنا بأن هؤلاء الكفار المجرمين، سيعذبهم الله تعالى يوم القيامة، وذلك بأنه سيرسل عليهم الشواظ تارة، والنحاس المصبوب أو الدخان تارة أخرى. أو يرسلهما معاً دون أن يمتزجا ببعضهما. وكذلك فإنه ﷻ يخبرنا بأن هذا الشواظ هو مكوَّن من نار ومن دخان.

٦ ـ قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾ [الرحمٰن: ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (يطمُثْهُنَّ) بضم الميم على الاختلاف.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾ بالكسر[٦٨٩].

(٦٨٧) تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٢٣ (بتصرف).

(٦٨٨) تفسير الرازي ج١٠ ص٣٦٣، والكشاف ج٢ ص٣٠٢.

(٦٨٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٠، ٢٩١، والبدور الزاهرة ص٣٩٠، ٣٩١.

المعنى اللغوي للقراءات:

(الطمث) امرأةٌ طامثٌ ونساء طُمْثٌ وقد طَمَثت وطمِثَت. وطمَثها: مسَّها وقيل افتضها. ولا يكون إلا نكاحاً بالتدمية، لم يطمثهن: لم يدمهن بالنكاح[٦٩٠].

والأصل في معنى الطمث هو الحيض، ثم جعل للنكاح. وقال: الطمثُ: المسُّ، وذلك في كل شيء يُمَسّ[٦٩١].

التفسير:

تتحدث هذه الآية الكريمة عن بعض أوصاف تلك الحور التي أعدها الله ﷻ لأوليائه وأحبابه في الجنة. فإذا كن مقصورات في الخيام، ولا ينظرن إلا إلى أزواجهن، وهن خاضعات لهم، فهن كذلك لم يقم أحد بلمسهنّ ولا بمسّهن، وكذلك لم يقم أحد من باب أولى بنكاحهن ولا بفض بكارتهن. وذلك مزيد إكرامٍ لهؤلاء الرجال، فهنّ خالصات لكم منذ نشأتهن، فلم يقربهن إنس ولا جانٌ.

قال الطبري: «لم يمسهن إنس قبل هؤلاء الذين وصَفَ جلّ ثناؤه صفتهم، وهم الذين قال الله فيهم ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، ولا جانّ»[٦٩٢]. وأورد الماوردي بأن المعنى: «أنهن قصرنَ طرفهن على أزواجهن لا يسددن النظر إلى غيرهم ولا يبغين بهم بدلاً»[٦٩٣].

وقال الشوكاني: «الطمث هو الإفتضاض، وهو النكاح بالتدمية، يقال: طمث الجارية إذا افترعها»[٦٩٤].

(٦٩٠) انظر: أساس البلاغة ص٢٨٤.
(٦٩١) انظر: لسان العرب ج٢ ص١٦٥.
(٦٩٢) جامع البيان ج٩ ص٧٨٠٣.
(٦٩٣) تفسير النكت والعيون ج٥ ص٤٣٩.
(٦٩٤) فتح القدير ج٥ ص١٦٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

علماء القراءات والكثير من المفسرين لم يفرقوا بين القراءتين، إلا أنه وبالنظر فيهما، يمكن أن يظهر لنا فرق بينهما.

وهو كالتالي:

أفادت القراءة بالضم على أن هؤلاء اللاتي ذكرهن الله تعالى، وجعلهن زوجات لأصحاب الجنة، لم يقم أحد من الإنس ولا من الجن بجماعهن، ولا بفض بكارتهن.

والمعنى على هذه القراءة يناسب ما ذهب إليه عدد من المفسرين، وهو أن الطمث هو النكاح بالتدمية. أي فض بكارتهن ونزول الدم، وناسب ذلك الضم، فحركة الضم هي أقوى الحركات وأثقلها وفض البكارة والنكاح بالتدمية هو شيء فيه قوة ومبالغة، وهو أقصى درجات المس.

أمّا القراءة بالكسر فهي على أن هؤلاء اللاتي ذكرهن الله تعالى لم يقم أحد من الإنس والجن بمسهن، وهذه القراءة بالكسر تناسب ما ذهب إليه عدد آخر من المفسرين، وهو أن الطمث هو المس بمعنى لم يمسهن أحد وناسب ذلك المعنى حركة الكسر، فهي من الحركات الضعيفة، والمس هو أقل ما يحدث وهو مقدمات الجماع.

قال ابن الجوزي: «عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ وفي معناه قولان: أحدهما: لم يفتضضهن، والطمث النكاح بالتدمية ومنه قيل: للحائض طامث، والثاني: لم يمسسهن، يقال: ما طمث هذا البعير حبل قط، أي ما مسّه»[٦٩٥].

وقال ابن عادل: «وأصل الطمث الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر. وقال أيضاً: وقيل: الطمث المسّ الخالص»[٦٩٦]. وجاء في الصحاح:

(٦٩٥) زاد المسير ص١٣٨٢.

(٦٩٦) اللباب ج١٨ ص٣٤١.

الطمثُ المسُّ وذلك في كلِ شيءٍ يُمَسّ[٦٩٧].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبرنا الله تعالى بأن تلك الأزواج اللاتي أعدهن الله تبارك وتعالى لأصحاب الجنة، لم يقم أحد من الإنس ولا من الجن بجماعهن، ولا بنكاحهن مع التدمية.

وكذلك فإنه لم يقم أحد من الإنس ولا من الجن بمسهن، لا بلمس ولا بنكاح بتدمية أو بغير تدمية.

٧ ـ **قال تعالى:** ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر (ذُو الجلال) بالواو.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ بالياء[٦٩٨].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(ذو) ذو بمعنى صاحب، فلا يكون إلا مضافاً، فإن وصَفْتَ به نكرة أضفته إلى نكرة، وإن وصفت به معرفة أضفته إلى الألف واللام. ولا يجوز إضافته إلى مضمر، ولا إلى زيدٍ ونحوه[٦٩٩].

التفسير:

هذه الآية عظيمة جليلة جاءت كخاتمة لسورة عظيمة جليلة، سُمِّيت باسم من أسماء الله تعالى وهو الرحمن، وكذلك جاءت كنتيجة، وهي

---

(٦٩٧) انظر: الصحاح في اللغة ص٦٧٩.

(٦٩٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧٠٧.

(٦٩٩) انظر: مختار الصحاح ص١٣١.

مفخرة لكل مسلم مؤمن بالله تعالى.

فهذا الإله العظيم الذي له كل هذه النعم والبركات التي ذكرها، وهذا الإله العظيم الذي يمهل الكافرين المكذبين، ثم يحاسبهم بعد أن ترك لهم مساحة كبيرة ووقتاً طويلاً وفرصة للتوبة والإنابة والعودة إليه سبحانه. وهذا الإله الرحمن الرحيم الذي يلطف بعباده، وسينجيهم من النار وأهوالها رحمة منه سبحانه. وهذا الإله الكريم الذي سيكرم عباده في الجنة، وسيزيد لهم في العطاء إلى درجة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

إنه إله عظيم جليل لطيف قدير، واجب علينا ذكره وتمجيده فإذا كان ربنا هذا حاله في كل ما ذكرنا، وأكثر بكثير، فلنا الفخر بأن نكون عباداً له، نذكره ونعبده ونُمَجِّده ونعظمه ونُجِله، ونطلب كرمه ورحمته على الدوام. وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان: الأول: معناه ثبت اسم ربك. والثاني أن ذكر اسمه سبحانه يُمْنٌ وبركة، ترغيباً في المداومة على ذكره.

أما قوله تعالى: ﴿ذِى ٱلۡجَلَٰلِ﴾، ففيه وجهان أيضاً، الأول: أنه الجليل. والثاني أنه المستحق للإجلال والإعظام. وفي ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ وجهان: أحدهما الكريم، والثاني ذو الإكرام لمن يطيعه(٧٠٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء (ذي) على أنها وصف (لربك) .

أما القراءة بالواو (ذو) فهي صفة (لاسم) .

قال أبو حيان: ﴿ذِى ٱلۡجَلَٰلِ﴾ صفة لربك. وقال أيضاً: (ذو) صفة للاسم»(٧٠١).

(٧٠٠) انظر: النكت والعيون ج٥ ص٤٤٤.

(٧٠١) البحر المحيط ج٨ ص١٩٨.

وقال مكي القيسي: «بالواو (ذو) صفة للاسم. وقال أيضاً: (ذي) بالياء جعلوه صفة لـ(الرب) . ثم قال فالقراءتان ترجعان لمعنى واحد»[٧٠٢]. وعلى هذا فان القراءتين بمعنى واحد.

تمت سورة الرحمن بحمد الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(٧٠٢) الكشف ج٢ ص٣٠٣.



الفصل الثالث
تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الواقعة ـ الحديد ـ المجادلة ـ الحشر

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الواقعة المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الحديد المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة المجادلة المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة الحشر المتضمنة للقراءات العشر.



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الواقعة
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وهي ست وتسعون آية، وتشتمل هذه السورة على ذكر أحوال يوم القيامة، وما يكون بين يدي الساعة من أهوال وانقسام الناس إلى أقسام وطوائف ثلاثة وهي: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون، وبيَّنت السورة مآل كل فريق، وأقامت الدلائل على وجود الله تعالى ووحدانيته، وكمال قدرته في بديع خلقه، وحسن صنعه في خلق الإنسان، وإخراج النبات وإنزال الماء، وما أودع الله تعالى من قوة في النار، ثم عرجت على ذكر القرآن العظيم، وبيان عظمته ومكانته العالية، وخلوّه من التبديل والتغيير، وذلك في إشارة للرد على كل المتشككين(٧٠٣).

مناسبتها لما قبلها:

هناك ترابط واضح بين السورتين، فكلتاهما متفقتان في ذكر ووصف يوم القيامة، والجنة والنار، كذلك فإنه لما ذكر الله تعالى في الأولى العذاب للمجرمين، والنعيم للمؤمنين، وفاضل بين المؤمنين، فانقسم المكلفون على إثر ذلك إلى ثلاثة أقسام وهي: كافر، ومؤمن فاضل، ومؤمن مفضول،

(٧٠٣) انظر: الظلال ج٦ ص٣٤٦٢، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٨٦.

وبهذه الأقسام الثلاثة جاءت سورة الواقعة، وذكرتها في مطلع أول السورة الكريمة[٧٠٤].

الموضوع العام للسورة:

المحور الأساسي للسورة، هو موضوع النشأة الآخرة والبعث والجزاء وذلك ردٌّ على الشاكِّين فيها وعلى المشركين بالله تعالى، المكذبين بالقرآن الكريم، وذكرت أقسام الناس الثلاثة، وبيّنت ما يلاقونه من نعيم وعذابٍ، ووصفت ذلك وصفاً مفصلاً وافياً، ثم ذكرت القرآن الكريم الذي يحدثهم عن كل هذه الأشياء، وبيّنت أنه قرآن كريم، لا يمسّه إلا المطهرون، ولا يتسرب إليه باطل، ولا يشوبه شك أبداً، ثم عرضت السورة الكريمة مشهداً من مشاهد الرجوع إلى الله تعالى، وهو الموت الذي هو أول منازل الآخرة، ثم ختمت السورة بتسبيح الله تعالى وتمجيده[٧٠٥].

١ ـ قال تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون[٧٠٦] ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ بكسر الزاي.

٢ ـ وقرأها الباقون (ولا يُنْزَفون) بالفتح[٧٠٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(ولا ينزفون): **قال ابن منظور**: «نَزَفْتُ ماءَ البئرِ نَزْفاً، إذا نزحْته كله ونَزَفَتْ هي، يتعدّى ولا يتعدى، ونُزِفَتْ أيضاً على ما لم يسمّ فاعله. وقال: ويقال: نزف الدمُ إذا خرج منه كثيراً حتى يَضْعُف. وقال: والنزيفُ

(٧٠٤) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٢٨.

(٧٠٥) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٨٦.

(٧٠٦) الكوفيون هم حمزة والكسائي وخلف.

(٧٠٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٧٢، غيث النفع ص٥١٤، إرشاد المريد ص٣٧٠.

والمَنْزوفُ: السكرانُ المنزوفُ العقل وقد نُزِفَ. وفي التنزيل العزيز: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا يسكرون»[708].

التفسير:

تتحدث هذه الآية عن بعض شراب هذه الثلة المقربة إلى ربها، الفائزة برضاه وجنته. إنهم المقربون، لقد جعل الله لهم من يقوم على خدمتهم، ويطوف عليهم بالخمر شراباً لهم. وهذه الخمر ليست كخمر الدنيا، فهي طيبة ولذيذة لا تنقطع ولا تضر أبداً.

لذا قال الله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ أي لا تسبب لهم وجعاً وألماً وصداعاً في الرأس، ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ولا تذهب عقولهم بالسكر.

قال البغوي: «﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ لا تصدع رؤوسهم من شربها ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا يسكرون»[709].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بفتح الزاي على معنى، أن هؤلاء المقربين الذين ذكرهم الله تعالى: يطوف عليهم من يخدمونهم من الولدان المخلدون، فيقدمون لهم الخمر فيشربونها، وهذه الخمر لا تسبب لهم السكر، فهم لا يسكرون بسبب تناولها، لأن هذه الخمر المقدمة لهم في الجنة ليست كخمر الدنيا.

أما القراءة بكسر الزاي فقد أفادت بأن هذه الخمر المذكورة التي يشربونها، لا يمكن أن تنفد، فهي موهوبةٌ لهم على الدوام وبلا انقطاع.

قال ابن عجيبة: «(ولا يُنْزَفون) بفتح الزاي ولا يسكرون، يقال نزَف الرجل ذهب عقله بالسُكر. وقال عن القراءة بكسر الزاي: أي لا ينفد

(٧٠٨) لسان العرب ج٩ ص٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧.

(٧٠٩) تفسير البغوي ج٥ ص١٧٩.

شرابهم. يقال أنزف القوم: وفي الحديث «زمزم لا تُنْزَفُ ولا تُذَمّ»[٧١٠] إذا نفد شرابهم»[٧١١].

وهذا هو قول الطبري وغيره[٧١٢].

قال ابن زنجلة: «بكسر الزاي أي لا ينفد شرابهم كما ينفد شراب أهل الدنيا، والعرب تقول للقوم إذا فني زادهم قد أُنزفوا. أما عن القراءة بفتح الزاي فقد قال: لا تذهب عقولهم بشربها، يقال للرجل إذا سكر أُنزف عقله»[٧١٣].

الجمع بين القراءتين:

وإذا ما جمعنا بين القراءتين فإنه يتضح بأن هذه الخمر التي يشربها أهل الجنة، الذين ذكرهم الله تعالى هي خمر طيبة، لا تذهب بالعقول ولا تُسْكِرَها، وكذلك هي متوفرة لهم على الدوام بلا انقطاع، فهي لا تنفد.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الواقعة: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي (وحُورٍ عينٍ) بخفض الاسمين.

٢ ـ وقرأهما الباقون ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع[٧١٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

حار: رجع. وفلان حائر بائر يعني هو هالك أو كاسد، والحَوَرُ بفتحتين جُلُوْدٌ حُمْرٌ تغشَّى بها السِّلال، الواحدة حَوَرة بفتحتين أيضاً. والحَوَر

---

(٧١٠) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الاثير الجزري ٢/ ١٦٩.

(٧١١) تفسير البحر المديد ج٧ ص٢٩٠.

(٧١٢) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٨٣٣.

(٧١٣) حجة القراءات ص٦٩٤.

(٧١٤) النشر ج٢ ص٢٩١.

أيضاً شدة بياض العين، وشدة سوادها، وامرأة حوراء بيِّنة الحَوَر. وتَحْوِير الثياب تبييضُها(٧١٥).

التفسير:

إضافة إلى النعم التي ذكرها الله تعالى، وخصّ بها تلك الثلة المذكورة فلهم أيضاً حور عين في الجنة تلاقيهم في القصور أو حور عين تطوف عليهم مع الولدان.

قال الصابوني: «أي ولهم مع ذلك النعيم نساء من الحور العين الواسعات العيون في غاية الجمال والبهاء، كأنهُنَّ اللؤلؤ في الصفاء والنقاء الذي لم تمسه الأيدي»(٧١٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالرفع، على أنها معطوفة على ولدان؛ أو على أنها مبتدأ لخبر محذوف أو مضمر، والمعنى أي ولهم حور عين أو نساؤهم حور عين.

أما القراءة بالجر فأكثر العلماء على دربين، فإما أن تكون عطفاً على أكواب، أو جنَّات.

وبذلك يكون المعنى: أي تنعمون بالجنات، وبحور العين في الجنات، أو أنهم كما ينعمون بالأكواب فإنهم كذلك ينعمون بالحور.

ويجوز أن تكون كذلك عطفاً على أكواب بمعنى يطوف عليهم بأكواب وبحورٍ عين أو تطوف الحور العين نفسها عليهم إضافة إلى الولدان المخلدون؛ ومن ذهب إلى ذلك من العلماء قال: بأن الطواف للحور يكون في القصور، ومنهم من لم يحدد على اعتبار أن هذا من الملذات التي يُكرَمُ

---

(٧١٥) انظر: مختار الصحاح ص٩٨.

(٧١٦) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٩٠.

بها هؤلاء المقربون، حيث لا مانع من طواف الحور عليهم كما يطوفون الولدان، ولا مانع من طواف الولدان بالحور كذلك، وفرَّقوا بين الحور المقصورات وبين الحور الطوافات.

قال الشوكاني: «برفعها عطفاً على (ولدان) أو على تقدير مبتدأ، أي نساؤهم حور عين، أو على تقدير خبر: أي ولهم حورٌ عين، أما القراءة بالجر فقد أورد أنها عطفاً على أكواب، وجائز أن يكون معطوفاً على (جنَّات)، أي هم في جنات وفي حور، على تقدير مضاف محذوف، أي: وفي معاشرة حور»(٧١٧).

وقال ابن كثير: «بالرفع: وتقديره: ولهم فيها حور عين. قراءة الجر تحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون الإعراب على الإتباع بما قبله.

ثانيهما: أن مما يطوف به الولدان إضافة إلى الأكواب أيضاً الحور العين. لكن ذلك في القصور»(٧١٨).

وذكر الرازي بأن الرفع هو المشهور، ويكون عطفاً على ولدان في اللفظ لا في المعنى أو في المعنى على التقدير بمعنى لهم ولدان ولهم حور، وأجاز أن يكون المعنى على الرفع أيضاً بأن الحور تطوف كما يطوف الولدان. ولكن الأول هو الأشهر، فقال: ليست الحور منحصرات في جنس بل لأهل الجنة ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ في حظائر معظَّمات ولهن حواري وخوادم؛ وحور تطوف مع الولدان السقاة، فيكون وكأنه قال: يطوف عليهم ولدان ونساء(٧١٩).

---

(٧١٧) فتح القدير ج٥ ص١٧٩ (بتصرف).

(٧١٨) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٠٨ (بتصرف).

(٧١٩) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٣٩٧.

الجمع بين القراءات:

وعند الجمع بين القراءات يتضح بأن الله ﷻ يكرم هذا الصنف من أهل الجنة بكرامات كثيرة، منها الحور العين المقصورة في الخيام، وإضافة إلى ذلك زيادة في الإكرام والتمتع فإن هناك صنف آخر من الحور تطوف عليهم كما يطوف الولدان لخدمتهم أو يطوف بهن الولدان كما يطوفون بالأكواب، والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة وحمزة وخلف (عُرْبَاً) بإسكان الراء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿عُرُبًا﴾ بالضم(٧٢٠).

المعنى اللغوي للقراءتين:

(عرباً): العرب جيلٍ من الناس والنسبة إليهم عَرَبِيٌّ وهم أهل الأمصار، والأعراب منهم سُكَّان البادية خاصة. والنسبة إليهم أعْرابيٌّ، وليس الأعراب جمعاً للعرب بل هم اسم جنس(٧٢١).

والعروب من النساء المتحببة إلى زوجها، والجمع عُرُبٌ ومنه قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ ويوم العروبَةِ هو يوم الجمعة(٧٢٢).

التفسير:

لا تزال هذه الآيات الكريمات تنثر لنا من فيض هُدَاهَا وتعطينا من شذى عطرها، وتروي لنا عن نعم الله تعالى وكراماته الجليلة ألواناً وألواناً .. ولكنَّ الحديث هنا عن صنف آخر، وثلة أخرى .. إنهم أصحاب اليمين

---

(٧٢٠) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٢.

(٧٢١) انظر: مختار الصحاح ص٢٣٤.

(٧٢٢) انظر: الصحاح في اللغة ص٧٢٠.

.. نساؤهم ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ أي متحببات متغنِجات لأزواجهن، ومتعشقات لهم، لا يَنْظُرْنَ إلى أحدٍ سواهم، ولا يرغبن غيرهم أبداً. وهنَّ في سنٍ واحدة بنات أربعَ عشر سنة أو ثلاث وثلاثين على اختلاف الأقوال.

قال مجاهد: «(عرباً) يعني: محِبَّات عاشقات لبعولتهن»(٧٢٣). وقال الفيض الكاشاني: «متحننات أي شديدات الشوق والبكاء ومتحببات إليهم، وقال يتكلمن بالعربية»(٧٢٤)، وقال السمرقندي: «(أتراباً) يعني مستويات في السن»(٧٢٥). وقال ابن عطية: «معناه في الشكل والقد حتى يقول الرائي هم أتراب»(٧٢٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

علماء التفسير والقراءات ذهبوا إلى أن المعنى واحدٌ في كلا القراءتين، أو هما من اللغات، ولم يفرقوا بينهما في المعنى.

وهذا الكلام في إطاره العام مقبول، ولكن الناظر لحركة الضم بدل السكون، يدرك ما هو أكثر من ذلك فحركة الضم والقوة التي تضيفها على المعنى ليست عنَّا ببعيد وعلى هذا:

أفادت القراءة بإسكان الراء في (عُرْباً) على معنى أن الحور اللآتي ذكرهن الله تعالى متحببات ومتعشِّقات إلى أزواجهن وغَنِجات، يُحْسِنَّ التبعُل، وكلامهن حسن مع أزواجهن.

أما القراءة بالضم على الراء، فقد أفادت الإمعان والقوة في التأثير في كل ما ذكرنا .. فهن غاية في التبعل، وعشقهن لا محدود بحيث لا يرغبن بديلاً عن أزواجهن، وكثيرات الغنج وقويات في التأثير على قلوب

---

(٧٢٣) تفسير مجاهد ج٢ ص٦٤٨.

(٧٢٤) تفسير الصافي ج٥ ص١٢٤ / مكتبة الصدر طهران ١٣٧٣هـ - ١٩٥١م.

(٧٢٥) بحر العلوم ج٣ ص٣١٦.

(٧٢٦) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٤٥.

أزواجهن، ودلَّ على ذلك زيادة حركة الضم وقوتها، ونحن نعلم بأن الضمة أقوى الحركات قاطبة كما أوضحنا سابقاً.

وهذه القوة أشارت إلى أنهن يفعلن ذلك بكثرة، وبتأثير قوي وبليغ على قلوب الأزواج لدرجة أنهم أي الأزواج يذهبون مذهباً بعيداً في حبهن والتلذذ بهنَّ. وكل هذا ناسبَ قوة حركة الضم. وكأن الله تعالى يقول لنا: إن هذا الذي ذكرنا من هذه الصفات ليس كالذي ترونه من نساء الدنيا المتحببات، بل هو أقوى وأكثر، وذلك لأن في الجنة ما لا عين رأت.

وبإثباتنا للضمة يصبح عندنا ضمتان متلاحقتان وهذا آكد لما ذكرنا.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يظهر بأن هؤلاء الحور اللاتي ذكرهن الله تعالى، وجعلهن لأصحاب اليمين، ووصفهن بهذه الصفات، من غنج وتعشق وتحبب لأزواجهن .. إنما يفعلن ذلك على الدوام، وبتأثير قوي يحوز على إعجاب الأزواج، بحيث يتملك قلوبهم وشعورهم فهم متلذذون بذلك أيمَّا تلذُذ.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الواقعة: ٤٧].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿مِتْنَا﴾

١ ـ قرأ الأخوان[٧٢٧] وحفص وخلف ونافع (مِتْنَا) بكسر الميم.

٢ ـ وقرأها الباقون (مُتْنَا) بالضم[٧٢٨].

---

(٧٢٧) الأخوان هم حمزة والكسائي.

(٧٢٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٢.

ب ـ قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا﴾

١ ـ قرأ المدنيان والكسائي ويعقوب (إنا) بالإخبار.

٢ ـ وقرأ الباقون (أئنا) بالاستفهام[(٧٢٩)].

المعنى اللغوي للقراءات:

(متنا) الموت ضد الحياة، وقد مات يموت وتَمَاْتُ أيضاً فهو ميِّتٌ ومَيْتٌ. وقوم موْتَى وأموات. ومَيِّتُون ومَيْتُون، وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الحجرات[(٧٣٠)].

(أئنا) إنَّ أداة توكيد ونصب. جرى بيانها عند تفسير سورة الطور[(٧٣١)].

التفسير:

تأتي هذه الآية لعرض صنف آخر من الناس، ولكنها في هذه المرة تحكي لنا عن المكذبين المنكرين المستحقين لعذاب الله تعالى. . . إنهم أصحاب الشمال.

هؤلاء الناس أنكروا البعث، وكذَّبوا ولم يصدِّقوا بأن الله تعالى سيعيدهم بعد موتهم، وهم من سَخَفِهم وحمقهم يقولون: ﴿أَيِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، ونسوا بأن الله تعالى قد خلقهم في المرة الأولى، وهو قادر على إعادتهم .. ونسوا أن ينظروا في أنفسهم وخَلْقِهم، ويسألوا أنفسهم من الذي خلقهم، فإنهم سيقولون الله. فإذا كان الأمر كذلك فإن الذي خلقكم أيها السفهاء هو نفسه الذي سيعيدكم.

قال طنطاوي: «أي إنهم فوق ترفهم وإصرارهم على ارتكاب الآثام، كانوا يقولون على سبيل الإنكار لمن نصحهم بإتباع الحق: أئذا متنا، وانتهت حياتنا ووضعنا في القبور وصرنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ومعادون إلى

---

(٧٢٩) انظر: المرجع السابق ص٣٩٢.

(٧٣٠) انظر: ص٧٠.

(٧٣١) انظر: ص١٤٣.

الحياة مرة أخرى»[٧٣٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿مِتْنَا﴾

أفادت القراءة بالكسر بمعنى، أنهم ينكرون ويتعجبون من إعادة الله تعالى لهم إلى الحياة بعد ما ماتوا وفارقوا هذه الحياة.

أما القراءة بالضم، فهي تفيد بأن إنكارهم وعجبهم يشتد أكثر؛ لأن الله ﷻ أيضاً سيعيد من ماتوا من زمان بعيد، وحصل لهم موت طويل لدرجة أن لحمهم وعظمهم قد ذهب ولم يعد موجوداً البتة. ودل على ذلك حركة الضم التي تدل على قوة ومبالغة في المعنى، فالقوة في الضمة تدل على موت طويل. ودل على ذلك ذكرهم في الآية اللاحقة، ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي يستغربون من إحياء من ماتوا منذ زمن بعيد.

ب ـ قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا﴾

أفادت القراءة بهمزتين على الاستفهام؛ وذلك لأنهم متعجبون ومنكرون وجاحدون لحدوث ذلك البعث، أما القراءة بهمزة واحدة فهي على الخبر[٧٣٣].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر مدى الضلال والفساد الذي أصاب عقولهم وقلوبهم، فهم ينكرون ويجحدون البعث، بل ويتعجبون من إمكانية حدوثه.

---

(٧٣٢) التفسير الوسيط ج١٤ ص٢١٨.

(٧٣٣) انظر: أضواء البيان ج٥ ص٢٤٠.

٥ ـ قال تعالى: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الواقعة: ٤٨].

القراءات:

١ ـ قرأ قالون[٧٣٤] وأبو جعفر وابن عامر (أوْ) بإسكان الواو.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَوَ﴾ بفتحها[٧٣٥].

المعنى اللغوي للقراءتين:

أوْ: حرف عطف من معانيه الشك، تقول: بتنا يوماً أو يومين. ومن معانيه الإبهام، تقول: نحن أم أنتم على الحق. كذلك يستخدم للإباحة تقول: جالس العلماء أو الزهاد. ومن استخداماته أيضاً التخيير، تقول: سر راكباً أو ماشياً[٧٣٦].

التفسير:

هذه الآية معطوفة على سابقتها .. والمعنى: أن هؤلاء المنكرين للبعث الذين ينكرون عودتهم ويستغربونها متعجبون. وإن إنكارهم واستغرابهم وتعجبهم من عودة آبائهم الذين ماتوا منذ سنوات طويلة أشد وأبلغ.

قال الصابوني: «تأكيداً للإنكار ومبالغة فيه. أي وهل سيبعث آباؤنا الأوائل بعد أن بليت أجسادهم وتفتتت عظامهم»[٧٣٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإسكان الواو، على معنى الشك والاستبعاد بأن يبعثهم الله تعالى هم وآباءهم على حد سواء من الاستبعاد، أي أنهم يشكُّون

(٧٣٤) قرأها رواية عن نافع.

(٧٣٥) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٢.

(٧٣٦) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٢٠.

(٧٣٧) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٩٢.

في البعث والإعادة، ولا يؤمنون به ويجحدونه، أما القراءة بفتح الواو، فقد أفادت شدة الاستبعاد في الآباء مع شدة الاستغراب، فهم عندما أنكروا حدوث ذلك لهم ولآبائهم، كان إنكارهم أشد في حدوث ذلك البعث لآبائهم على اعتبار أنهم ماتوا منذ أزمان بعيدة، وبَلُوا ولم يَبْقَ منهم شيء(٧٣٨).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يظهر بأن هؤلاء الكفار ينكرون البعث لهم ولآبائهم، ويستغربون حدوثه، وإن إنكار حدوث ذلك لآبائهم أشد وأكثر غرابة في نفوسهم؛ وذلك لأن آباءهم القدماء الذين ماتوا منذ آلاف السنين بلوا وفنوا ولم يَبْقَ منهم شيء.

٦ ـ قال تعالى: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الواقعة: ٥٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (فَمَالُون) بحذف الهمزة مع ضم اللام.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَمَالِـُٔونَ﴾ بإثبات الهمزة(٧٣٩).

المعنى اللغوي للقراءتين:

المَلأ بالفتح: مصدر مَلأْتُ الإناءَ فهو مملوءٌ، ودلو ملآى على فَعْلَى، وَكُوزٌ مَلآنُ والمِلِءُ بالكسر اسم ما يأخذه الإناءُ إذا امتلأ(٧٤٠).

التفسير:

الخطاب هنا لهؤلاء المنكرين المكذبين بالبعث، وهم كفار أهل مكة.

---

(٧٣٨) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٢٤٦ (بتصرف).

(٧٣٩) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥١٦.

(٧٤٠) انظر: الصحاح في اللغة ص١١١١.

فبعد أن عرض الله كيف كان إنكارهم وتكذيبهم بالبعث والنشور، يعرض هاهنا ما سيلاقونه من عذاب ونكال في جهنم بسبب هذا التكذيب. ومن بعض هذه الصور أنهم سيأكلون من شجر الزقوم؛ وهو شجر ينبت في أصل جهنم، وسيملئون بطونهم من هذا الشجر. والذي أجبرهم على هذا الأكل رغم كراهته هو الجوع الشديد. وقوله تعالى: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أي يأكلون فتمتلئ بطونهم من شدة الجوع، فإنه الذي اضطرهم وقسرهم على أكل ما لا يؤكل من الزقوم(٧٤١).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون همز (فمالون)، على معنى أنهم سيملؤن بطونهم من الزقوم.

أما القراءة بإثبات الهمزة ﴿فَمَالِـُٔونَ﴾، فقد أفادت بيان قوة هذا الفعل وثقله وكثرته، فهم يملؤون بطونهم من هذا الطعام بكثرة وبقوة وبلا إنقطاع ولا توقف، حتى أصبحوا مثقلين في بطونهم، متضايقين منها، فهي ملآى، وكارهة لهذا الفعل نفوسُهُم، فهم يفعلونه وهم مستثقلون له وكارهون إلا أنه لا بديل لهم عنه. ودل على ذلك الثقل والقوة التي في حرف الهمز.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتضح قوة هذا الملأ للبطون، وكثرته وشدته على البدن والنفس، ويظهر مدى الكره والتضايق والثقل الذي يشعرون في أبدانهم ونفوسهم، إلا أنهم لا يجدون عن هذا الفعل مناصاً ولا منه خلاصاً، فهم يفعلونه مجبرين ومكرهين، فتضاعف عندهم العذاب، فهم معذبون في نفوسهم؛ لأنهم يقومون بفعل ما يكرهون، وكذلك فهم معذبون بما يشعرون من ألم في أبدانهم من قسوة ما يجدون.

---

(٧٤١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٤٥.

٧ ـ قال تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥﴾ [الواقعة: ٥٥].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان[٧٤٢] وعاصم وحمزة ﴿شُرْبَ﴾ بضم الشين.

٢ ـ وقرأها الباقون (شَرْب) بالفتح[٧٤٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(شرب): الشَّرْبُ مصدر شَرِبْتُ أشْرَبُ شَرْباً وشُرباً. وشَرِبَ الماءَ وغيره شَرْباً وشُرباً وشِربا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝٥٤﴾ [الواقعة: ٥٤][٧٤٤]. قال الرازي: «الشرب بالفتح مصدر، وبالضم والكسر اسمان، وقال: والشِرب بالكسر الحظ من الماء»[٧٤٥].

التفسير:

فإذا كان الجوع قد اضطرهم على أكل ما لا يؤكل كما في الآية السابقة، فهم هنا أيضاً يضطرهم العطش الشديد إلى شرب ما لا يشرب من الماء الساخن الذي يقطِّع الأمعاء.

و**(الهيم)** أي الإبل العِطاش؛ لأن بِها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم، أو جمع هيماء وهو أي: الهُيام بالضم: داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى[٧٤٦].

---

(٧٤٢) المدنيان هما نافع وأبو جعفر.

(٧٤٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٩١.

(٧٤٤) انظر: لسان العرب ج١ ص٤٨٧.

(٧٤٥) مختار الصحاح ص١٨٩.

(٧٤٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٧ ص٤١٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

اختلف علماء التفسير والقراءات اختلافاً واسعاً في إيجاد الفرق بين القراءتين في هذه الكلمة القرآنية، فمنهم من قال إنها بمعنى واحد. ومنهم من قال كلاهما مصدر. وذهب آخرون إلى أن القراءة بالضم هي مصدر. وذهب غيرهم أنها اسم لما يشرب. وقال بعضهم: بالضم اسم وبالنصب مصدر. وقال غيرهم وقيل: الشُرب الإناء والشَرب المصدر وهكذا.

قال السمرقندي: «من قرأ بالضم فهو اسم، ومن قرأ بالنصب فهو المصدر»[٧٤٧].

وإلى ذلك ذهب ابن عادل وغيره[٧٤٨].

وقال الألوسي: «بالضم مصدر وقيل اسم لما شرب. وقال بفتح الشين: وهو مصدر شرب»[٧٤٩].

وقال الزمخشري: «فالفتح والضم مصدران»[٧٥٠]. وقال بمثله عمر النسفي[٧٥١]، وقال الكرماني: «المعنى فيهما واحد»[٧٥٢].

وبعد هذا العرض يتضح تعدد الاختلاف في التفريق في المعنى بين القراءتين؛ وذلك يرجع لشدة تقارب المعنى وتداخله، ولكن ومن خلال العرض، يظهر أن أغلبهم قد قال بأن القراءة بالضم هي اسم. والقراءة بالفتح هي مصدر، والمصدر يدل على الكثرة والمبالغة في الفعل.

---

(٧٤٧) بحر العلوم ج٣ ص٣١٧.

(٧٤٨) انظر: تفسير اللباب ج١٨ ص٤٠٥.

(٧٤٩) روح المعاني ج١٤ ص١٤٦.

(٧٥٠) تفسير الكشاف ج٤ ص٥٩.

(٧٥١) انظر: طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية / دار النفائس بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٧٥٢) مفاتيح الأغاني ص٣٩٣.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر بأن هؤلاء الذين يعذبون في نار جهنم، يذهبون من شدة حرها إلى الشرب، فلا يجدون إلا الحميم، فيشربون بكثرة، وعلى الدوام، ولكن شربهم هذا من شرب الإبل المصابة بالعطش، فهي تشرب ولا تروى حتى تموت.

٨ ـ **قال تعالى:** ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٩].

القراءات:

١ ـ قرأ الحرميان والبصري وهشام بخلف عنه (أأنتم) بتسهيل الهمزة الثانية.

٢ ـ وقرأها ورش (آنتم) بإبدالها ألفاً مع المد الطويل.

٣ ـ وقرأها قالون والبصري وهشام (أاأنتم) بإدخال ألف بينهما.

٤ ـ وقرأها الباقون (أأنتم) بتحقيق الهمزة من غير إدخال[٧٥٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

جاء في المعجم الوسيط: أنت: ضمير رفع منفصل، للمخاطبين. وأنتم: ضمير رفع منفصل للمخاطبين[٧٥٤].

التفسير:

هذه الآية تأتي ضمن مجموعة من الآيات المتلاحقة التي ساقها الله ﷻ لتذكّر هؤلاء المنكرين للبعث بأشياء موجودة في أنفسهم، أو بين أيديهم، تدل على عظيم قدرة الله تعالى على الإنشاء والخلق والإبداع، وكل ذلك في حوار علمي ومنطقي، أدلته أشياء موجودة في أنفسهم، أو شاهدة

(٧٥٣) انظر: غيث النفع ص٥١٥.

(٧٥٤) انظر: المعجم الوسيط ص٢٩.

قائمة بين أيديهم، منها هذا المني الذي يصبونه في أرحام زوجاتهم .. وهو أصل خلقهم، وذكر المني، ليُذكِّر هذا الإنسان بأصل خلقه، وهم لا يستطيعون أن ينكروا هذه الحقيقة، بل يعترفون بأن الخالق هو الله تعالى. وذِكْرِ المني هنا مهم، فهذا المتغطرس المكذب الذي عمَّى الشيطانُ على بصره وقلبه، لا بد وأن تَمْثُلَ له أشياء مهمة حال ذكر المني، وهي كيف أن الله تعالى خلقه، ويسَّر له طريقاً في أرحام النساء، ومن ثم بقدرته وعظمته أصبح هذا المني جنيناً، ومن ثم طفلاً خلقه الله في أحسن صورة، وأجمل منظر، وكل ذلك بدون أي تدخل منهم أو فضل؛ وكأنه ﷻ يقول لهم: فإذا كنتم تعترفون بأنني خلقت هذا أفلا تصدقون بأني قادر على إنشائكم وإعادتكم مرة أخرى.

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: «أي تقدِّرونه وتصوِّرونه بشراً أم نحن المقدِّرون المصورون له»[٧٥٥]. وقال ابن الجوزي: «وفيه تنبيه على شيئين: أحدهما الامتنان إذا خلق من الماء المهين بشراً سوياً، والثاني: أن من قَدِرَ على خلق ما شاهدتموه من أصل وجودكم كان أقدر على خلق ما غاب عنكم من إعادتكم»[٧٥٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بهمزتين خالصتين على معنى الاستفهام والتقريع والتقرير؛ وذلك لأن الإجابة قطعاً أنهم لم يخلقوا ذلك، لم يستطيعوا حتى التفكير به. بل هو الله الخالق العظيم.

أما القراءة بتسهيل الهمزة الثانية ففيها معنى الاستفهام أكبر، وبالثاني يكون التقريع والتقرير أكبر.

أما القراءة بإدخال ألف بينهما فهي دالة على المبالغة في الاستفهام،

(٧٥٥) فتح القدير ج٥ ص١٨٧.

(٧٥٦) زاد المسير ص١٣٩٠.

ويتبع ذلك الشدة في تقريعهم وتقريرهم. ويدل على ذلك زيادة في زمن الحرف، وهذه الزيادة في زمن الحرف يتبعها زيادة في المعنى والاستفهام.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات الثلاث، يتضح ويظهر كيف يردّ الله ﷻ على هؤلاء المتعجبين من أمر البعث والمنكرون له، ولعودة تلك العظام كما كانت بعد أن فنيت، فيسألهم الله تعالى عن أصل خلقهم وهو «ما يمنونه» يسألهم سؤال استفهامي تقريري وتقريعي لهم.

٩ ـ **قال تعالى:** ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (قَدَرْنَا) بتخفيف الدال.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿قَدَّرْنَا﴾ بالتشديد(٧٥٧).

المعنى اللغوي للقراءتين:

قَدْرُ الشيء مَبْلَغُهُ. وقَدَرُ الله وقَدْرُهُ بمعنًى، وهو في الأصل مصدر، والقَدَرُ والقَدْرُ أيضاً: ما يُقَدِّرُهُ الله ﷻ من القضاء(٧٥٨).

التفسير:

إذا كان الله ﷻ قد ذكَّرهم بأصل إنشائهم وحياتهم، فإنه ﷻ يذكرهم في هذه الآية بالموت الذي قهرهم الله تعالى به وقسَّمه عليهم، فمنهم من يموت صغيراً ومنهم من يموت كبيراً وهم في ذلك مغلوبون ومسبوقون، وفي هذه الآية تهديد لهم بالإهلاك والعذاب في حالة عدم إيمانهم

(٧٥٧) انظر: التذكرة ج٢ ص٧١٠، البدور الزاهرة ص٣٩٢.

(٧٥٨) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٩٩.

وتصديقهم.

قال الشنقيطي: «والمعنى وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم إن أهلكناهم، لو شئنا فنحن قادرون على إهلاكهم، ولا يوجد أحد يغلبنا ويمنعنا من خلق أمثالكم بدلاً منكم»[٧٥٩].

وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ﴾ أيها الناس ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ فجعلناه لبعض، وأخَّرناه عن بعض إلى أجل مسمى»[٧٦٠].

يقول الباحث: وقوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ غاية في الدقة والإعجاز. والمعنى: أن قضية الإنشاء، وأصل خلقكم مليئة بالدقائق والتفاصيل والإعجاز، وأنتم تُخَاطَبون اليوم بما علمتم، وما علمه الإنسان أشياء قليلة ومتواضعة في هذا المجال؛ فالمني الذي هو أصل خلق الإنسان، كل ما عرفوه عنه أنه يوضع في الرحم بواسطة الرجل فيصبح طفلاً. ولكن أصل وكيفية خلق هذا المني وتهيئته ليصبح طفلاً، وجميع تفاصيل هذه الرحلة الطويلة وعناصرها من مني ودم وعظم ولحم وروح، كل ذلك علمه عند الخالق المبدع، وهم لا يعلمونه أبداً. وكان الأصل بهم عند إدراكهم لتلك الحقيقة أن يعرفوا مدى جهلهم وظلمهم لأنفسهم، فيبادروا إلى التصديق والتوبة عن ما قدموا وقالوا.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

اختلف المفسرون في بيان وإيضاح الفرق بين القراءتين، فذهب بعضهم إلى أن كلا القراءتين بمعنى واحد، أو هما لغتان، فقال ابن عاشور أيضاً: «أن كلا القراءتين بمعنى واحد»[٧٦١]. وقال البغوي: «قرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان»[٧٦٢].

---

(٧٥٩) أضواء البيان ج٥ ص٢٤٤.

(٧٦٠) جامع البيان ج٩ ص٧٨٥٩.

(٧٦١) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٣١٦ (بتصرف).

(٧٦٢) تفسير البغوي ج٥ ص١٨٤، ١٨٥.

وقال آخرون: بأن هناك فرقاً بين القراءتين: فقال النسفي: «بالتخفيف: سبقْتُه بالشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه»(٧٦٣). وقال الزمخشري: «﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ تقديراً، وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا، فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط، وقال: وبالتخفيف سبقته على الشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه»(٧٦٤).

ويرى الباحث: أن القراءة بالتشديد، على معنى أن الله تعالى قد قسَّم الآجال بين الناس، فمنهم من يموت صغيراً، ومنهم من يموت في عمر متوسطٍ، ومنهم من يموت كبيراً. فالتشديد يدل على المبالغة في الشرح والتفصيل، فالقراءة بالتشديد دالة على المبالغة والدقة في التقدير، بمعنى: أن الله تعالى قدَّر الموت تقديراً، وذلك أنه سبحانه قدَّره بجميع تفاصيله المتعلقة به، فقدَّر الله تعالى لبعضهم أن يموت وهو في بطن أمه وقدّرَ للآخرين أن يموتوا على هذه البسيطة. فقدَّر الله تعالى لبعضهم أن يموت صغيراً، ومنهم كبيراً ومنهم دون ذلك وقدَّر الله تعالى الزمان والمكان والهيئة التي سيكونون عليها عند الموت، وقدَّر الله ﷻ أسباب الموت المختلفة، فلكل واحدٍ منهم سبب جعله الله لموته.

إنها تفاصيل كثيرة ودقيقة كانت القراءة بالتشديد مناسبة للتعبير عنها، والله أعلم.

أما القراءة بالتخفيف، فقد أفادت بأن الله تعالى قد قهرهم وغلبهم، وذلك بكتابة وتقدير الموت عليهم، بحيث إنهم لم ولن يتمكنوا أن يردُّوا هذا التقدير، فهم مغلوبون ومسبوقون به.

---

(٧٦٣) تفسير النسفي م٢ ج٤ ص٢١٨.

(٧٦٤) تفسير الكشاف ج٤ ص٦٠.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخاطب الله تعالى المنكرين للبعث، ويذكرهم بأنه سبحانه قد كتب الموت وقدره عليهم، فمنهم من يموت صغيراً، ومنهم من يموت كبيراً، وكذلك بيَّن الله تعالى لهم أن هذا الموت هم مغلوبون عليه رغماً عنهم، ولن يتمكَّنوا من دفعه أو تأجيله ولو للحظة واحدة.

١٠ ـ **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: ٦٢].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾

١ ـ قرأ المكي والبصري (النَشَآة) بفتح الشين وألف بعدها مع المد.

٢ ـ وقرأها الباقون (النَشْأة) بإسكان الشين من غير ألف ولا مد[٧٦٥].

ب ـ قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾

١ ـ قرأ حفص والأخوان وخلف (تذَكَرون) بتخفيف الذال.

٢ ـ وقرأها الباقون (تذَّكَرون) بالتشديد[٧٦٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (النشأة): مضى بيانها في سورة النجم[٧٦٧].

ب ـ (تذكرون): الذِّكْرُ الحِفْظُ للشيء تَذْكُرُه. والذِّكرُ أيضاً: الشيء يجري على اللسان، والذِّكْرُ الصلاة لله تعالى، والدعاء إليه، والثناء عليه[٧٦٨].

---

(٧٦٥) انظر: غيث النفع ص٥١٥.

(٧٦٦) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٢.

(٧٦٧) انظر: ص١٧٣.

(٧٦٨) انظر: لسان العرب ج٤ ص٣٠٨، ٣١٠.

التفسير:

إن هذه الآية الكريمة منظومة متكاملة لها عناصرها وإمكاناتها، وتبحث عن تحقيق أهدافها، وهذا هو الشق الطيني منها.

أما شقها الآخر، فهي روح تتحرك وتجري فيها دماء العاطفة، ولها قلب غاية في الرحمة والعطف. وكأنها رجل رحيم، يمسح على قلوب هؤلاء الغافلين بلمسة من حنان ورحمة ورفق، ويأخذ بأيديهم إلى الخلاص والتذكرة والهداية والفوز والنجاح.

وكل ذلك أظهره ذلك الأسلوب الراقي في التحاور والإقناع، وهذا الرقي والإبداع ليس في كلمات هذا الحوار وجمله فقط، ولكن لأن الذي يحاور بهذه الطريقة المتلطفة في الإقناع والصبر على الإقناع هو الله تعالى الكبير المتعال الذي لا يعجزه شيء. حقاً إنه الله، هذا ما يمكن أن نقوله.

قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾، وهي ابتداء خلقكم من نطفة وعلقة. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلاً تعتبرون فتعلموا قدر الله فتقروا بالبعث»(٧٦٩).

وجاء في تنوير المقباس: ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الخلق الأول في بطون الأمهات، ويقال خلق آدم. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فهلا تتعظون بالخلق الأول فتؤمنوا بالخلق الآخر(٧٧٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: النشأة: وقد تم بيانها عند تفسير سورة النجم(٧٧١).

ثانياً: تذكرون:

أفادت القراءة بالتخفيف، على معنى أنكم أيها المنكرون للبعث

(٧٦٩) زاد المسير ص١٣٩١.

(٧٧٠) انظر: تنوير المقباس المنسوب لابن عباس ص٥٣٦.

(٧٧١) انظر: ص١٧٣.

والنشور، والمتعجبون منه انظروا إلى أنفسكم كيف خلقكم الله، وكيف كنتم أطفالاً ثم شباباً، أو انظروا إلى أصل خلقكم إلى آدم عليه السلام كيف أنشأه الله تعالى، فإن الله فعل ذلك، وأنشأكم أول مرة، وهو قادر أن ينشأكم من جديد بعد موتكم. فلعلكم تتذكرون وتتعظون، ويحضَكم هذا التذكر إلى الإيمان بالبعث.

أما القراءة بتشديد الذال، فقد أفادت بأنه من الأولى بكم أن يكون تذكركم وموعظتكم كبيرة ومؤثرة وفعالة، بل غاية في التأثير، والمبالغة في الاعتبار الذي يؤدي بكم حتماً إلى التصديق. فإن من يعلم كل هذا الذي ذكره الله تعالى من أمثلة في الإنشاء والخلق، الأجدر به أن يبادر بالإيمان والتصديق. فتلك موعظة بالغة، تتطلب منهم تذكرة بالغة، واعتباراً وتصديقاً عميقاً، يكون ثمرة تأملكم، وتفاعلكم وتفكيركم الجيد في كل ما ذكر.

وأصل القراءة بالتشديد (تذكرون) أصلها (تتذكرون).

جاء في تنوير المقباس: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فهلا تتعظون بالخلق الأول فتؤمنوا بالخلق الآخر[٧٧٢].

وقال ابن الجوزي: «أي فهلا تعتبرون فتعلموا قدرة الله تعالى فتقروا بالبعث»[٧٧٣].

وقال البقاعي: «أي تذكراً عظيماً تكرهون أنفسك»[٧٧٤].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتضح كيف يحضُّ الله تبارك وتعالى هؤلاء المنكرين للبعث للنظر في الأمثلة التي ذكرها الله تعالى لهم والتي تتحدث عن نشأتهم وخلقهم الأول، فلعل ذلك يحملهم على النظر بتفكر وتأمل بالغ، تكون

(٧٧٢) انظر: تنوير المقباس المنسوب لابن عباس ص٥٣٦.
(٧٧٣) زاد المسير ص١٣٩١.
(٧٧٤) نظم الدرر ج٧ ص٤١٧.

نتيجة تذكره بالغة تحملهم على التصديق والإيمان بالبعث والنشور.

١١ ـ قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة: ٦٥].

القراءات:

١ ـ قرأ البزي بخلف عنه بالمد الطويل في (فَظَلْتُمُوْآ) وبتشديد التاء في (تفكهون).

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ بدون مد مع تخفيف التاء[٧٧٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ فظلتم: قال ابن منظور: ظَلَّ نهارَه يفعلُ كذا وكذا يَظَلُّ ظَلاً وظُلُولاً وظَلِلْتُ أنا وظَلْتُ وظِلْتُ، لا يقال ذلك إلا في النهار لكنه قد سمع في بعض الشعر ظَلَّ ليْلَه، وظَلِلْتُ أعمل كذا بالكسر ظُلُوْلاً إذا عمِلْتُه بالنهار دون الليل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ وهو من شواذّ التخفيف[٧٧٦].

ب ـ تفكهون: التفكه التَعَجُب والندم، وتَفَكَّه تَعَجَّبَ وقيل: تَنَدَّم[٧٧٧]. وقد جرى بيانها عند تفسير سورة الطور[٧٧٨].

التفسير:

جاءت هذه الآية تعقيباً على مَثَلٍ آخر في الإنشاء والقدرة، وهو كيف أن الله تعالى خلق وأنشأ هذا الزرع الذي هو مقوِّم أساسي من مقومات حياة الناس، فمنه يأكلون ويعتاشون.

---

(٧٧٥) انظر: غيث النفع ص٥١٥.

(٧٧٦) لسان العرب ج١١ ص٤١٥.

(٧٧٧) انظر: مختار الصحاح ص٢٧٨.

(٧٧٨) انظر: ص١٣٠.

فلو أن الله تعالى بقدرته أهلكه، أو جعله يابساً لا فائدة ولا خير فيه، فإنكم ستحزنون، وتبقون في ضنك وندم شديد بسبب ذلك.

قال الماوردي: «والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به»[٧٧٩].

قال الزمخشري: «تعجبون أو تندمون على اجتهادكم فيه، أو على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه»[٧٨٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بدون مد (فظلتم)، وبدون إدغام (تفكهون) أن هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى سيمكثون في عذاب، يذكرون ما حدث لهم، ويتحدثون عنه بألم وحزن.

أما القراءة بالمد في (فظلتم)، وبتشديد التاء في (تفكهون) فقد أفادت بيان شدة تأثير ذلك عليهم، وبيان شدة حزنهم وألمهم، وطول فترة هذا الحزن والألم.

ودل على ذلك المد والتشديد. والمد والتشديد فيهما يفيد المبالغة في أثر ذلك عليهم، والزيادة في زمن الصوت التي أفرزها المد تظهر مدى طول الفترة الزمنية التي سيبقون فيها في عذاب وحزن. والتشديد في التاء في قوله: (تفكهون) لبيان قوة وشدة حزنهم.

قال السمرقندي: «﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ يعني فصرتم تندمون، ويقال: يعني تتعجبون من يُبْسِه بعد خُضْرَتِه»[٧٨١].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخبرنا الله تعالى عن حال هؤلاء القوم، وعن

---

(٧٧٩) النكت والعيون ج٥ ص٤٦٠.

(٧٨٠) تفسير الكشاف ج٤ ص٤٦٤ (بتصرف).

(٧٨١) بحر العلوم ج٣ ص٣١٨.

طبيعة هذا الحزن والضنك، والندم والتلاوم الذي حصل لهم، فهو حزن وضنك طويل شديد، وكذلك الضنك والعذاب والتلاوم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الواقعة: ٦٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكر[٧٨٢] (أإنا لمغرمون) بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿إِنَّا﴾ بهمزة واحدة مكسورة[٧٨٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

إِنَّ حرف توكيد تنصب الاسم وترفع الخبر. وقد جرى بيانها سابقاً عند تفسير سورة الطور[٧٨٤].

التفسير:

هذه الآية فيها مزيد بيان للحالة التي سيكونون عليها، حيث هلاك زرعهم كما جاء في الآية السابقة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أي لملزَمون غرامةَ ما أنفقنا، أو مهلكونَ بهلاكِ رزقنا من الغَرام وهو الهلاكُ الذي سيصيبهم بسبب ما قدَّموا[٧٨٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة باثبات الهمزتين، على معنى الاستفهام للتعجب لِمَا نزل بكم من ذهاب ما أنفقتم، أو لما نزل بكم من العذاب. أما القراءة بهمزة

(٧٨٢) وهو شعبة عن عاصم.

(٧٨٣) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٠.

(٧٨٤) انظر: ص١٤٣.

(٧٨٥) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٩٣.

واحدة فهي على معنى الإخبار عن ما حدث لهم[(٧٨٦)]. قال السمرقندي: «بهمزتين على الاستفهام، وقال: وبهمزة واحدة على معنى الخبر»[(٧٨٧)].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين: يصف الله ﷻ حال هؤلاء الناس في حالة هلاك زرعهم بأنهم سيبقون في حزن شديد، يوقنون معه بأنهم معذبون، أو هالكة أموالهم ونفقاتهم، وهم بسبب ذلك متعجبون لما يحدث لهم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة: ٧٢].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر بخلف عن ابن وردان (المُنْشُون) بحذف الهمزة مع ضم الشين، ووافقه حمزة عند الوقف وهو وجه من أوجهه الثلاثة.

٢ ـ وقرأها حمزة بالتسهيل بين بين، وبابدال الهمز ياءً.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ بالهمزة المحققة مع كسر الشين، وهو الوجه الثاني لابن وردان[(٧٨٨)].

المعنى اللغوي للقراءات:

أنشأه الله: خلقه، والاسم النشأة والنشاءة بالمد عن أبي عمرو بن العلاء. وأنشأ يفعل كذا أي: ابتدأ. وقد جرى بيانها عند تفسير سورة النجم[(٧٨٩)].

---

(٧٨٦) انظر: فتح القدير ج٥ ص١٨٩.
(٧٨٧) بحر العلوم ج٣ ص٣١٨.
(٧٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٣.
(٧٨٩) انظر: ص١٧٣.

التفسير:

وهذا مثل آخر يسوقه الله ﷻ في الإنشاء والقدرة على الخلق، ولكنه ذكر هذه المرة النار التي ينتفعون منها في شؤون حياتهم، من تدفأة وطبخ وأشياء كثيرة في جميع تفاصيل حياتهم. فيسألهم الله تعالى عن مَنْ خَلَقَهَا وأنشأها.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ أيها الناس النار التي تستخرجونها من زندكم ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ يقول: أأنتم أحدثتم شجرتها واخترعتم أصلها ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه»[٧٩٠]. وقال ابن كثير: «وللعرب شجرتان: إحداهما المرخ، والأخرى العَفَار، إذا أُخذ منها غصنان أخضران فحُك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار»[٧٩١].

وقال ابن الجوزي: «في المراد بشجرتها ثلاثة أقوال: أحدهما أنها الحديد. والثاني أنها الشجرة التي تتخذ منها الزنود، وهو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار. والثالث أن شجرتها أصلها»[٧٩٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بإثبات الهمزة، على معنى بيان أن هذا الإنشاء إنما هو إنشاء قوي ومتين ومحكم، فهو صنعة الله تعالى الجبار القدير الذي أحسن كل شيءٍ خلقه، فلقد كانت بذرة صغيرة، فإذا هي بإذن الله تعالى شجرة قوية متينة محكمة الإنشاء. ودل على ذلك استخدام الهمزة التي هي للقوة، كذلك الصعوبة في اللفظ التي تحتاج الى تكلف وقوة، فأنت عندما تلفظ بالكلمة ﴿ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ تعترضك الهمزة، فتشعر وأنت تلفظ بها كأنك تقف

(٧٩٠) جامع البيان ج٩ ص٧٨٦٤.

(٧٩١) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣١٨.

(٧٩٢) زاد المسير ص١٣٩١.

بتؤدة وتمعن على تفاصيل هذا الإنشاء القوي المتقن المتعدد المراحل.

أما القراءة بحذف الهمز أو بالتسهيل، فهي للدلالة على أن هذا الإنشاء، وإن كانت تفاصيله كثيرة ومتعددة وقوية وتحتاج إلى وقت وظروف وأسباب للحصول على تمامه في القوة، والحسن في الصورة، والإتقان في الصنعة؛ إلا أنه سهل وهيِّن على الله تعالى، إنما يقول له كن فيكون، ودلَّ على ذلك التخفيف على القراءة بدون همز، والتسهيل أيضاً، فهو سهل وخفيف على الله تعالى، والله سبحانه أعلم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما، يظهر لنا الله تبارك وتعالى أن هذه الصنعة، وهذا الإتقان وهذا الإنشاء القوي المتين بجميع تفاصيله، إنما هو سهل عليه ﷻ، إنما يقول له كن فيكون بإذنه تعالى.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة: ٧٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (بموقع) بإسكان الواو من غير ألف على التوحيد.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ بفتح الواو وألف بعدها على الجمع(٧٩٣).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الوَقْعَةُ: صَدْمةُ الحرب والواقِعَةُ مثله. والواقِعَةُ: القيامة. ومواقِعُ الغيثِ مساقطُه.

(٧٩٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٩١.

ويقال: وقعَ الشيءُ موقِعَه. والوَقْعُ بالتسكين: المكان المرتفع من الجبل[(٧٩٤)].

التفسير:

هنا ينتقل الله ﷻ إلى جملة الافتراءات التي أكالوها، فهم إضافة إلى إنكارهم للبعث، هم ينكرون كتاب الله تعالى وقرآنه الذي أنزله على سيدنا محمد ﷺ، وقالوا عنه بأنه سحر، وغير ذلك من التهم الباطلة.

فجاء الرد من الله تعالى مباشرة بالقسم، أو بالتلويح بالقسم على اختلاف المفسرين بأن هذا القرآن الذي تقولون فيه الأقاويل، هو قرآن عظيم، عظيم في كل شيء، في الوصف، وفي المعنى.

واختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾:

فقال بعضهم: مواقع ومساقط الكواكب السيارة في الفضاء. وقال البعض الآخر بل هي آيات القرآن حيث أنه نزل منجَّماً على محمد ﷺ.

قال سيد قطب: «فالأمر أوضح وأجلى من أن يحتاج إلى قسم وهذا التلويح بالقسم والعدول عنه أسلوب ذو تأثير في تقرير الحقيقة التي لا تحتاج إلى القسم لأنها ثابتة واضحة، إنه لقرآنٌ كريم وليس كما تدَّعون قول كاهن ولا قول مجنون ولا مفتري على الله من أساطير الأولين»[(٧٩٥)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون ألف (موقع) للدلالة على المكان الذي تقع فيه النجوم، وهو السماء بالعموم، وبدون تفصيل، ذلك على من قال بأن المقصود من النجوم الكواكب السيارة، أما على معنى أن المقصود بها آيات القرآن، فيكون الموقع هو القرآن على العموم دون تفصيل.

---

(٧٩٤) انظر: الصحاح في اللغة ص١٣٠٧ ـ ١٣٠٨.

(٧٩٥) الظلال ج٦ ص٣٤٧١ (بتصرف).

أما القراءة بإثبات الألف ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ فهي على الجمع والمراد منه، بيان تعدد ذلك وكثرته واختلافه.

فمن قال بأن المقصود بها نجوم القرآن، وهي آياته التي نزلت نجوماً متفرقة .. فالمقصود هنا أن الله تعالى يقسم بمواقع تلك الآيات والسور، حيث إن كل سورة، أو كل آية تقع في مكان مختلف عن غيرها في داخل المصحف الشريف، وهذا المكان موضوعةٌ هيَ فيه بدقة وعناية فائقتين.

ومن قال بأن المقصود هنا بالنجوم هو على حقيقته، أي الكواكب، فيكون المعنى أن الله تعالى يقسم بمواقع تلك النجوم والكواكب، والجمع هنا؛ لبيان اختلاف مساقط ومواقع هذه النجوم.

وهذا الاختلاف فيه آيات للناس، فكل نجم له موقع ومسقط، أو مواقع ومساقط خاصة به، اختارها الله تعالى له بكل عناية ودقة، وإقسام الله تعالى بهذه المواقع له أهمية واضحة، تدل على عظمة الخالق، وتلفِتُ الانتباه إلى هذا الكون الفسيح المنظم المتناسق المهيب، ويتناول لنا شيئاً واحداً يراه الناس ليل نهار، أو يرون بعض عناصره وهو النجوم السيارة ذات المواقع والمساقط المختلفة والمتعددة، تنتقل فيها بكل دقة وعناية دون أن يصطدم أحدهما بالآخر، وكل منهما له زمان ومكان لا يحيد عنه. قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ ـ ٤٠].

فالقراءة بالجمع إذاً تدل على اختلاف مساقط تلك النجوم، ولربما تشير الآية إلى تعدد مساقط النجم الواحد كذلك، والله أعلم.

قال القصبي: «ومواقع النجوم: مواضعها ومنازلها، فلكل نجم مدار يدور فيه لا يتعداه»[٧٩٦].

قال ابن الجوزي: «ومن أفرد فلأنه اسم جنس، ومن جمع فلاختلاف

(٧٩٦) تفسير آيات الأحكام ج٤ ص٣٥١.

ذلك»[797].

وقال ابن عادل: «ومواقعها: مساقطها ومغاربها»[798]. وقال مكي: «(بموقع) بالتوحيد من غير ألف؛ لأنه مصدر يدل على القليل والكثير، فلم يحتج إلى جمعه. وقال: وبالجمع على المعنى؛ لأن مواقع النجوم كثيرة وذلك حيث يغيب كل نجم. وقيل: معناه مواقع القرآن حيث نزل على النبي ﷺ نجوماً شيئاً بعد شيء»[799]. وقال أبو منصور: «من قرأ (بموقع) فاللفظ موحد ومعناه الجمع، ومن قرأ ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ فإن لكل نجم موقعاً على حدة»[800].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يتضح لنا بأن هذه النجوم أي الكواكب لها مساقط مختلفة، فكل نجم منها له موقع أو مواقع خاصة به، ينتقل فيها بدقة ونظام باهر، أو أن هذه الآيات والسور القرآنية لها أماكن في القرآن الكريم، وضعت فيه بعناية بحيث لا يصلح غيرها في مكانها.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٩].

القراءات:

١ ـ قرأ رويس[801] (فَرُوْح) بضم الراء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَرَوْحٌ﴾ بالفتح[802].

---

(٧٩٧) زاد المسير ص١٣٩٢.

(٧٩٨) اللباب ج١٨ ص٤٣٠.

(٧٩٩) الكشف ج٢ ص٣٠٦.

(٨٠٠) معاني القراءات ج٣ ص٥٢.

(٨٠١) قرأ ذلك رواية عن القارىء يعقوب الحضرمي.

(٨٠٢) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٠، والبدور الزاهرة ص٣٩٣.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الرُّوح يُذَكَّرُ ويؤنث والجمع الأرواح. ويسمى القرآن، وعيسى، وجبرائيل عليهما السلام روحاً كذلك. والرَّوح بالفتح من الاستراحة، وكذا الراحةُ. والروح أيضاً والريحانُ الرحمة والرزق[(٨٠٣)].

التفسير:

وفي ختام هذه السورة المباركة يعرض لنا الله ﷻ خاتمة ونهاية، ومآل كل من الأصناف التي عرضها في أول السورة، والحديث هنا في هذه الآية عن المقربين حيث ينتظرهم عند قبض روحهم، وانتقالهم إلى الله تعالى، ينتظرهم راحة من هموم الدنيا، ورحمة أبدية سرمدية من الله تعالى .. نسأل الله تعالى أن يختم لنا بالحسنى جميعاً.

قال ابن كثير: «أي لهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت»[(٨٠٤)].

وقال البقاعي: «(فروح) أي فله راحة ورحمة. وقال: (وريحان) أي رزقٌ عظيم ونبات حسن بهيج وأزاهير طيبة الرائحة»[(٨٠٥)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالضم، على معنى أن هؤلاء المقربين إذا ما قبضت أرواحهم، فإن الله ﷻ سيحيلها إلى رحمته، وإلى حياة دائمة باقية، وإن أرواحهم تخرج حال خروجها في ريحان.

أما القراءة بالفتح، فقد أفادت بأن أرواح المقربين تخرج إلى برد أو إلى راحة واستراحة.

(٨٠٣) انظر: مختار الصحاح ص١٥٢.

(٨٠٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٢١.

(٨٠٥) نظم الدرر ج٧ ص٤٢٩ (بتصرف).

وعلى هذا فإذا كانت روح هؤلاء المقربين تخرج حال قبضها إلى استراحة وراحة من كل عوالق ومصاعب ومشاقّ هذه الحياة الدنيا.

فإن القراءة بالضم شرحت بعض جوانب هذه الراحة، وهي أنهم سيكونون في حياة أبدية خالدة، كلها رحمة. كذلك فإنها وصفت لنا حال الروح عند خروجها بأنها تكون في ريحان.

وأورد البغوي: «أنه من قرأ بالضم: فمعناه تخرج روحه في الريحان. ومن قرأ بالفتح: معناه فله روح وهو الراحة»[٨٠٦]. وقال الشوكاني: «(رَوح) بفتح الراء ومعناه: الراحة من الدنيا والاستراحة من أحوالها.

أما عن القراءة بالضم فقال: ومعنى هذه القراءة الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم»[٨٠٧].

وقال ابن عجيبة: «الروح بالفتح: الراحة لأرواحهم ونعيم الريح وهي نسيم يهب عليهم، وقرئ بالضم: أي الحياة والبقاء أو فله حياة طيبة دائمة لا موت فيها»[٨٠٨]. وقال أبو منصور: «من قرأ (فرُوحٌ وريحان) فمعناه حياة دائمة لا موت فيها. قال: ومن قرأ ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ﴾ فالرَّوح الفرح. قال وقد يكون الروح بمعنى الاستراحة والبرد»[٨٠٩].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتضح بأن روح أو أرواح المقربين عندما تُقبض تخرج إلى راحة واستراحة من الدنيا وهمومها، وهذه الراحة تكون في الحياة الأبدية الدائمة المليئة برحمة الله تعالى ونعمه.

تمت سورة الواقعة بحمد الله تعالى وتوفيقه.

---

(٨٠٦) تفسير البغوي ج٥ ص١٨٨ (بتصرف).

(٨٠٧) فتح القدير ج٥ ص١٩٤.

(٨٠٨) البحر المديد ج٧ ص٣٠٤ (بتصرف).

(٨٠٩) معاني القراءات ج٣ ص٥٣.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الحديد
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية، وهي تسع وعشرون آية، وهي تعنى بالتشريع والتربية والتوجيه، وتبني المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصافية، والأخلاق الكريمة، والتشريع الحكيم[٨١٠].

سبب التسمية:

سميت بالحديد؛ لورود ذكر الحديد فيها، وهو قوة الإنسان يستعين به في السلم والحرب، وعدته في البناء والعمران[٨١١].

مناسبتها لما قبلها:

لما ابتدأت سورة الواقعة بالتسبيح اختتمت هذه السورة بالأمر به والحث عليه[٨١٢].

(٨١٠) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص٣٠٧، صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٠.

(٨١١) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٠.

(٨١٢) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٦٤.

الموضوع العام للسورة:

المحور الأساسي الذي دارت حوله السورة، هو ترسيخ الإيمان في القلب، وما ينبثق عن هذه الحقيقة من خشوع وتقوى وإخلاص وتجرد وبذل وتضحية، وقد سارت في إقرار هذه الحقيقة عبر ثلاثة مواضيع رئيسة:

الأول: ترسيخ حقيقة أن الكون كله لله تعالى فهو خالقه ومبدعه والمتصرف فيه.

الثاني: وجوب التضحية بالنفس والنفيس لإعزاز دين الله تعالى، ورفع منار الإسلام.

الثالث: تصوير حقيقة الحياة الدنيا، وبيان أن ما فيها من بهرج ومتاع خادع، حتى لا يغتر بها الإنسان فيضل ويغوى[٨١٣].

١ ـ قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ الشامي ويعقوب والأخوان وخلف (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاء وفتح الجيم[٨١٤].

المعنى اللغوي للقراءتين:

رَجَع يَرْجِع رَجْعاً وَرُجُوعاً وَرُجْعَى وَرُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً انصرف وفي التنزيل: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ٨] أي الرُّجوع والمَرجِع[٨١٥].

(٨١٣) انظر: الظلال ج٦ ص٣٤٧٦، ٣٤٧٧، صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٠.

(٨١٤) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٤، وغيث النفع ص٥١٧.

(٨١٥) انظر: لسان العرب ج٨ ص١١٤.

التفسير:

تأتي هذه الآية الشريفة بعد مجموعة من آيات كريمات، تبيِّن عظيم شأن الله تعالى وقوته وقدرته وملكيته المطلقة للسموات والأرض، ولكل شيء. ثم تأتي هذه الآية تتويجاً لكل ذلك. فكل الأمور مردها إلى الله تعالى يوم القيامة. ولا شك أن هذه الآية تأتي بعد سورة الواقعة التي تحدثت عن إنكار الكفار ليوم البعث والنشور، وتكذيبهم للرجوع مرة أخرى؛ وذلك لتؤكد مرة أخرى في السياق الذي ذكرناه على البعث والحساب.

قال الصابوني: «أي إليه وحده مرجع أمور الخلائق في الآخرة فيجازيهم على أعمالهم»(٨١٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالفتح، على معنى أنها ترجع من تلقاء نفسها، وذلك على وجه الإخبار من الله تعالى بأن الأمور سترجع إلى الله تعالى.

أما القراءة بالضم، فقد دلت على أن رجوعها يكون بفعل فاعل، وهو الله تعالى: وهذا الرجوع ليس بكيفها، ولا بمزاجها، ولكن بقوة الله تعالى يقسرها على ذلك قسراً.

ويدل على ذلك الترتيب الذي جاءت عليه هذه السورة حيث إنها جاءت بعد سورة الواقعة التي ذكرت مواقف هؤلاء المنكرين للبعث والحشر، والرجوع إلى الله تعالى. فجاءت هذه الآية لتؤكد مرة أخرى بحقيقة البعث والحشر والرجوع، وكل ذلك سيحدث للخلائق ليس بإرادتها.

ولكن رغماً عنها شاءت أم أبت، والآلية والكيفية التي يتم بها حشر الناس من قدوم النار التي تسوق الناس وغيرها من الأمور المصاحبة لعملية الحشر يؤكد ذلك.

(٨١٦) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٣.

وكذلك ما ذكره ابن عاشور إذ قال: «﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على معنى يرجعها مُرْجِع وهو الله قسراً، و(تَرجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم أي ترجع من تلقاء نفسها، فهي التي ستقوم بهذا الفعل، لأنها مسخرة لذلك في آجالها»(٨١٧).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن الأمور ترجع إلى الله تعالى، ولكن هذا الرجوع لا يكون باختيارها، ولكن يحدث ذلك لها قسراً، فعملية الرجوع، وما يتعلق بها من آليات وطريقة الحشر والبعث تدل على ذلك.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحديد: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (أُخِذَ) بضم الهمزة وكسر الخاء. وقرأ (ميثاقُكم) برفع القاف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَخَذَ﴾ بفتح الهمزة والخاء، و﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ بفتح القاف(٨١٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ أخذ: الأخذ خلاف العطاء، وهو أيضاً التناول أخذتُ الشيءَ آخُذُه أَخْذاً تناولته؛ وأَخَذَه يأْخُذه أَخْذاً والإِخذ بالكسر الاسم، وإذا أمرت قلت خُذ(٨١٩).

ب ـ **(وثق):** وثقتُ بفلان أَثِقُ ثقةً إذا ائتمنتَه. والميثاقُ العهدُ، والجمعُ

(٨١٧) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٣٦٦.

(٨١٨) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢، والتذكرة في القراءات ج٢ ص٧١١.

(٨١٩) انظر: لسان العرب ج٣ ص٤٧٢.

المواثِيقُ والميائِقُ والمَيَاثيقُ أيضاً[٨٢٠].

التفسير:

جاءت هذه الآية الكريمة بعد تقدمة جليلة وواضحة تبيِّن قدرة وعظمة ومقدرة الله تعالى، وبعد أمر الله تعالى لعباده بأن يؤمنوا؛ بمعنى فإذا كان الحال كذلك في شأن الله تعالى فكان الأجدر بكم أن تؤمنوا، وعدم إيمانكم هو أمر مستهجن ومنكر، وخاصة أن الله تعالى أخذ على عباده الميثاق بالإيمان به سبحانه.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وما شأنكم أيها الناس لا تقِرُّون بوحدانية الله، ورسوله محمد ﷺ يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك ما قطع عذركم، وأزال الشك من قلوبكم ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ قيل: عَنِيَ بذلك وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه»[٨٢١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بفتح الهمز والخاء (أَخَذ)، على أنها فعل ماضٍ، والميثاق يكون في هذه الحالة مفعولاً به؛ لذلك نصبت القاف، وهي إخبار وتذكير للناس بأن الله تعالى قد أخذ عليهم الميثاق والعهد أن يؤمنوا بوحدانيته، وذلك وَهُمْ في صلب آدم عليه السلام.

أما القراءة بضم الهمز وكسر الخاء في (أُخِذ) فهي على صيغة المبني للمجهول، و(ميثاقُكم) في هذه الحالة تصبح نائب فاعل؛ لذلك ضُمت القاف.

والتنكير هنا يفيد التعظيم، والإشعار بأهمية هذا الميثاق وهذا العهد،

(٨٢٠) انظر: الصحاح في اللغة ص١٢٦٥.

(٨٢١) جامع البيان ج٩ ص٧٨٨٤.

ووجود حركة الضم على الهمز يشعر بقوة هذا الميثاق، وضرورة الالتزام به وعدم مخالفته؛ كذلك إن صيغة التنكير هذه تلفت الأذهان وتشد الأسماع إلى تفاصيل كثيرة مستورة في عملية الأخذ للميثاق، مما يفتح أمام السامع آفاقاً كثيرة في التدبر والتفكر والتمعن، فكيف أُخِذ الميثاق؟ ومن الذي أخذه ومتى؟ إلى غير ذلك من التأملات . . .

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما، يُظهر الله تعالى لنا أهمية هذا العهد، ويبيّن لنا قوته وضرورة الالتزام به، وهذه الأهمية وهذه القوة فيه تشير إلى عظم درجة وأجر من أوفى، وشدة وِزْر مَنْ نَكَصَ وَأَبَى والله تعالى أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المكي والبصري (يُنْزِل) بإسكان النون وتخفيف الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بفتح النون وتشديد الزاي[٨٢٢].

المعنى اللغوي للقراءتين:

نزل: النُّزُول الحلول، وقد نَزَلَهم ونَزَل عليهم ونَزَل بهم يَنزل نُزُولاً ومَنْزَلاً ومَنْزِلاً بالكسر شاذ[٨٢٣]. جاء في المصباح: نزل من عُلْو إلى سُفْل ينزل نزولا[٨٢٤].

---

(٨٢٢) انظر: غيث النفع ص٥١٧.

(٨٢٣) انظر: لسان العرب ج١١ ص٦٥٦.

(٨٢٤) انظر: المصباح المنير ص٣٥٦.

التفسير:

يخاطب الله تعالى عباده في هذه الآية بكل تلَطُّف ومودةٍ ورحمة بعد أن أمرهم بالإيمان، ويخبرهم بأنه سبحانه يرسل لهم المعجزات الخالدات، والقرآن الكريم بقصد هدايتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن المعاصي إلى الطاعة، ومن السخط إلى الرضى، ومن النار إلى الجنة، وهو سبحانه يفعل ذلك رحمة منه، ورأفة بكم. قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ يعني محمد ﷺ ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يعني الشرك إلى نور الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حين بعث الرسول ونصب الأدلة»[٨٢٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف (يُنْزِل) بمعنى الإنزال من علو إلى أسفل، ومن المعروف أن القرآن الكريم نزل على رسولنا محمد ﷺ من السماء[٨٢٦].

أما القراءة بالتشديد، فقد أفادت كثرة هذا النزول، والمبالغة فيه، وتدرجه، وتعدده على فترات ومراحل في أزمان وأماكن مختلفة[٨٢٧]، ومن المعلوم بأن القرآن الكريم نزل منجماً بحسب الوقائع والأحداث، أو ما دون ذلك من أنواع النزول.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، تتأكد لنا صور وكيفيات نزول القرآن الكريم، فهو نزل مرات كثيرة بآيات مختلفة في أزمان وأماكن متعددة، وفي كل ذلك كان نزوله من السماء إلى الأرض.

---

(٨٢٥) زاد المسير ص١٣٩٧.

(٨٢٦) انظر المصباح المنير ص٣٥٦.

(٨٢٧) انظر الكشف ج٢ ص٤٢٣، والمستنير ج٣ ص١٥٧، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني - د. فاضل السامرائي - ص٦٠.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر (وَكُلٌّ) برفع اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَكُلًّا﴾ بنصبها[٨٢٨].

المعنى اللغوي للقراءتين:

الكُلُّ اسم يجمع الأجزاء، ويقال: كلُّهم منطلِق، وكلهنَّ منطلقة ومنطلق، الذكر والأُنثى في ذلك سواء[٨٢٩].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينكر الله تعالى على المؤمنين عدم إنفاقهم في سبيله تعالى، وذلك إشارة منه سبحانه على ما يجب عليهم في حق إسلامهم؛ فإيمانهم بالله ورسوله يتطلب منهم الإنفاق لتصديق ذلك الإيمان، وكأنه سبحانه يقول لهم: إذا كنتم قد آمنتم بالله، وصدقتم بأن هناك ثواباً وجنة، فكيف لا تنفقون أموالكم لتحصلوا على ذلك الأجر قبل موتكم وذهاب أموالكم، خاصة إذا كان الإسلام بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى ذلك الإنفاق، خاصة في بداية عهده؛ ثم بيَّن الله سبحانه عظيم أجر من استثمر ماله في تلك الأوقات التي كان يحتاج إليها الإسلام قبل الفتح، يوم كان الإسلام مستضعفاً، وأنصاره كانوا فقراء مطاردين بحاجة ماسَّة لأية وسيلة من وسائل الدعم.

(٨٢٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١١.

(٨٢٩) انظر: لسان العرب ج١١ ص٥٩٠، ٥٩١.

قال الصابوني: «أي: أيُّ شيءٍ يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، وفيما يقرِّبكم من ربكم، وأنتم تموتون وتخلفون، أموالكم وهي صائرة إلى الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ أي لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل الأعداء مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد فتح مكة، وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي وكُلاًّ، ممن آمن وأنفق قبل الفتح، ومن آمن وأنفق بعد الفتح وعده الله الجنة مع تفاوت الدرجات»(٨٣٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالرفع، على معنى الابتداء أي وكلٌ وعده الله تعالى. أي كلا الفريقين الذين ذكرهم الله.

أما القراءة بالنصب، فقد أفادت التخصيص، أي كل واحد من الفريقين، ولعل التخصيص هنا يفيد بأن كل فريق من الفريقين المذكورين وعدهم الله الحسنى؛ لبيان أهمية ما قام به كل فريق، بمعنى أن التفاوت في الأجر والسبق للفريق الأول لا يضر ولا ينقص أجر الفريق الثاني، فإن الأول موعود بالحسنى، وكذلك الثاني أو الآخر موعود بالحسنى، والله أعلم.

وذكر أبو السعود أن القراءة بالنصب (وكلاًّ) أي وكلّ واحد من الفريقين وعده الله المثوبة الحسنى، وهي الجنة لا الأولين فقط، وقرئ (وكلٌّ) بالرفع على الابتداء بمعنى وكلٌ وعده الله تعالى(٨٣١). وقال الزمخشري: «(وكلاً) وكل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات»(٨٣٢).

---

(٨٣٠) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٤، ٣٠٥ (بتصرف).

(٨٣١) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص٢٠٢.

(٨٣٢) تفسير الكشاف ج٤ ص٦٥.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن الأجر قد وعد الله تعالى به كلّ فريق على حده، فهو ﷻ وعد الفريق الأول، وكذلك وعد الفريق الثاني، وذلك حتى لا يظن ظانٌ بأن أجر الفريق الثاني قد ذهب أو انتقص؛ وذلك لعظم فضل الفريق الأول، فجاء التخصيص لكلا الفريقين؛ لينفي ذلك الظن.

٥ ـ قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر (فيُضَعِّفَه) بدون ألف مع التشديد ونصب الفاء.

٢ ـ وقرأها ابن كثير كذلك ولكنه رفع الفاء (فيُضَعِّفُهُ).

٣ ـ وقرأها عاصم ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بالألف وفتح الفاء.

٤ ـ وقرأها الباقون (فَيُضَاعِفُه) بالألف مع رفع الفاء[٨٣٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

الضَعْفُ والضُعْفُ خلاف القوة. وأضْعَفَه وضَعَّفَه: صَيَّره ضَعِيْفاً. واسْتَضْعَفَه: وتَضَعَّفَه: وجده ضعيفاً فَرَكِبه بِسُوء، وأضْعَفَ الشيءَ وضَعَّفَه وضَاْعَفَه: زاد على أصل الشيء وجعله مثيله أو أكثر[٨٣٤].

التفسير:

يحث الله ﷻ في هذه الآية على الإنفاق في سبيله، ويرغّب فيه عبر

(٨٣٣) انظر: حجة القراءات ص٦٩٩، والبدور الزاهرة ص٣٩٤.

(٨٣٤) انظر: لسان العرب ج٩ ص٢٠٣، ٢٠٤.

بيان هذا الأجر المضاعف من الثواب لمن يفعل ذلك والاستفهام فيها للحث والترغيب.

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ هذا ندبٌ بليغ من الله تعالى للناس للإنفاق في سبيله، مؤكدٌ للأمر السابق به، وللتوبيخ على تركه؛ فالاستفهام هنا ليس على حقيقته، بل هو للحث على الإنفاق(٨٣٥).

وقال الصابوني: «قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ أي يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً. ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ أي وله مع المضاعفة ثواب عظيم كريم وهو الجنة»(٨٣٦).

وقال ابن كثير: «أي جزاء جميل، ورزق باهر، وهو الجنة يوم القيامة»(٨٣٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: القراءة بالرفع والنصب: فجاءت القراءة بالرفع في قوله تعالى: (فيضاعفُه)، و(فيضعّفُه) على أنها معطوفة على قوله تعالى: ﴿يُقۡرِضُ﴾، أو على الابتداء والانقطاع من الأول.

أما النصب (يضاعفَه) و(يضعّفَه) فهي جواباً على الإستفهام، بمعنى أنه لما قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ فكأنه قال: أيقرض الله أحدٌ قرضاً حسناً، فيكون قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ و(يضعّفَه) بالنصب جواباً عن الاستفهام حينئذ(٨٣٨).

---

(٨٣٥) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٧٣.

(٨٣٦) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٥.

(٨٣٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٢٩.

(٨٣٨) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٥٥، والمحرر الوجيز ج٥ ص٢٦٠، والدر المصون ج٦ ص٢٧٤، ٢٧٥ نقلاً عن ابن عطية.

ثانياً: القراءة باثبات الألف (فيضاعفه) أو عدم اثباتها مع تشديد العين (فيضعِّفه).

جاءت القراءة بالتشديد على العين مع حذف الألف؛ لتدل على أن العمل الصالح سيضاعف، وسيكبر وسيكثر في الكيف والأجر حتى يصبح أمثال العمل الأصلي، ولكن بزيادة محدودة، كأن يكون مثليه في الزيادة.

أما القراءة بدون تشديد مع إثبات الألف، فقد دلت على أن هذه المضاعفة هي زيادة لا محدودة، ومطردة وغير محصورة، ودل على ذلك وجود المد الذي هو للمبالغة والزيادة، فإذا كان التشديد يدل على المبالغة في الفعل كما في القراءة بالتشديد، فإن المد الذي هو عبارة عن إطالة زمن الصوت كما في قراءة اثبات الألف يدل على المبالغة والزيادة المطردة في الفعل؛ كذلك فإننا لو ذهبنا لِعَدِّ الحروف في كلا القراءتين لوجدنا أن عدد حروف القراءة بالتشديد (فيضعِّفه) هي سبعة أحرف مع عَدِّ الحرفِ المشدد، ولو ذهبنا لنعدّ حروف القراءة بالمد (فيضاعفه) لوجدناها أيضاً سبعة أحرف، ولكن ما هو جديد وملاحظ أن هناك زيادة في القراءة بالمد على القراءة بالتشديد، وهذه الزيادة هي المد الذي لحق بحرف الألف، وهذا مما يزيد في الدلالة على أن القراءة بالألف تدل على المضاعفة الكثيرة اللامحدودة، كذلك لو نظرنا إلى الآيات التي جاءت على القراءة بالألف والمد، لوجدنا أنها مردفة بمعنى الأضعاف الكثيرة، والأجر اللامحدود، ومثل ذلك قوله تعالى:

١ - ﴿... مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

٢ - ﴿... وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٣ - ﴿... وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وكذلك الآيات التي جاءت في العذاب، فجاءت القراءة بالمد مع الألف تردفها الكلمات التي تدل على العذاب اللامتناهي، ومثل ذلك قوله تعالى:

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾ [الفرقان: ٦٩] فهو عذاب أبدي مضاعف وسرمدي.

أما الآية التي جاءت في سورة الأحزاب بتقييد المضاعفة إلى ضعفين، فهي دليل على أنها لو لم تقيد بضعفين لَدَلَّتْ القراءة بالمد مع الألف إلى الأضعاف اللامحدود، قال تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٠]. والله تعالى أعلى وأعلم.

٦ - **قال تعالى:** ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ [الحديد: ١٣].

القراءات:

١ - قرأ حمزة (أَنْظِرونا) بقطع الهمزة المفتوحة وكسر الظاء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿ٱنظُرُونَا﴾ بهمزة وصل مع ضم الظاء[٨٣٩].

المعنى اللغوي للقراءتين:

النَّظَر والنَّظَرَانُ بفتحتين تأمُّل الشيء بالعين وقد نَظَر إلى الشيء. والنَّظَر أيضاً الانتظار، يقال منهما نَظَره يَنْظُره بالضم نظراً[٨٤٠].

التفسير:

بعد أن حث الله سبحانه على الإنفاق، ورغَّب فيه، وعرض لنا صورة

(٨٣٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢، وغيث النفع ص٥١٧، وتحبير التيسير ص٢١٥.

(٨٤٠) انظر: مختار الصحاح ص٣٥٧.

ومشهداً لما سيكون عليه المطيعون المصدقون المنفقون من نور وهدىً وإبصار على الصراط، عرض لنا في هذه الآية مشهداً مغايراً معكوساً مليئاً بالظلام والتخبط، وعدم الإبصار على الصراط، وذلك كله لاستنكافهم عن طاعة الله تعالى وتكذيبهم، وبالتالي عدم إنفاقهم، فإذا كانت صورة المؤمنين المصدقين يوم القيامة مشرقة مليئة بالنور والهدى، فإن حال المنافقين يومئذ هو التخبط والظلام والضلال. قال البقاعي: «ولمَّا عظم هذا الأجر الكريم ببيان ما لأهله في الوقت الكائن فيه، عظمه بما لأضدادهم من النكال»(٨٤١).

ويرى الباحث: أن المنافقين أمام هذا العمى والضلال والظلام يشاهدون ما عليه المؤمنين من الهدى والنور، فيلجؤون إليهم، طالبين الاقتباس والاستفادة من نورهم؛ ليساعدهم ذلك في السير على الصراط والنجاة من النار، ولكن لا يفلحون ولا ينجحون.

قال سيد قطب: «فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف، ولكن أنَّى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور، وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام، إن صوتاً مجهولاً يناديهم ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ ويبدو أنه صوت للتهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودسّ في الظَّلام، ارجعوا وراءكم إلى الدنيا إلى ما كنتم تعملون، ارجعوا إلى النور يُلتَمس من هناك من العمل في الدنيا ارجعوا فليس اليوم يُلتمس النور»(٨٤٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالوصل، على معنى (انتظرونا) أي قفوا في مكانكم حتى نلحق بكم، وهذا قول المنافقين للمؤمنين يوم القيامة. أو بمعنى انظروا إلينا، وذلك أنهم عندما ينظرون بوجوههم المشعة بالنور إلى المنافقين يستفيد المنافقون من هذا النور في المشي.

---

(٨٤١) نظم الدرر ج٧ ص٤٤٤.

(٨٤٢) الظلال ج٦ ص٣٤٨٦.

أما القراءة بالقطع، فقد أفادت معنى (أمهلونا) سواء كانت بالتمهل في المشي أو المكث في مكانكم، والحاصل أن المراد هنا أي اتركوا لنا مجالاً كي نتدبر أنفسنا كيف نلحق بكم أو كيف نستفيد من نوركم في ذلك؟!.

قال الرازي: «فقوله (انظرونا) يحتمل وجهين: الأول: أنظرونا أي انتظرونا؛ لأنه يسرع بالمؤمنين إلى الجنة كالبرق الخاطفة، والمنافقون مشاة، والثاني: أنظرونا: أي انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم، فيستضيئون به، فيمكنهم ذلك من السير، وأما قراءة (أنظِرونا) مكسورة الظاء فهي من النظرة والإمهال. والمعنى أنه جعل اتئادهم في المشي إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم»[٨٤٣]. وبهذا قال أبو حيان[٨٤٤]، والسمين الحلبي وغيرهم[٨٤٥].

وقال البقاعي: «(انظرونا) أي أنظرونا بأن تمكثوا في مكانكم لنلحق بكم. وعن القراءة بقطع الهمزة وكسر الظاء قال: أي أخِّرونا في المشي وتأنوا علينا وأمهلوا علينا، لا تطلبوا منَّا السرعة فيه، بل أمكثوا في مكانكم لننظر في أمرنا كيف نلحق بكم، والحاصل أنهم عَدُّوا تأنيهم في المشي وتلبثهم ليلحقوا بهم إنظاراً لهم»[٨٤٦].

وقال السمرقندي: «فمن قرأ بالنصب فمعناه: أمهلونا، ومن قرأ بالضم فمعناه انتظرونا»[٨٤٧].

وقال الشيخ عبد الله العبكري: «(انْظُرُونا) انتظرونا، و(أَنْظِرُونا) أخِّرونا»[٨٤٨].

---

(٨٤٣) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٥٧.
(٨٤٤) انظر: البحر المحيط ج٨ ص٢٢٠.
(٨٤٥) انظر: الدر المصون ج٦ ص٢٧٦.
(٨٤٦) نظم الدرر ج٧ ص٤٤٤.
(٨٤٧) بحر العلوم ج٣ ص٣٢٥.
(٨٤٨) كتاب إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب في القرآن / دار الفكر بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م / ص٥٥١.

وقال أحمد البنا: «بقطع الهمزة من الأنظار أي أمهلونا، وبهمزة وصل من (نظر)، انتظر ذلك بأنه يسرع بالخلص إلى الجنة على نجب فيقول المنافقون انتظرونا لأنا مشاة ولا نستطيع لحوقكم»[٨٤٩].

وقال السمين الحلبي: «ويجوز أن يكون من النظر وهو الإبصار؛ لأنهم إذا نظروا إليهم إستقبلوهم بوجوههم، فيضيءُ لهم المكان»[٨٥٠]. وقال الدكتور محمد محيسن: «بالقطع من الإنظار وهو الإمهال، وبالوصل من (نظر) بمعنى أنتظر، ويجوز أن يكون من النظر وهو الإبصار»[٨٥١].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر لنا كيف يكون حال المنافقين والمنافقات، وذلك أنهم لا يستطيعون المشي على الصراط، وذلك لعدم وجود النور الذي يمشون به، فيطلبوا من المؤمنين أن ينتظروهم، أو يتمهلوا في سيرهم، ولا يسرعوا حتى يتمكنوا من اللحاق بهم، أو ينظروا إليهم؛ وذلك لأن النور بين أيدي المؤمنين، فإذا استقبلوهم بوجوههم استفاد المنافقون من هذا النور.

٧ ـ **قال تعالى**: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٤].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (الأَمَانيْ) بتخفيف الياء وسكنوها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلْأَمَانِىُّ﴾ بتشديد الياء مع ضمها[٨٥٢].

(٨٤٩) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٢١ (بتصرف).
(٨٥٠) الدر المصون ج٦ ص٢٧٦.
(٨٥١) المستنير ج٣ ص١٥٥ (بتصرف).
(٨٥٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٤.

المعنى اللغوي للقراءتين:

تمنَّى الشيء أراده وهو من المَنَىٰ أي القدر(٨٥٣).

التفسير:

لا يزال المنافقون يبذلون جهدهم لمحاولة الوصول إلى درجة المؤمنين، فالصدمة التي تَلَقَّوْهَا تحتاج منهم إلى وقت حتى يستوعبوا ما يحصل لهم، فلقد كان الشيطان يزرع في نفوسهم الأماني بأن الله تعالى سيرحمهم، ونفوسهم المريضة صدقت ذلك. فلقد حاولوا أن يلتمسوا من نور المؤمنين فلم يفلحوا، وقيل: لهم ارجعوا. ثم ضُرب بينهم بسور ليتمَّ الفصل بينهم وبين المؤمنين وحصل ذلك، فلم يقطع المنافقون الأمل فأخذوا ينادون على المؤمنين من خلف السور، ويسألونهم ألم نكن معكم نصوم ونصلي؟ فأجابهم المؤمنون: الجواب الحاسم والنهائي بأنكم كنتم تفعلون ذلك مَكْرَاً وخديعةً ليس لأجل الله تعالى.

قال الصابوني: «أي قال لهم المؤمنون نعم كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم أهلكتم أنفسكم بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي انتظرتم بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في أمر الدين ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ أي خدعتكم الأماني الفارغة بسعة رحمة الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي جاء الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ أي وخدعكم الشيطان الماكر بقوله: إن الله عفو كريم لا يعذبكم»(٨٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف، على معنى أن هذه الأماني؛ وهي تخيُّلاتهم بأنهم سيفلتون من عقاب الله أو بأن رحمة الله ستكون من حظهم قد غرَّتهم، وكانت سبباً في خسرانهم.

---

(٨٥٣) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٧٧٧.

(٨٥٤) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٦.

أما القراءة بالتشديد وضم الياء، فقد أوضحت مدى قوة تلك الأماني والأوهام والأباطيل التي كانت تسكن في عقولهم وقلوبهم لدرجة أنها أقنعتهم بصواب ظنِّهم، وخدعتهم حتى أوصلتهم إلى طريق الخسران والهلاك. ودل على ذلك التشديد الذي هو للمبالغة، وحركة الضم القوية على نفس الحرف وهو الياء.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر كيف كان هؤلاء المنافقون هائمين في الضلال، ومتبعين للأهواء والظنون، بأن الله تعالى سيشملهم في رحمته، فكانت أمانيّهم قوية، وحاضرة في عقولهم وقلوبهم بقوة، ومن قوتها اعتقد هؤلاء فعلاً أنهم سينجون إلا أنها لم تكن سوى خدعة من خدع الشيطان.

٨ ـ **قال تعالى:** ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب (تُؤْخَذُ) بالتاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُؤْخَذُ﴾ بالياء(٨٥٥).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الأخذ خلاف العطاء، وقد مضى بيانها في أول هذه السور(٨٥٦).

التفسير:

لا يزال المؤمنون يؤكدون للمنافقين بأنهم لن يفلتوا من عذاب الله وعقابه، ولن يستطيعوا أن يَفْدُوا أنفسهم على الإطلاق مهما كان نوع وحجم

(٨٥٥) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٦١، والنشر ج٢ ص٢٩٢.

(٨٥٦) انظر: ص٢٦٧.

هذه الفدية. فلا تؤخذ منكم ولا من الذين كفروا، وَذِكْرُ الكافرين في هذا الموضع يضع المنافقين والكافرين في كفة واحدة؛ وذلك لأنهم كانوا يعملون لحساب وصالح الذين كفروا، وينفذون سياستهم، ويخدمون مصلحتهم، ولعلَّ تَرْكِ المجال للمؤمنين للردّ على المنافقين هنا وإخبارهم بما ينتظرهم من النار والعذاب والثبور. ذلك بسبب ما كان يجده المؤمنون من المكر الشديد، والتربص والبأس من هذه الفئة الضالة المجرمة، التي كانت تعمل ليل نهار على الفتك بالمؤمنين؛ لذلك أسلمهم الله الزمام للرد على المنافقين.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمنين لأهل النفاق، بعد أن ميَّز بينهم في القيامة ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أيها المنافقون ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ يعني عوضاً وبدلاً يقول: لا يؤخذ ذلك منكم بدلاً من عقابكم وعذابكم، فيخلصكم من عذاب الله ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يقول: ولا تؤخذ الفدية أيضاً من الذين كفروا»[٨٥٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتاء (تؤخذ) لتأنيث الفدية، أي لأن الفدية مؤنث، استخدم التأنيث في الفعل (تؤخذ).

أما القراءة بالياء في الفعل، فهي إما لأن التأنيث فيها مجازي غير حقيقي، فردّه على الأصل، أو لأجل التفرقة بين الفعل والفدية.

قال ابن عادل: «(تؤخذ) بالتأنيث للفظ الفدية، وبالياء من تحت؛ لأن التأنيث مجازي»[٨٥٨].

وقال مكي القيسي: «بالتاء لتأنيث الفدية، وبالياء لأجل التفرقة بين الفعل والفدية»[٨٥٩].

(٨٥٧) جامع البيان ج٩ ص٧٨٩٣.
(٨٥٨) اللباب ج١٨ ص٤٧٦ (بتصرف).
(٨٥٩) الكشف ج٢ ص٣٠٩، ٣١٠ (بتصرف).

وقال ابن خالويه: «فمن ذكَّر قال: تأنيث الفدية غير حقيقي ومن أنث رده على اللفظ»[(٨٦٠)].

ويرى الباحث أن التعبير بالتاء الحاضرة له دلالات غير موجودة في التعبير بالياء الغائبة، بمعنى أن القصد من التعبير والقراءة بالتاء أن هذه الفدية لا تؤخذ أبداً حتى ولو كانت حاضرة عندكم حينها، وموجودة بين أيديكم. وهذه إشارة لقطع الأمل في حصول ذلك، والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتضح بأن هؤلاء المنافقين لا يمكن أن يفدوا أنفسهم بأي نوع من أنواع الفدية ولو كانوا يملكونها، ولو كانت حاضرة بين أيديهم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿نَزَلَ﴾

١ ـ قرأ نافع وحفص ﴿نَزَلَ﴾ مخففاً.

٢ ـ وقرأها الباقون (نَزَّل) بالتشديد[(٨٦١)].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾

١ ـ قرأها رويس (ولا تَكُونُوا) بالخطاب.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ بالغيب[(٨٦٢)].

(٨٦٠) إعراب القراءات ج٢ ص٣٥٢ (بتصرف).

(٨٦١) انظر: تحبير التيسير ص٢١٥، والبدور الزاهرة ص٣٩٥.

(٨٦٢) انظر: تقريب النشر ص٢٥٣.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(نزل)** النزول هو الحلول وهو النزول من علو إلى أسفل(٨٦٣).

ب ـ **(يكونوا)** كان إذا جعلته عبارة عمَّا مضى من الزمان احتاجَ إلى خبر؛ لأنه دلَّ على الزمان فقط، تقول: كان زيدٌ عالماً. وإذا جعلته عبارة عن حدوث الشيء ووقوعه. استَغنى عن الخبر، لأنه دلَّ على معنى وزمان. تقول: كان الأمرُ وأنا أعرفه مُذْ كان أي مذ خُلِقَ(٨٦٤).

التفسير:

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الشوط امتداد لموضوع السورة الرئيس: تحقيق حقيقة الإيمان في النفس حتى ينبثق عنها البذل الخالص في سبيل الله وفيه من موحيات الإيمان، ومن الإيقاعات المؤثرة، قريب مما اشتمل عليه الشوط الأول بعد ذلك المطلع العميق المثير. وهو يبدأ برنَّة عتاب من الله سبحانه للمؤمنين الذين لم يصلوا إلى تلك المرتبة التي يريدها الله لهم، وتلويح لهم بما كان من أهل الكتاب قبلهم من قسوة في القلوب، وفسق في الأعمال، وتحذير من هذا الحال الذي انتهى إليه أهل الكتاب بطول الأمد عليهم مع إطماعهم في عون الله الذي يحي القلوب كما يحي الأرض بعد موتها»(٨٦٥). وقال الألوسي: «في ذلك استئناف لعتاب المؤمنين على الفتور والتكاسل فيما نُدبوا إليه، والمعاتَب طائفة من المؤمنين وإلا فمنهم من لم يزال خاشعاً منذ أسلم إلى أن ذهب إلى ربه»(٨٦٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ **(وما نزل)**

---

(٨٦٣) انظر: ص٢٦٩.
(٨٦٤) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٢٦.
(٨٦٥) الظلال ج٦ ص٣٤٨٨.
(٨٦٦) روح المعاني ج١٤ ص١٧٩.

أفادت القراءة بالتخفيف، على معنى ألم يحين الوقت حتى يستجيبوا لذكر الله، وللقرآن الذي نزل. فإضافة الفعل للقرآن في عملية النزول.

أما القراءة بالتشديد، فقد دلت على أن هذا النزول كان بفعل إرادة الله تعالى. فالله تعالى هو الذي نزَّله، كذلك فإن القراءة بالتشديد، تفيد بتكثير النزول، وهذا واضح في نزول القرآن حيث إنه نزل منجماً في مرَّات كثيرةٍ ومتعددةٍ.

قال السمرقندي: «بالتشديد على معنى التكثير والمبالغة»[٨٦٧]. وقال ابن عطية: «(نزَّل) بشد الزاي على معنى نزل الله من الحق»[٨٦٨].

وقال أبو منصور: «من قرأ ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ فهو من نزل ينزل نزولاً، ومن قرأ (وما نزَّل من الحق) فالفعل لله. أي وما نزَّل الله من الحق»[٨٦٩]. وقال الدكتور محمد محيسن: «بتشديدها إشارة إلى تكثير النزول»[٨٧٠].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هذا القرآن الذي نزل إنما هو نزل بفعل وإرادة الله تعالى، وكان نزوله كثيراً ومتعدداً، أفلم يحن الوقت لإيمانهم؟!

ب ـ (ولا يكونوا)

أفادت القراءة بالغيبة جرياً على ما تقدم في السياق، أي تماشياً مع الكلمات التي جاءت بلفظ الغيبة.

أما القراءة بالتاء فقد جاءت على سبيل الالتفات من الغيبة إلى

(٨٦٧) بحر العلوم ج٣ ص٣٢٦.

(٨٦٨) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٦٤.

(٨٦٩) معاني القراءات ج٣ ص٥٥.

(٨٧٠) المستنير ج٣ ص١٥٧.

الخطاب، اعتناء بالتحذير، وجعله حاضراً قائماً ليكون أبلغ في الزجر. قال بذلك الألوسي(٨٧١)، والشوكاني(٨٧٢).

كما أن القراءة بالتاء على الإلتفات، تبرز الجانب البلاغي الذي تقدمه لنا القراءات القرآنية.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يَنْهَى الله تعالى عباده المؤمنين من أن يكون حالهم مثل حال أهل الكتاب وحذرهم تحذيراً بيّناً من فعل ذلك بإسلوبٍ بلاغيٍ مُتْقَن.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد: ١٨].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وشعبة (المصَدِّقين والمصَدِّقات) بتخفيف الصاد فيهما.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ بالتشديد فيهما(٨٧٣).

ب ـ قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (يضعّف) بحذف الألف وتشديد العين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُضَٰعَفُ﴾ بإثبات الألف وتخفيف العين(٨٧٤).

---

(٨٧١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٨٠ ـ ١٨١.
(٨٧٢) انظر: فتح القدير ج٥ ص٢٠٦.
(٨٧٣) انظر: التيسير في القراءات السبع ص١٦٩، والشامل في القراءات المتواترة ص٢٦٢.
(٨٧٤) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٥.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(المصدقين والمصدقات)** الصِدْقُ خلاف الكذب. وقد صَدَقَ في الحديث، وصَدَقَهُ الحديث وصَدَقوهُم القتال، وتصادقا في الحديث وفي المودَّة، والمُصَدِّقُ: الذي يُصَدِّقك في حديثك، والمتصدق الذي يعطي الصدقة[٨٧٥].

ب ـ **(يضاعف)** الضَعْفُ والضُعْفُ خلاف القوة. وقد ضَعُفَ فهو ضعيفٌ، وأضعفه غيره وقوم ضعاف وضُعَفَاءُ وضَعَفَةٌ، واستضعفه أي عدَّه ضعيفاً، وقد مضى بيانها في أول السورة[٨٧٦].

التفسير:

وذِكْرُ الصَّدَقَة هنا بعد الحث على الخشوع، والتحذير من قسوة القلوب مناسب؛ وذلك لأن الإنفاق في سبيل الله والتصدق بالمال، والبعد عن قسوة القلوب، كل ذلك هو من دلائل الخشوع لله رب العالمين.

قال البقاعي: «من أعظم ما دل على الخشوع المحثوث عليه والبعد عن حال الذين أوتوا الكتاب في القسوة: الصدقة بالإنفاق الذي قرنه في أولها بالإيمان، وحث عليه في كثير من آياتها تنبيهاً على أنه ثمرته التي لا تخلف عنه»[٨٧٧].

وقال الصابوني: «في قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي يضاعف لهم ثوابها بأن تكتب الحسنة بعشر أمثالها، ولهم فوق ذلك ثواب حسن جزيل وهو الجنة»[٨٧٨].

(٨٧٥) انظر: الصحاح في اللغة ص٥٩٦.

(٨٧٦) انظر: ص٢٧٣.

(٨٧٧) نظم الدرر ج٧ ص٦٩٠.

(٨٧٨) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ (المصدقين والمصدقات)

أفادت القراءة بالتشديد، على إرادة المتصدقين الذين يتصدقون بأموالهم. أما القراءة بالتخفيف فقد أفادت معنى التصديق الذي هو بمعنى الإيمان، وهم الذين صدقوا الله ورسوله. قاله الطبري[(٨٧٩)]، وابن الجوزي[(٨٨٠)]، والبيضاوي[(٨٨١)]، والكرماني أيضاً[(٨٨٢)]، وغيرهم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هؤلاء المتصدقين الذين ينفقون أموالهم، إنما هم مصدقون ومؤمنون بالله ورسوله وبالبعث والجزاء، وينفقون أملاً في رحمة الله وتحصيل ثوابه وجنته.

أ ـ (يضاعف)

كلا القراءتين أفادتا بأن الله ﷻ سيضّعف ويضاعف العمل الصالح بمعنى سيزيده في الكمّ والثواب حتى يجعله أمثال ما عمل العبد، فالقراءة بدون ألف مع تشديد العين (يضعّف) تفيد جعل الشيء أمثاله، والقراءة باثبات الألف وبدون تشديد أيضاً أفادت جعل الشيء أمثاله. ولقد أورد الإمام الرازي: أن التضعيف: أن يزاد على أصل الشيء فيجعله مثلين أو أكثر، وكذلك الإضعاف والمضاعفة يقال ضعّف الشيء تضعيفاً وأضعفه وضاعفه بمعنىً[(٨٨٣)].

وهذا الذي ذكره الرازي صحيح إلا أن هذا لا يمنع من إيجاد فرق ما

---

(٨٧٩) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٨٩٦.
(٨٨٠) انظر: زاد المسير ص١٣٩٩.
(٨٨١) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٣٠١.
(٨٨٢) مفاتيح الأغاني ص٣٩٥.
(٨٨٣) مختار الصحاح ص٢١٣.

ولو كان دقيقاً بينهما ومفيداً أيضاً، وعلى ذلك يمكن القول: بأن القراءة بدون ألف مع تشديد العين (يضعَّف) أفادت المبالغة في الفعل؛ لوجود التشديد والتشديد للمبالغة كما بيَّنا ذلك مراراً، إلا أن القراءة بإثبات الألف مع المد جاءت للمبالغة والزيادة، وذلك أن المد يفيد المبالغة، وإطالة زمن الصوت يعني الزيادة، فهو للمبالغة والزيادة في الفعل، كذلك لو قمنا بِعَدِّ أحرف القراءتين لوجدنا أن أحرف القراءة بدون ألف مع التشديد (يضعَّف) هيَ خمسة أحرف، وهي: (ي، ض، ع، ع، ف)، وذلك مع اعتبار وعَدَ الحرف المشدد حرفين على الأصل؛ ولو قمنا بِعَدّ أحرف القراءة بإثبات الألف مع المد وبدون تشديد (يضاعف) لوجدناها خمسة أحرف كذلك وهي: (ي، ض، ا، ع، ف). فكلا القراءتين حروفها خمسة، ولكن هناك ميزة زائدة في القراءة الثانية (يضاعف)، وهي أن الألف يلحقها مد والمد زيادة لصالح القراءة الثانية على الأولى، وهذه الزيادة لها مدلولها وهو: إذا كانت القراءة بالتشديد أفادت جعل العمل أمثاله في الكم والأجر، فإن القراءة بالألف مع المد دلت أن هذه الزيادة لا تقف إلى حد، فهي زيادة مطردة لا محدودة بإذن الله تعالى، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

فهي أضعاف لا تعد ولا تحصى، وكذلك ما قاله أبو بكر الجزائري في تفسيره لهذه الآية: عند قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ﴾ قال: «أي القرض الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلى ألف ألف»(٨٨٤).

وقد ورد تفصيل آخر ومبيَّن لمثلها في أول السورة(٨٨٥).

١١ ـ قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٌ وَلَهۡوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ

(٨٨٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥ ص٢٦٩ / مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ـ ط الثالثة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م / وحيثما ذكرته بعد ذلك سأكتفي بالقول: أيسر التفاسير.

(٨٨٥) انظر ص٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥.

مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

القراءات:

١ - قرأ شعبة (ورُضْوَان) بضم الراء.

٢ - وقرأها الباقون ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ بكسر الراء(٨٨٦).

المعنى اللغوي للقراءتين:

رضيَ يَرْضى رِضيَ ورِضَاءَ بالمدّ أيضاً، والرّضا: المرضِيُ ويُقال: مَرْضُو والمراضاة والرَّاضون واحد، وتم بيانها سابقاً عند تفسير سورة الفتح(٨٨٧).

التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة للتحذير من متاع الدنيا وزخرفها، فهذا المنغمس في زهرة الدنيا ولذائذها يكاد ينشغل فيها أيّما انشغال، ليس معه الهدف الذي جاء من أجله إلى هذه الدنيا، وهو عبادة الله تعالى، والتقرب إليه، فتراه يبخل بما في يديه عن الإنفاق. لذا جاءت هذه الآية لتهزّ القلوب والعقول المنشغلة والمقصرة، وتضعهم أمام الحقيقة الكبرى التي لا مناص منها ولا خلاص، وهي أن كل ما ترونه من زخرف هذه الدنيا، هو متاع زائل بائد؛ وإذا كان الأمر كذلك فبادروا باستغلال هذا المتاع وصرفه في الوجه الحسن الذي على رأسه: الإنفاق في سبيل الله تعالى والتصدق. لذا كان مناسباً مجيءُ هذا التوضيح بعد الآية التي تدعو وترغِّب في الصدقة.

قال ابن عاشور: «أعقب التحريض على الصدقات والإنفاق بالإشارة إلى دحض سبب الشح، إنه الحرص على استبقاء المال لإنفاقه في لذائذ

---

(٨٨٦) انظر: غيث النفع ص٥١٨.

(٨٨٧) انظر: ص٤٣.

الحياة الدنيا، فضرب لهم مثل الحياة الدنيا بحال محقرة على أنها زائلة، تحقيراً لحاصلها، وتزهيداً فيها؛ لأن التعلق بها يعوق عن الفلاح»(٨٨٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالكسر على أنها اسم، أما القراءة بالضم فهي مصدر. وقد مضى بيانها سابقاً، وإظهار الفرق بين القراءتين عند تفسير سورة الفتح(٨٨٩).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يبيّن الله ﷻ أن ما ينتظره المؤمن في جنته ليس فقط هو دخول الجنة والنجاة من النار، ولكن هي نعم كثيرة متنوعة ومتعددة في الأصناف والأشكال والأنواع والأذواق، ودلَّ على ذلك قراءة الضم التي هي مصدر، والله تعالى أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (أَتَاكُم) بقصر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾ بمدها(٨٩٠).

المعنى اللغوي للقراءتين:

(أتاكم): أتى أتْياً، وإتْياناً، وإتْياً، ومأتى، ومأْتاةً: جاء، وأتي بمعنى

---

(٨٨٨) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٤٠٠.

(٨٨٩) انظر: ص٢٢.

(٨٩٠) انظر: الإقناع في القراءات السبع ص٤٦٩، والنشر ج٢ ص٢٩٢.

أعطى. وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الفتح[٨٩١].

التفسير:

بعد أن بيَّن الله ﷻ في الآية السابقة أن كل ما ينزل من المصائب في المال والزرع والنفس، كل ذلك مكتوب ومقضي من قبل في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقها الله ويوجدها، أخبرنا الله سبحانه أن سبب إبلاغنا بذلك حتى لا نحزن على ما يفوتنا من الخير، أو ما ينزل بنا من المصائب؛ وكذلك حتى لا يصيبنا البطر بالنعم التي أعطانا إياها ربنا تعالى.

قال الألوسي: «أي أخبرناكم بذلك؛ لئلا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من نعيم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي أعطاكموه الله تعالى منها، فإن من علم أن الكل مقدر، يفوت ما قدر فواته، ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة، لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت»[٨٩٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالمد، على معنى إعطائكم، أي بما أعطاكم الله تعالى من نعيم الدنيا وزهرتها.

أما القراءة بدون مد، فهي على معنى جاءكم بقدرة الله تعالى وإرادته، وليس بإرادتكم، والتعبير (بجاءكم) يدلّ على أن هذا الرزق والنعم التي قسمها الله لكم ستأتيكم لمكانكم الذي أنتم فيه حتى ولو لم تنهضوا لجلبها، وهذه إشارة إلى كتابة ذلك لكم في كتاب من قبل أن يخلقكم الله تعالى، فهو مقسوم لكم لا محالة.

قال الطبري: «ومعنى قوله ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ إذا مدت الألف منها: بالذي أعطاكم منها ربكم وملككم وخولكم، وإذا اقتصرت الألف فمعناها:

---

(٨٩١) انظر: ص٢١.

(٨٩٢) روح المعاني ج١٤ ص١٨٧.

بالذي جاءكم منها»[٨٩٣].

وقال الشيخ أحمد البنا: [بقصر الهمزة من الإتيان أي بما جاءكم وفاعله ضمير (ما) وبالمد من الإيتاء أي بما أعطاكم الله إياه فاعله ضمير اسم (الله) المقدم][٨٩٤].

ويرى الباحث أنه يجوز أن يكون المعنى في قوله آتاكم بيان كثرة حصول النعم وتعددها، ودل على ذلك المد في الكلمة، الذي هو عبارة عن طول زمن الصوت، الذي يدل على الكثرة والمبالغة، والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هذه النعم التي وهبها الله لكم مكتوبة في كتاب قبل خلقكم، وهي ستصيبكم، وستأتيكم سواء نَهَضْتُم لِجَلْبِهَا، أم لم تنهضوا، وهي نعم كثيرة ومتعددة.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾

١ ـ قرأ حمزة والكسائي (بالبَخَل) بفتح الباء والخاء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ بضم الباء وإسكان الخاء[٨٩٥].

ب ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ﴾

١ ـ قرأ المدنيان وابن عامر بغير (هو).

---

(٨٩٣) جامع البيان ج٩ ص٧٩٠١.

(٨٩٤) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٢٣.

(٨٩٥) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٣٧٦.

٢ ـ وقرأ الباقون بزيادة (هو)[٨٩٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(البخل)** البُخْل والبَخَل لغتان وقرىء بهما، والبَخْل والبُخول ضد الكرم، وقد بَخِلَ يَبْخَل بُخْلاً وبَخَلاً فهو باخِلٌ ذو بُخْل والجمع بُخّال، وبخيل والجمع بُخَلاء[٨٩٧].

وقال الرازي: «والبُخْل والبَخْل بالفتح والبَخَل بفتحتين كله بمعنى»[٨٩٨].

ب ـ **(هو)** ضمير للغائب المفرد المذكر. ويقال للمثنى: هما، وجمع المذكر: هم، ويقال للمؤنث المفرد: هي، وللمثنى: هما، وللجمع: هن، ويجوز تسكين الهاء من هو وهي بعد الواو والفاء، وبعد اللام[٨٩٩].

التفسير:

لما ذكر الله تعالى فضل الإنفاق في سبيل الله وحث عليه، وأوضح أنه سبحانه لا يحب كل مختال فخور، وهو المتكبر المتعجب بما أعطاه الله من حظوظ الدنيا.

بيَّن الله ﷻ صفة هؤلاء المذمومين، وهي البخل. وليس ذلك فحسب، بل يأمرون غيرهم بهذه الصفة الذميمة.

قال الصابوني: «أي يبخلون بالإنفاق في سبيل الله، ولا يكفيهم ذلك حتى يأمروا الناس بالبخل ويُرَغِّبُونَهُم في الإساءة، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾

---

(٨٩٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢.

(٨٩٧) انظر: لسان العرب ج١١ ص٤٧.

(٨٩٨) مختار الصحاح ص٣٤.

(٨٩٩) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٨٧٥.

أي ومن يعرض عن الإنفاق، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي فإن الله مستغن عنه وعن إنفاقه، محمودٌ في ذاته وصفاته، لا يضره الإعراض عن شكره، ولا ينفعه طاعة الطائعين، وفيه وعيد وتهديد»[900].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ بالبخل

المفسرون وعلماء القراءات وحتى اللغة قالوا: إن المعنى في كلا القراءتين واحد، وهي من اللغات العربية.

قال الرازي: «والبُخْل والبَخْل بالفتح والبَخَل بفتحتين كله بمعنى»[901].

وقال السمرقندي: «قرأ حمزة والكسائي ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ بنصب الخاء والباء، وقرأ الباقون: بضم الباء وإسكان الخاء ومعناها واحد»[902]. وقال ابن زنجلة: «وهما لغتان مثل الرشد والرشد»[903].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يبيّن الله تعالى لنا أوصاف هؤلاء البَطِرِيْن بما آتاهم الله من نعيم الدنيا وحظوظها، وكيف هم رغم ذلك كله يبخلون بما آتاهم الله تعالى.

ب ـ (فإن الله هو الغني الحميد)

أفادت القراءة بحذف (هو)، على معنى أن الله تعالى الغني الذي لا يفتقر إلى أحد أبداً، فهو متصف بهذه الصفة.

أمّا القراءة بإثبات (هو)، فقد أفادت بأن الله تعالى هو الغني دون

---

(900) صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٠، ٣١١ (بتصرف).

(901) مختار الصحاح ص٣٤.

(902) بحر العلوم ج٣ ص٣٢٩.

(903) حجة القراءات ص٧٠٢.

الخلائق، بمعنى أنه هو وحده الغني تخصيصاً لا غيره، فلا يختص بهذه الصفة أحدٌ غيره.

قال أبو منصور: «من قرأ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ فهو عماد، ويسميه البصريون فصلاً، ومعناه أن الله تعالى هو الغني دون الخلائق؛ لأن كل غني إنما يغنيه الله تعالى، وكل غني من الخلق فقير إلى رحمة الله تعالى. ومن قرأ (إن الله الغني الحميد) فمعناه أن الله الغني الذي لا يفتقر إلى أحد»(٩٠٤).
وقال مكي: «واثبات (هو) بيِّن في التأكد وأعظم في المعنى»(٩٠٥).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن الله تعالى غني لا يفتقر إلى أحد أبداً، فهو متصف بهذه الصفة، وهذا الغِنَى الذي اتصف به الله ﷻ هو خاصٌّ به دون أحدٍ من خلقه فهو الغنيُّ ولا أحد غيره.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ البصري (رُسْلنا) بإسكان السين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿رُسُلَنَا﴾ بضمها(٩٠٦).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الرَّسَل القطيع من كل شيء والجمع أرسال(٩٠٧). وجاء في تاج

---

(٩٠٤) معاني القراءات ج٣ ص٥٧.
(٩٠٥) الكشف ج٢ ص٣١٢.
(٩٠٦) انظر: غيث النفع ص٥١٩، والبدور الزاهرة ٣٩٥.
(٩٠٧) انظر: لسان العرب ج١١ ص٢٨١.

العروس: والرِّسْلُ بالكسر الرفقُ والتؤدةُ[٩٠٨]. وقال الإمام محمد الرازي: ورَاسَلَه في مُرَاسَلَةً فهو مُرَاسِلٌ ورَسِيلٌ وأرْسَله في رسَالة فهو مُرْسَلٌ ورَسُولٌ والجَمْع رُسْلٌ ورُسُلٌ[٩٠٩].

التفسير:

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي المعجزات والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو النقل المصدق. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ وهو العدل. وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحقَّ وعانده بعد قيام الحجة عليه. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني السلاح كالسيوف والحرب والسنان والنِّصال والدروع ونحوها، وقوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي في معايشهم كالسكة والفأس والقدُوم والمنشار والإزميل والمجرفة وآلات الحراثة والطبخ والحياكة وغير ذلك.

وقوله ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي من يحمل السلاح، ونيَّته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله. وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي هو قوي عزيز ينصر من ينصره من دون احتياج منه للناس، وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض»[٩١٠].

يقول الباحث: هناك حكمة من ذكر الحديد واستخداماته في الحرب والنصرة والمنافع مع ذكر الرسالة والأنبياء، وذلك لأن نزول الرسالات والكتب على الأنبياء وإبلاغ الناس بما فيها تكون من نتائجه، أن هناك من يسمع ويؤمن ويستجيب، وهناك من يكفر ويعاند ويبادر بالمقاتلة والمعاداة، وهذا يستلزم الحرب والقتال واستخدام السيف والسلاح الذي هو من الحديد؛ لصدِّ هذا العدوان وإحقاق الحق وإبطال الباطل المتغطرس.

---

(٩٠٨) انظر: تاج العروس ج٧ ص٣٤٣.

(٩٠٩) مختار الصحاح ص١٤٢.

(٩١٠) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٣٧ (بتصرف).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإسكان الهمزة؛ للدلالة على صفة مهمة من صفات هؤلاء الأنبياء الكرماء الذين أرسلهم الله تعالى، وهذه الصفة هي التؤدة والأناة والتمهل والرفق واللين، قال أحمد الفيومي المقري: «وبعير رَسْل ليِّن السير وناقة رَسْلة»[911].

أما القراءة بضم السين ﴿رُسُلَنَا﴾، فقد أفادت الكثرة والمتابعة في الإرسال، فهم رسل كثر متتابعون، ودل على ذلك التتابع في الضمتين، كذلك فإن الرسُل بضم السين فيها معنى التتابع، قال أحمد الفيومي المقري: «ولا تراسُل في الأذان أي لا متابعة فيه»[912].

الجمع بين القراءتين:

وبعد الجمع بين القراءتين، أظهرت لنا الآية الكريمة صفة مهمة من صفات هؤلاء الأنبياء المرسلين، وهي التمهل والأناة والرفق واللين، وأن هؤلاء الرسل بعثهم الله تعالى متتابعين، وهم كُثر.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: ٢٧].

القراءات:

١ ـ قرأها السوسي وأبو جعفر (رآفة) بإبدال الهمزة في الوصل والوقف وأبدلها حمزة في الوقف فقط.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿رَأْفَةً﴾ بهمزة بغير إبدال[913].

---

(٩١١) المصباح المنير ص١٣٨.

(٩١٢) انظر: المصباح المنير ص١٣٨.

(٩١٣) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٥.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الرأفة الرحمة، وقيل: أشد الرحمة؛ رَأَفَ به يَرْأَفُ ورئِفَ ورَؤُفَ رَأْفَةً ورَآفةً.

والرأفةُ والرآفةُ مثل الكأبة والكآبة[٩١٤].

التفسير:

بعد أن بيَّن الله ﷻ أنه أرسل الأنبياء والرسل بالرسالة للناس، يعرض هنا مراحل نزول وإرسال الرسل.

قال الطبري: «يقول الله تعالى ذكره: ثم اتبعنا على آثرهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وإبراهيم برسلنا، وأتبعنا بعيسى بن مريم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته، وقوله: (رأفة) وهو أشدُّ الرِّقة ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ يقول: أحدثوها ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ يقول: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تعالى.

وقوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ والذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين ابتدعوها ولم يقوموا بها ولكنهم بدَّلوا وخالفوا دين الله تعالى الذي بعث به عيسى فتنصَّروا وتهوَّدوا. وقال البعض بل هم قوم جاءوا من بعد الذين ابتدعوها فلم يرعوها حق رعايتها لأنهم كانوا كفاراً»[٩١٥].

وقال البيضاوي: «والرهبانية التي ابتدعوها هي المبالغة في العبادة والانقطاع عن الناس»[٩١٦].

---

(٩١٤) انظر: لسان العرب ج٩ ص١١٢.

(٩١٥) جامع البيان ج٩ ص٧٩٠٤ (بتصرف).

(٩١٦) تفسير البيضاوي ج٥ ص٣٠٥.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي فأعطينا الصالحين من أتباع عيسى الذين ثبتوا على العهد وآمنوا بمحمد ﷺ ثواباً مضاعفاً.

وقوله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ أي وكثيرٌ من النصارى خارجون عن حدود الطاعة، منتهكون لمحارم الله تعالى[٩١٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون مد بمعنى أن الله تعالى جعل في قلوبهم الرحمة، أو أشد أنواع الرحمة.

أما القراءة بالمد فقد جاءت للمبالغة والتكثير، بمعنى أن هذه الصفة موجودة بكثرة وبقوة عندهم، ودل على ذلك أنها مصدر، والمصدر أبلغ من الاسم في التعبير، كذلك وجود المد الذي هو للزيادة والمبالغة.

قال ابن عادل: «(رآفة) بزنة فَعَالة»[٩١٨]، وقال الرازي: (رآفة) على فعالة»[٩١٩].

وكأن قوله تعالى: ﴿رَأْفَةً﴾ للمرة الواحدة، بينما قوله تعالى: (رآفة) مصدر يدل على المبالغة.

قال إسماعيل الحنفي: وقرئ (رآفة) على فعالة بالفتح مصدر كالشجاعة والسخاوة[٩٢٠].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يُظهِر لنا الله ﷻ مدى قوة وجود هذه الصفة لديهم، وكثرتها ومدى أصالتها في نفوسهم وقلوبهم.

تمت سورة الحديد بحمد الله تعالى وتوفيقه.

(٩١٧) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٢.
(٩١٨) اللباب ج١٨ ص٥٠٣.
(٩١٩) تفسير الرازي ج١٠ ص٤٧٣.
(٩٢٠) انظر: حاشية القونوي ج١٨ ص٤٧٥.

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة المجادلة
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة مدنية، وعدد آياتها اثنتان وعشرون آية، وهي سورة المجادلة وتلفظ بفتح الدال وكسرها، والثاني هو المعروف، وتُسمَّى سورة قد سمع، وسُمِّيت في مصحف أُبيّ رضي الله تعالى عنه الظهار، وتناولت السورة الكريمة أحكام تشريعية كثيرة، مثل حكم الظهار وما تجب على المُظَاهِر من كفارة، وحكم المتناجي، وآداب المجلس، وغير ذلك من الآداب والأحكام[٩٢١].

مناسبتها لما قبلها:

السورة الأولى وهي الحديد خُتِمت ببيان فضل الله تعالى على عباده، وافتتحت المجادلة بما هو من ذلك[٩٢٢].

(٩٢١) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص٣٢٩، روح المعاني ج١٤ ص١٩٧، صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٤، ٣١٥.

(٩٢٢) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٩٧.

الموضوع العام للسورة:

اشتملت هذه السورة الكريمة على عدد من الأحكام والآداب، وصاغت ذلك كله عبر أربعة محاور أساسية، وهي:

الأول: ابتدأت السورة بذكر قصة المرأة المجادِلة، وهي خولة بنت ثعلبة، التي ظاهر منها زوجها، فجاءت تشكو ذلك لرسول الله ﷺ ظلم زوجها لها، فقالت: أكل مالي وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، ورسول الله ﷺ يقول لها: ما أراك إلا قد حُرِّمْتِ عليه، فكانت تجادل وتقول: يا رسول الله ﷺ ما طلقني ولكنه ظاهر مني، فيرد عليها قوله السابق. ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك فاستجاب الله تعالى دعاءها، وفرَّج كربتها وشكواها. وعلى إثر ذلك تناولت موضوع كفارة الظهار، وبينت حكمها.

الثاني: تحدثت السورة في هذا المحور عن موضع التناجي، وهو الكلام في السِّر بين اثنين فأكثر، وكان هذا من أخلاق اليهود تجاه رسول الله ﷺ، ومن معه من المؤمنين؛ لإيقاع الأذية بهم، فجاءت هذه السورة لتبيِّن حكم التناجي، وحذرت منه ومن عاقبته.

الثالث: في هذا المحور تناولت السورة الحديث عن اليهود والمنافقين، وما يقومون به من أفعال شنيعة تجاه رسول الله ﷺ، فاليهود اللعناء يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، ويحيونه بتحية ملغوزة ظاهرها التحية والسلام، وباطنها المسبة والشتيمة وذلك مثل قولهم: السام عليك ويعنون به الموت، والمنافقون اتخذوا اليهود أولياء لهم من دون المؤمنين، يحبونهم وينقلون الأخبار إليهم من أسرار المؤمنين وغيره.

الرابع: هذا المحور ختمت به السورة الكريمة، وهو بيان أصل العلاقة وكيفيتها بين المؤمنين، وإقرار حقيقة الحب في الله والبغض فيه ﷻ، فهو أصل الإيمان وأوثق عرى الدين، وذلك لإظهار وبيان كيف تكون العلاقة،

وعلى أي أساس تبنى، ومن نوالي، ومن نحب، ومن نكره[٩٢٣].

١ ـ **قال تعالى**: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو البصري وهشام والأخوان[٩٢٤] وخلف (قد سمع) بإدغام الدال في السين.

٢ ـ وقرأ الباقون بدون إدغام[٩٢٥].

المعنى اللغوي للقراءتين:

السَمْعُ: سَمْعُ الإنسان، يكون واحداً وجمعاً كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]؛ لأنه في الأصل مصدرُ قولك: سَمِعْتُ الشيء سَمْعاً وسَماعاً وقد يُجمع على أسماع وجمع الأسماع أسامِعُ[٩٢٦].

التفسير:

يقول سيد قطب: تبدأ هذه السورة بصورة عجيبة من صور هذه الفترة الفريدة في تاريخ البشرية، فترة اتصال السماء بالأرض في صورة مباشرة محسوسة، ومشاركتها في الحياة اليومية لجماعة من الناس مشاركة ظاهرة. وقال: فنشهد السماء تتدخل في شأن يومي لأسرة صغيرة فقيرة مغمورة، لتقرر حكم الله تعالى في قضيتها، وقد سمع الله تعالى للمرأة وهي تحاور رسول الله ﷺ فيها، ولم تكد تسمعها عائشة رضي الله تعالى عنها وهي قريبة منها، وهي صورة تملأ القلب بوجود الله تعالى وقربه وعطفه

---

(٩٢٣) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٤، ٣١٥.

(٩٢٤) الأخوان هما حمزة والكسائي.

(٩٢٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٢٥، البدور الزاهرة ص٣٩٨.

(٩٢٦) انظر: الصحاح في اللغة ص٥٠٢.

ورعايته[٩٢٧].

نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت[٩٢٨]، وقال بعض العلماء: خويلة بنت خويلد. وقال آخرون خويلة بنت الصامت. وقال غيرهم خويلة بنت الدليج، وكانت مجادلتها رسول الله ﷺ في زوجها أوس بن الصامت، مراجعتها إياه في أمره، وما كان من قوله لها: أنت عليَّ كظهر أمي، ومحاورتها إياه في ذلك[٩٢٩].

وقوله تعالى: ﴿تُجَـٰدِلُكَ﴾ أي تراجعك الكلام في شأن زوجها وظهاره منها[٩٣٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون إدغام بمعنى أن الله تعالى قد سمع قول تلك المرأة التي جاءت تشكو زوجها للنبي ﷺ.

أما القراءة بالإدغام فقد دلت على سرعة وقوة سماع الله تعالى لهذه المرأة، مع أنها كانت تتحدث مع رسول الله ﷺ، وكانت أمُّنا عائشة رضي الله عنها في الحجرة المجاورة ولم تسمع شيئاً. ودلّ على ذلك سرعة النطق بالكلمتين، لدرجة إدغام أحدهما في الآخر، فإن كلمة سمع تتسابق مسابقة مع كلمة قد، حتى كادت أن تكون قبلها فما أن حكت المرأة حكايتها حتى سمعها الله تعالى السميع الخبير بكل شيء.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يظهر لنا مدى قدرة الله تعالى، وإحاطته بكل شيء، وبيان علمه وسمعه لكل شيء، وبكل شيء، ولو كان حديثاً بين

(٩٢٧) انظر: الظلال ج ٦ ص٣٥٠٣، ٣٥٠٤.

(٩٢٨) انظر تفسير المراغي ج١٠ ص٥.

(٩٢٩) انظر: جامع البيان ج١٠ ص٧٩٢٣.

(٩٣٠) انظر: روائع البيان ص٥٤٢.

اثنين في خفية عن الغير.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ [المجادلة: ٢].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما في الموضعين.

٢ ـ وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف (يَظَّاهَرون) بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها وتخفيف الهاء وفتحها.

٣ ـ وقرأ الباقون (يَظَّهَّرون) بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء بدون ألف بينهما[٩٣١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الظَّهر من كل شيء خلافُ البَطْن، والظهر من الإنسان من لدُن مؤخَّرِ الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره[٩٣٢]. قال الرازي: «وأَظْهَرَ الشيءَ بيَّنه. وقال: والظِّهار قول الرجل لامرأتِه أنت عليَّ كظهر أمي، وقد ظاهر من امرأتِه وتظهَّر منها وظهَّر منها تظهيراً كله بمعنى»[٩٣٣].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة يؤصل الله تعالى لحلٍّ شاملٍ وموضوعي ومنطقي لهذه القضية، ويضع حدّاً فاصلاً ونهائياً لمثل هذه المخالفات. قال سيد قطب: «فهو علاج للقضية من أساسها. إن هذا الظهار قائم على غير أصل.

(٩٣١) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢.

(٩٣٢) انظر: لسان العرب ج٤ ص٥٢٠.

(٩٣٣) مختار الصحاح ص٢٢٦.

فالزوجة ليست أُمَّاً حتى تكون محرمة كالأم. فالأم هي التي ولدت. ولا يمكن أن تستحيل الزوجة أُمَّاً بكلمة تُقَال. إنها كلمة منكرة ينكرها الواقع، وكلمة مزورة ينكرها الحق، والأمور في الحياة يجب أن تقوم على الحق والواقع، في وضوح وتحديد، فلا تختلط ذلك الإختلاط، ولا تضطرب هذا الاضطراب»(٩٣٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال أبو منصور: «من قرأ (يَظَّهَّرون) بتشديد الظاء والهاء فالأصل (يتظهَّرون) فأدغمت التاء في الظاء وشددت. ومن قرأ (يظَّاهَرون) فهو في الأصل يتظاهرون فأدغمت التاء في الظاء وشددت أيضاً. وأما قراءة عاصم (يظاهرون) فهو من ظَاهر يُظاهِر ظِهَاراً والمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ. يقال: ظَاْهَرَ الرجلُ من امرأته واظَّاهَر وتظاهر واظَّهَّر ويظَّهَّرُ منها وهو يقول لها: أنت علي كظهر أمي»(٩٣٥).

وقال مكي: «وحجة من قرأ بغير ألف والتشديد أنه جعل أصله (يتظهَّرون) على وزن يتفعَّلون وماضيه تظهَّر على وزن تفعَّل، ثم أدغم التاء في الظاء؛ لقربها منها وحسن الإدغام؛ لأنك تنقل الأضعف إلى الأقوى؛ لأن الظاء أقوى من التاء بكثير، فلما أدغمت التاء في الظاء وقع التشديد في الظاء، والتشديد في الهاء أصل، لأن الهاء عين الفعل، والفعل مضاعف العين، فالتشديد ملازم لعين الفعل.

وحجة من قرأ بألف بناه على تفاعل، فأصله تظاهروا يتظاهرون، ثمّ أدغمت التاء في الظاء على ما قدمنا فوقع التشديد في الظاء لذلك، وخففت الهاء كما كانت مخففة في تظاهر القوم يتظاهرون.

وحجة من قرأ بضم الياء مخففاً أنه بناه على ظاهر يظاهر، فلا تاء فيه

(٩٣٤) الظلال ج٦ ص٣٥٠٦.

(٩٣٥) معاني القراءات ج٣ ص٥٩.

يوجب إدغامها التشديد، فخففت الظاء لذلك، وخففت الهاء؛ لأنها مخففة في الأصل في ظاهر يظاهر»(٩٣٦).

ويرى الباحث أن هذا الذي ذكره العلماء صحيح إلا أنه لا يخفى ما في التشديد والإدغام من المبالغة، وبهذا يكون الخطاب فيه موجَّهاً للذين ظاهروا، والذين بالغوا في المظاهرة، فصدر الأمر عليهم من الله تعالى بأن الذي فعلوه من المظاهرة خطأ وغير صحيح، وليس مقبولاً على الإطلاق، ولو بالغوا في فعله فهذه المبالغة، وهذا الإصرار، لا يغير الحقيقة، وهي أن الزوجات لا يمكن أن يصبحن مثل أم الزوج. كذلك صدر الأمر إليهم بوجوب الكفارة، سواء بالغوا بذلك الفعل وأصروا عليه إصراراً شديداً أو لم يبالغوا، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما يظهر لنا بأن هذا الفعل وهو الظهار لا يغيِّر من الحقيقة القائمة شيئاً حتى ولو بالغَ أصحابُه في فعله والإصرار عليه فإن المحصلة والنتيجة هو أن الزوجة ليست مثل الأم لأن الأم هي التي ولدت.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣﴾ [المجادلة: ٣].

القراءات:

القول فيها مثل القول في الآية السابقة من ناحية كيفية قراءتها والعلاقة التفسيرية(٩٣٧).

---

(٩٣٦) الكشف ج٢ ص٣١٣.

(٩٣٧) انظر: ص٣٠٥، ٣٠٦.

المعنى اللغوي للقراءات:

الظهار هو قول الرجل لامرأته أنت عليَّ كظهر أمي وقد أوضحتُ ذلك في الآية السابقة(٩٣٨).

التفسير:

يوضح الله ﷻ حكم من أتى بهذا الفعل من الظهار، ويبيّن كيفية الرجوع عنه والتحرر من هذا الالتزام الباطل، وذلك عبر كفارة شرعها الله تعالى لهم، تكفيراً لهم عمّا فعلوه وتأديباً لهم حتى لا يعودوا إلى فعل ذلك مرة أخرى.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ أي يرجعون إلى تحليل ما حرموا على أنفسهم من المناكحة ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ فعليه تحرير رقبة ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ يتجامعا(٩٣٩). وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ أي ذلكم هو حكم الله تعالى فيمن ظاهر ليتعظ به المؤمنون، حتى تتركوا الظهار ولا تعودوا إليه(٩٤٠).

٤ ـ قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُوا۟ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر (ما تَكُون) بالتاء على التأنيث.

---

(٩٣٨) انظر: ص٣٠٥.

(٩٣٩) انظر: تنوير المقباس ص٥٤٢.

(٩٤٠) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٧.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مَا يَكُونُ﴾ بالياء على التذكير[٩٤١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾

١ ـ قرأ يعقوب (أَكْثَرُ) بالرفع.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿أَكْثَرَ﴾ بالنصب[٩٤٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (يكون) تأتي للدلالة على ما مضى من الزمان، كذلك للدلالة على حدوث الشيء ووقوعه، وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الحديد[٩٤٣].

ب ـ (أكثر) الكَثْرَةُ نقيضُ القِلة وقد كَثرَ الشيءُ فهو كَثيرٌ وقومٌ كثيرٌ وهم كثيرونَ وأَكْثَرَ الرجلُ أي كَثُرَ مالُه[٩٤٤].

التفسير:

يقرر الله ﷻ حقيقة واقعية وهي علمه المطلق بمجريات الأمور، حتى ولو كانت سرًّا بين ثلاثة من الأشخاص، أو أقل أو أكثر. وهذه الحقيقة تردع وتؤدب المخالفين، وتحثهم على الالتزام بما أمر به الله تعالى. وقد ناسب مجيء هذه الآية بعد ذكر كفارة الظهار وحدود الله؛ لأن هذا الظهار على الغالب يكون سره بين الزوج وامرأته، فيخبرهم الله تعالى بأن هذا لا يعفيهم من مسؤوليتهم، فإن كان الحاكم والقاضي لا يراهم ولا يسمع بهم، فإن الله تعالى يراهم ويسمعهم؛ لذلك وجب عليهم الانقياد والالتزام بما أمر الله تعالى به. قال ابن كثير: ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكنّ سمعه

(٩٤١) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢.

(٩٤٢) انظر: نفس المصدر السابق ج٢ ص٢٩٢.

(٩٤٣) انظر: ص٢٨٤.

(٩٤٤) انظر: الصحاح في اللغة ص٩٨٣.

أيضاً مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء[945].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ﴾: قال البغوي: «قرأ أبو جعفر بالتاء لتأنيث النجوى، وقرأ الآخرون بالياء لأجل الحائل قال: أي ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بالعلم»[946]. وقال البقاعي: «(ما تكون) بالفوقية لتأنيث النجوى إشارة إلى العلم بها، ولو ضعفت إلى أعظم حد. وبالتحتانية للحائل، ولأن التأنيث غير حقيقي»[947].

وقال الزمخشري: «وقرئ بالياء والتاء، بالياء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقي، ومِنْ فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شيء من النجوى»[948].

وقال الدكتور محمد محيسن: «وجاء تذكير الفعل وتأنيثه؛ لأن الفاعل مؤنث غير حقيقي»[949].

وعلى هذا يتضح الفرق بين القراءتين، فقد دلت القراءة بالتاء على أن النجوى مهما ضعفت وخفتت فإن الله تعالى يعلم بها وهو مطلع عليها.

أما القراءة بالياء فقد دلت على ما هو أكثر دقة، وتأكيداً بعلم الله تعالى لما هو أدق وأخفى فإذا كان الله تعالى قد علم بالنجوى ولو كانت خافية، فهو كذلك يعلم الشيء من النجوى، وشيء هنا للتبعيض، وهي للدلالة على ما هو أشد خفاءً وستراً، ودَلّ على ذلك ما قاله البغوي سابقاً حينما قال: وقرأ الآخرون بالياء لأجل الحائل بمعنى ما من شيء يناجي به

(٩٤٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٤٥.

(٩٤٦) تفسير البغوي ج٥ ص٢٠٢.

(٩٤٧) نظم الدرر ج٧ ص٤٨٨ ـ دار النشر ط ـ ٢ ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

(٩٤٨) تفسير الكشاف ج٤ ص٧٣، ٧٤.

(٩٤٩) انظر: المستنير ج٣ ص١٦٥.

الرجل صاحبيه إلا هو ﷻ رابعهم بالعلم[٩٥٠].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبرنا الله تعالى بواسع علمه، لدرجة أنه سبحانه يعلم ما يدور بين المتناجيين، الذين يسرون الحديث بينهما، فمهما كان هذا الحديث خافياً أو خافتاً أو مستوراً فإن الله تعالى يعلمه ويسمعه.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾: جاءت القراءة بالنصب على أن لا لنفي الجنس، ويجوز أن يكون (ولا أكثرَ) بالرفع معطوفاً على محل (لا) مع (أدنى)، كقولك: لا حول ولا قوة إلا بالله، بفتح الحول ورفع القوة. ويجوز أن يكونا مرفوعين على الإبتداء كقولك: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويجوز أن يكون إرتفاعهما عطفاً على محل (من نجوى) كأنه قيل: ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم[٩٥١].

قال ابن عادل: «قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ العامة على الجر عطفاً على لفظ (نجوى).

وبالرفع فيه وجهان: أحدهما: أنه معطوف على موضع (نجوى)، لأنه مرفوع و(من) مزيدة.

والثاني: (أدنى) مبتدأ و(إلا هو معهم) خبره، فيكون (ولا أكثر) عطفاً على مبتدأ، وحينئذ يكون (ولا أدنى) من باب عطف الجمل لا المفردات»[٩٥٢].

وقال ابن عاشور: «بنصب (أكثر) عطفاً على لفظ (نجوى)، وبالرفع عطفاً على محل (نجوى)، لأنه مجرور بحرف جر زائد»[٩٥٣].

(٩٥٠) تفسير البغوي ج٨ ص٥٤.

(٩٥١) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٩٠.

(٩٥٢) تفسير اللباب ج١٨ ص٥٣٣، ٥٣٤ (بتصرف).

(٩٥٣) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٢٧ (بتصرف).

وقال أبو منصور: «من قرأ: (ولا أكثرُ) بالرفع عَطَفه على موضع الرفع في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾، لأن المعنى: ما يكون نجوى ثلاثة، كما قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٨٥] أي ما لكم إلهٌ غيرهُ. ومن قرأ (ولا أكثرَ) بفتح الراء فهو في موضع خفض منسوقة على (ثلاثةٍ)»(٩٥٤).

وعلى هذا فلا فرق بين القراءتين في المعنى، والله تعالى أجل وأعلم.

٥ - قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [المجادلة: ٨].

القراءات:

١ - قرأ حمزة ورويس (وينْتَجُون) بتقديم النون على التاء مع إسكان النون وضم الجيم من غير ألف.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ﴾ بتاء ونون مفتوحتين وبعد النون ألف مع فتح الجيم(٩٥٥).

المعنى اللغوي للقراءتين:

قال الإمام محمد الرازي: «والنَّجو السِّرُّ بَيْنَ اثنين يقال: نَجَوْتُه نَجْواً أي سارَرْته وكذا نَاجَيْته وانْتَجى القَوْمُ وتَنَاجَواْ أي تَسَارُّوا، وانْتَجَاه خَصَّه بمُناجاته والاسم النَّجْوَى»(٩٥٦).

---

(٩٥٤) معاني القراءات ج٣ ص٦٠ (بتصرف).

(٩٥٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص٣٩٧.

(٩٥٦) مختار الصحاح ص٣٤٨.

التفسير:

هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى هم المنافقون، كانوا يتناجون فيما بينهم مع اليهود في خبر سرايا المؤمنين لكي يحزن ويتألم بذلك المؤمنون؛ وهؤلاء الذين ذكرناهم يقومون بهذه المناجاة مرات كثيرة ومتكررة رغم أن الله تعالى نهاهم عنها. وليس الأمر إلى ذلك الحد بل إنهم يقومون بمجموعة من الأفعال السيئة أيضاً فهم يحيون رسول الله بتحية لم يشرعها الله تعالى ويقولون له عليه الصلاة والسلام «السام عليكم» وهو الموت بدل السلام عليكم. يقولون ذلك حقداً وكفراً. وكانوا يعلمون مدى بشاعة قولهم لدرجة أنهم قالوا: لو كان محمدٌ ﷺ نبياً لعذَّبَنَا الله تعالى بما نقول. فقال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي يكفيهم عذاباً أن يدخلوا نار جهنم ويصلوا حرَّها[٩٥٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

كلا القراءتين من اللغات العربية، وهما بمعنى واحد، قال السمرقندي: «(ينتجون) (ويتناجون) هما لغتان من تناجى القوم وانتجوا»[٩٥٨].

وقال مكي وابن خالويه وأبو منصور الأزهري والدكتور محمد محيسن: معناهما واحد[٩٥٩]. وإلى ذلك ذهب ابن عطية[٩٦٠].

وعلى هذا فلا فرق بين القراءتين في المعنى والله تعالى أعلم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ

(٩٥٧) انظر: تنوير المقباس ص٥٤٣، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣١٩.

(٩٥٨) بحر العلوم ج٣ ص٣٣٥ (بتصرف).

(٩٥٩) انظر: الكشف ج٢ ص٣١٤، والحجة في القراءات ص٣٤٣، ومعاني القراءات ج٣ ص٦٠، والمستنير ج٣ ص١٦٦.

(٩٦٠) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٢٧٦.

وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰٓ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المجادلة: ٩].

القراءات:

١ - قرأ رويس (فلا تَنْتَجُون) بتقديم النون على التاء فينطق بتاء مفتوحة فنون ساكنة فتاء مفتوحة فجيم مضمومة.

٢ - والباقون ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ﴾ بتاء ونون مفتوحتين وبعدها ألف وفتح الجيم(٩٦١).

المعنى اللغوي للقراءتين:

النَّجو السِّرُّ بَيْنَ اثنين يقال: نَجَوْتُه نَجْواً أي سارَرْتَه. وقد بيناها في الآية السابقة(٩٦٢).

التفسير:

إذا كان الله ﷻ قد نهى المنافقين واليهود عن النجوى بالإثم والعدوان لما له من ضرر على النفوس والقلوب، وتسببه في إحداث الحزن والألم، فهو أيضاً ينهى المؤمنين عن القيام بفعل ذلك من باب أولى، ثم أمرهم الله ﷻ أن يقصروا تناجيهم على ما كان به طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ، وما كان فيه فعل خير، فأمرهم بالبر الذي هو ضد العدوان، وأمرهم بالتقوى الذي يُتَّقَى به من النار من فعل للطاعات وترك للمعاصي. يقول الفخر الرازي: «وأعلم أن القوم متى تناجوا بما هذه صفته يعني التناجي بالخير فقد قلت مناجاتهم، لأن هذا الكلام يستلزم الإظهار وليس التناجي»(٩٦٣).

(٩٦١) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص٣٩٧.

(٩٦٢) انظر: ص٣١٢.

(٩٦٣) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٩٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

كلتاهما بمعنى واحد، والقول فيهما كالقول في الآية السابقة[964].

٧ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع (لِيُحزِنَ) بضم الياء وكسر الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِيَحْزُنَ﴾[965].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(ليحزن): «الحُزْنُ والحَزَنُ نقِيضُ الفرَح وهو خلاف السُّرور. وللعرب في الحُزْن لغتان إذا فَتَحُوا ثقَّلوا وإذا ضمُّوا خَفَّفُوا يقال: أصابه حَزَنٌ شديد وحُزْنٌ شديد»[966].

التفسير:

وتأكيداً لسوء هذا الفعل، يبيّن الله ﷻ بأن هذا الفعل هو من عمل الشيطان ووسوسته وكيده فلا يجدر بالمؤمنين أن يقوموا به. كذلك يبيِّن الله ﷻ بأن كل ما يقوم به الشيطان من مكر وكيد لن يتم إلا بإذن الله تعالى؛ لذلك فإن التوجه للنجاة من هذا الحزن ومن إفرازات هذا الفعل يكون إلى الله تعالى، فهو سبحانه الكافي وهو الحسيب الذي يلجأ إليه العباد، طلباً للنجاة من كل ضيق، ومن كل حزن وكرب. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ يعني نجوى المنافقين مع اليهود دون المؤمنين التي هي تقصد

---

(٩٦٤) انظر: ص٣١٢.

(٩٦٥) انظر: غيث النفع ص٥٢١.

(٩٦٦) لسان العرب ج١٣ ص١١١، ١١٢.

وترمي إلى إحزان المؤمنين ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي من طاعة الشيطان وبأمر الشيطان أو من تزيينه لهذا الفعل[٩٦٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة (ليُحزِن) بضم الياء وكسر الزاي على معنى أن الشيطان يسعى من وراء هذا التناجي إلى إحزان الذين آمنوا، فعلى هذا يكون الشيطان هو الفاعل، والمؤمنون مفعول به.

أما القراءة ﴿لِيَحْزُنَ﴾ بفتح الياء وضم الزاي فقد أفادت أن الفاعل هم المؤمنون بمعنى أنهم هم يحزنون بسبب هذا الفعل.

قال محمد طنطاوي: «﴿لِيَحْزُنَ﴾ بفتح الياء وضم الزاي مضارع حزن، فيكون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فاعلاً، والحزن: الهم والغم. أي زين الشيطان للمنافقين هذه النجوى السيئة لكي يحزن المؤمنون ويغتموا بسبب ظنهم أن من وراء هذه النجوى أخباراً سيئة تتعلق بهم أو بذويهم.

وقال: (لِيُحْزِنَ) بضم الياء وكسر الزاي، فيكون (الذين آمنوا) مفعولاً. أي فعل الشيطان ما فعل مع المنافقين، لكي يُدخِلَ الحزن والغم على المؤمنين»[٩٦٨]. وقال بمثل ذلك ابن عطية أيضاً[٩٦٩].

ويرى الباحث: أن ما ذهب إليه ابن عاشور بقوله: أنهما لغتان، لا يمنع إيجاد الفرق بينهما نحو الذي ذكرناه والله تعالى أعلم[٩٧٠].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتضح بأن الشيطان هو الذي يُزيِّن للمنافقين،

(٩٦٧) انظر: تفسير مقاتل ج٣ ص٣٣٢، وتنوير المقباس ص٥٤٣.

(٩٦٨) التفسير الوسيط ج١٤ ص٣٣٢.

(٩٦٩) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٢٧٨.

(٩٧٠) انظر: التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٣٥.

ويشجعهم على القيام بهذا الفعل، وهو النجوى وذلك ليُنْزِل الحزن في قلوب المؤمنين.

٨ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾

١ ـ قرأ عاصم ﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ بألف على الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون (في المجْلِس) بغير ألف على التوحيد(٩٧١).

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾

١ ـ قرأ المدنيان والشامي وحفص وشعبة بخلف عنه ﴿ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ بضم الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون (انشِزوا فانشِزوا) بكسر الشين، ومن ضم الشين ضم الهمزة ابتداءً ومن كسرها كسر الهمزة ابتداءً(٩٧٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(المجالس)** الجُلوسُ القعود جَلَسَ يَجْلِسُ جلوساً فهو جالس من قوم جُلُوسٍ وجُلَّاس وأَجْلَسَه غيره والجِلْسَةُ الهيئة التي تَجْلِسُ عليها بالكسر. والمجلس موضع الجلوس(٩٧٣).

ب ـ **(انشزوا فانشزوا)** النَشْزُ والنَشَزُ المَتْنُ المرتفعُ من الأرض، وهو

(٩٧١) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٦، والنشر ج٢ ص٢٩٣.

(٩٧٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٧.

(٩٧٣) انظر: لسان العرب ج٦ ص٣٩.

أيضاً ما ارتفع من الوادي إلى الأرض، وليس بالغليظ والجمع أَنْشَازٌ ونُشُوزٌ، وأَنْشَزَ الشيءَ رفعه عن مكانه، وإنشاز عظم الميت رَفْعُها إلى مواضعها وتركيبُ بعضها على بعض(٩٧٤).

التفسير:

لما نهى الله ﷻ عباده المؤمنين عما يكون سبباً للتباغض والتنافر، وأمرهم بما يصير سبباً لزيادة المحبة والمودة، وهو التوسع في المجالس، بأن يوسع ويفسح بعضهم لبعض وعدم التضايق فيه(٩٧٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ أي وإذا قيل لكم أيها المؤمنون انهضوا من المجالس التي أنتم تجلسون بها، وقوموا لتوسعوا لغيركم فارتفعوا منه، وقوموا طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وتقديراً واحتراماً لنفوسكم(٩٧٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾

أفادت القراءة بالإفراد (المجلس) على إرادة مجلس النبي ﷺ وهو المكان الذي يجلس فيه الرسول ﷺ مع أصحابه.

أما قراءة الجمع (المجالس) فقد جاءت للدلالة على مكان جلوس كل واحد من الجالسين فإذا كان المكان العام الذي يجمع الرسول ﷺ مع صحابته الكرام مجلساً؛ فإن المجالس مكان جلوس كل واحد منهم على حدة. وعلى هذا يكون المراد من الخطاب ومن الأمر أن يجلسوا في مجلس النبي ﷺ متفسحين، كل واحد منهم رضي الله تعالى عنهم يفسح للآخر.

---

(٩٧٤) لسان العرب ج٥ ص٤١٧، ٤١٨.

(٩٧٥) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٢٠، وروائع البيان ص٥٤٣، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص٣١٤.

(٩٧٦) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٢٢.

وإذا فسح كل واحد للآخر أصبح المجلس العام وهو مكان جلوسهم جميعاً فسيحاً واسعاً غير ضيق، وأصبحوا هم غير متضايقين فيه. ولعل في هذا إشارة لمراعاة شعور الذين يحبُّون أن يجلسوا عند رسول الله ﷺ ويرونه وجهاً لوجه. فإذا جاء أحدهم فوجد من يفسح له كان ذلك أدباً وخلقاً حسناً، وفي هذا تربية وصقل لنفس المؤمنين؛ ليسع بعضهم بعضاً، ويحترم بعضهم بعضاً، خاصة وأنهم كانوا من شدة حبهم يتضامُّون في مجلسه ﷺ حرصاً منهم، وتنافساً على القرب منه.

قال البغوي: «قراءة (في المجالس) لأن الكل جالس مجلساً، معناه ليتفَسَح كل رجل في مجلسه.

وقراءة (في المجلس) على التوحيد؛ لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ»[٩٧٧]. وأورد الفخر الرازي أن قراءة (المجلس) تدل على التوحيد؛ لأن المراد مجلس النبي ﷺ وهو واحد. أما قراءة الجمع (المجالس) فهي لأن لكل جالس مجلساً على حِدَة أي موضع الجلوس[٩٧٨]. ويجوز أن يكون المراد بـ (المجالس) أي مجالس العلماء والعلم عموماً. وبـ (المجلس) على التوحيد أي مجلس رسول الله ﷺ خاصة[٩٧٩].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتبيّن بأن التفسح ضروري ومهم لما له من راحة بدنية ونفسية لدى الجالسين عند رسول الله ﷺ، وإذا أفسح كل واحد وتفسح في مجلسه فإن المجلس ككل سيصبح فسيحاً، وهذا ما عبرت عنه قراءة التوحيد (المجلس) .

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾

---

(٩٧٧) تفسير البغوي ج٥ ص٢٠٤ (بتصرف).

(٩٧٨) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٩٣.

(٩٧٩) انظر: حجة القراءات ص٧٠٤.

قال الشوكاني: «هما لغتان بمعنىً واحد، يقال: نَشَزَ: أي ارتفع، ينشِز وينشُز كعكف يعكف ويعكف»[980]. وقال مثله ابن عادل[981]. وقال السمرقندي[982] وابن عجيبة: هما لغتان[983]. وقال أبو منصور أيضاً: «هما لغتان، يقال: نَشَز ينشِز وينشُز إذا نهض»[984]. وإلى ذلك ذهب الكثير من علماء القراءات منهم الإمام ابن خالويه[985]، وابن زنجلة[986]، وأحمد البنا[987]. وعلى هذا تكون كلتا القراءتين بمعنى واحد والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ الشامي وعاصم وحمزة ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ بفتح السين.

٢ ـ وقرأ الباقون (ويَحْسِبُوْنَ) بكسرها[988].

المعنى اللغوي للقراءتين:

جاء في المعجم الوسيط: حسب المال ونحوه حِساباً، وحُسْباناً: عدَّه وأحصاه وقدَّره فهو حاسب[989]، ومن أسماء الله تعالى الحَسِيبُ وهو الكافي، وهو على وزن فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِل من أحْسَبَنِي الشيءُ إذا كَفَاني

(٩٨٠) فتح القدير ج٥ ص٢٢٥.
(٩٨١) انظر: اللباب ج١٨ ص٥٤٤.
(٩٨٢) انظر: بحر العلوم ج٣ ص٣٣٧.
(٩٨٣) انظر: البحر المديد ص٣٤٣.
(٩٨٤) معاني القراءات ج٣ ص٦١.
(٩٨٥) انظر: الحجة في القراءات ص٣٤٤.
(٩٨٦) انظر: حجة القراءات ص٧٠٥.
(٩٨٧) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٢٧.
(٩٨٨) انظر: غيث النفع ص٥٢١.
(٩٨٩) انظر: المعجم الوسيط ص١٧١.

والحَسَبُ الكَرَمُ. والحَسَبُ الشرف الثابتُ في الآباء[(٩٩٠)]. وحَسِبَه أي ظَنَّهُ[(٩٩١)].

التفسير:

هذه الآية تبيّن نهاية وعاقبة هؤلاء الذين أشركوا وذلك أن الله تعالى سيحشرهم إليه وسيحاسبهم على ما قدَّموا، ويبيّن الله تعالى مدى تأصل صفة الكذب في قلوب وعقول هؤلاء السفهاء الجاهلين، وذلك بأنهم سيحاولون الكذب كعادتهم التي كانوا عليها في الدنيا، وسيقولون أنهم ما كانوا مشركين إلا أن الله تعالى يقرر ويؤكد أنهم هم الكاذبون المخادعون البالغون حداً في الكذب لم يبلغه غيرهم، فلا يُقْبَلُ لهم عذر. وهذا الكذب لن ينفعهم عند الله تعالى في الآخرة كما كانوا يعتقدون[(٩٩٢)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قال الرازي: «وحَسِبْتُه صالحاً بالكسر أحْسِبَه بالفتح والكسر مَحْسَبَةً بكسر السين وفتحها وحِسْبَاناً بالكسر ظَنَنْتُه»[(٩٩٣)]. وهذا يشير أنَّ كلا القراءتين بمعنى واحد.

ويرى الباحث: أنه لو أمْعَنَّا النظر قليلاً في أسرار نظمها، وسبحنا جميعاً في سعة فضائها، لوجدنا أن هناك ما يشعر بوجود فرق بينهما؛ ومن خلال المعنى اللغوي للكلمة، وأسرار استخدام الحركات، من الممكن أن نصل إلى فرق واضح بينهما.

فمعنى الحسب كما ورد في التعريف هو الظن أو هو العد، والعد يختلف في المعنى عن الظن؛ لأن الظن يطلق على الشك، وقد يطلق أيضاً

---

(٩٩٠) انظر: لسان العرب ج١ ص٣١٠.

(٩٩١) انظر تاج العروس ج١ ص٢١٠.

(٩٩٢) انظر: تفسير البحر المديد ج٧ ص٣٤٨.

(٩٩٣) مختار الصحاح ص٨٥.

على اليقين[994]؛ بينما العد يطلق على الشيء المعتدّ به المحسوب، فهو معلوم وغير ساقط[995]. وإذا علمنا أن الكسرة أقوى من الفتحة في الاستدلال، فيمكن القول بأن القراءة بالكسر جاءت لتؤكد بأن هؤلاء المنافقين كانوا من شدة رعبهم كلما نادى منادٍ، أو وقعت واقعة، ظنّوا أنهم هم المقصودون بذلك؛ لأنهم على وجل من أن يهتك الله أستارهم، ويكشف أسرارهم، فهم يتوقعون الإيقاع بهم ساعة فساعة[996]؛ وهذا الظن كان قوياً لدرجة اليقين، ودلَّ عليه، قوة الرعب الذي كان يصيب قلوبهم، وحركة الكسر التي هي أقوى من الفتح، فجاءت القراءة بالكسر؛ لتشير إلى المعنى المقصود من القراءة بالفتح، والله تعالى أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

القراءات:

١ ـ قرأها المدنيان وابن عامر الشامي (ورُسُلِيَ) بفتح الياء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَرُسُلِيٓۚ﴾ بإسكان الياء[997].

المعنى اللغوي للقراءتين:

رَاسَلَه في مُرَاسَلَةً فهو مُرَاسِلٌ ورَسِيلٌ وأرْسَله في رِسَالة فهو مُرْسَلٌ ورَسُولٌ والجَمْع رُسْلٌ ورُسُلٌ، وقد ورد بيانها عند تفسير سورة الحديد[998].

(٩٩٤) انظر: المصباح المنير ص٢٣٠.

(٩٩٥) انظر: المصدر السابق ص٢٣٦.

(٩٩٦) انظر تفسير الرازي ج١٠ ص٥٤٧.

(٩٩٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص٣٩٨.

(٩٩٨) انظر: ص٢٩٦.

التفسير:

عند قرب نهاية السورة يقول الله ﷻ كلمة الفصل ويحسم الموقف حسماً أبدياً خالداً بأن الغلبة والعزة سيكونان لله تعالى ورسله، ولدين الله تعالى وللرسل وللمؤمنين.

قال سيد قطب: «وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون على الرغم مما قد يبدوا أحياناً من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق. فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك واستقر توحيد الله تعالى في هذه الأرض؛ ودانت له البشرية بعد كل ما وقف في طريقه من عقبات الشرك والوثنية ... والمؤمن يتعامل مع وعد الله تعالى على أنه الحقيقة الواقعة. فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة، فهذا الواقع هو الباطل الزائل الذي يوجد فترة في الأرض لحكمةٍ خاصة لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله تعالى في وقته المرسوم»[٩٩٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بسكون الياء على معنى أن الله تعالى ورسلَهُ الشرفاء سينتصرون على المعاندين المتحدِّين لقدرته وسيغلبونهم.

أما القراءة بفتح الياء فقد جاءت منسجمة مع القوة اللازمة للنصر فالحديث هنا عن القوة التي تؤدي إلى النصر وحركة الفتح أقوى من السكون فجاءت مفتوحة قوية؛ لتنسجم مع حال الآية. فإن الله تعالى سينتصر عليهم بقوته وقوة رسله وصبرهم وجهادهم. وقوة رسله صلى الله عليهم وسلم لها وزن في المعادلة؛ لأن الله تعالى سَيَّرَ هذا الكون بالأسباب؛ وقوة الرسل سيكون لها دور كبير في حسم المعركة. وقد جاءت مفتوحة أيضاً

---

(٩٩٩) الظلال ج٦ ص٣٥١٤ (بتصرف).

لتناسب فتحة كلمة (أَنَاْ) كَلَوْن من ألوان النسق والجمال القرآني في استخدام الحركات والألفاظ القرآنية.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر بأن الله تعالى سينتصر هو ورسله على المعاندين المكذبين وسيكون لرسله قوة وتأثير في صنع النصر والله تعالى أعلى وأعلم.

تمت سورة المجادلة بحمد الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة الحشر
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية وآياتها أربع وعشرون آية نزلت في يهود بني النضير الذين نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ ودبَّروا لاغتياله، وذلك في السنة الرابعة من الهجرة الشريفة؛ لذلك سمَّاها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسورة بني النضير، فعاد رسول الله ﷺ من عندهم، وأعلن التجهيز لحربهم، وأمهلهم ثلاثة أيام للجلاء عن المدينة المنورة، إلا أنهم تحصَّنوا في حصونهم ما يزيد على العشرين يوماً؛ لكنهم استسلموا في النهاية ووافقوا على الجلاء(١٠٠٠).

مناسبتها لما قبلها:

في كلا السورتين أخبرنا الله تعالى بقوته وغلبته على الكافرين ونصره للمؤمنين عليهم، وكذلك ذكر في آخر المجادلة الذين يحادُّون الله تعالى ورسوله، وفي أول الحشر ذكر الله تعالى من شاقَّ الله تعالى ورسوله ﷺ، وفي المجادلة ذكر الله تعالى المنافقين وولاءهم لليهود، وفي سورة الحشر

(١٠٠٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٥٦، والظلال ج٦ ص٣٥١٨، ٣٥١٩.

يبيِّن الله تعالى أن هذا الولاء لا يغني عن اليهود شيئاً لأنهم لم ينفعوهم في محنتهم وحربهم(١٠٠١).

الموضوع العام للسورة:

المحور العام لهذه السورة هو الحديث عن غزوة بني النضير وذلك من خلال ثلاثة مواضيع مهمة وهي:

الأول: ابتدأت السورة بتنزيه الله تعالى وتمجيده وذكر بعض آثار قدرته ومظاهر عزته وذلك بإجلاء بني النضير الذين كانوا يتحصنون في حصون عظيمة إلا أن الله تعالى بقدرته هزمهم وأخرجهم صاغرين، ثم تحدثت السورة عن موضوع الغنائم الذي ترتب على خروجهم من بيوتهم وديارهم، وأوضحت شروطه وأحكامه وبيَّنت حكمة تخصيصه للفقراء.

الثاني: تناولت السورة ذكر صنفين من سكان المدينة المنورة الأول: وهم أصحاب الرسول ﷺ، وذكرت السورة مآثرهم وأثنت عليهم ثناءً حسناً، الثاني: ذكرت مقابل ذلك المنافقين الأشرار الذين تحالفوا مع اليهود ضد دعوة الإسلام وأهله، وأوضحت موقفهم المخزي الجبان؛ لأنهم **أولاً**: تحالفوا معهم، **وثانياً**: لم ينفعوهم ولم ينصروهم، مثلهم بذلك مثل الشيطان الذي يغوي الناس ثم يتبرأ منهم.

الثالث: تذكير وتحذير للمؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه أولئك المنافقون ولفت عنايتهم إلى عظمة هذا القرآن الكريم وبيان فضله(١٠٠٢).

١ ـ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى

(١٠٠١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٣٢.

(١٠٠٢) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٢٧، ٣٢٨.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ [الحشر: ٢].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾

١ ـ قرأ الشامي والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (الرُّعُب) بضم العين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ بإسكان العين(١٠٠٣).

ب ـ قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ﴾

١ ـ قرأ أبو عمرو (يُخَرِّبون) بفتح الخاء وتشديد الراء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بإسكان الخاء وتخفيف الراء(١٠٠٤).

ج ـ قوله تعالى: ﴿بُيُوتَهُم﴾

١ ـ قرأ ورش والبصري وحفص ﴿بُيُوتَهُم﴾ بضم الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون (بِيُوْتهم) بكسر الباء(١٠٠٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(الرعب)** الرُّعْبُ والرُّعُبُ الفَزَع والخَوْفُ رَعَبَه يَرْعَبُه رُعْباً وَرُعُباً فهو مَرْعُبٌ ورَعِيبٌ أفْزَعَه، ولا تقل أرْعَبَه ورَعَّبَه تَرْعِباً وتَرْعَاباً فَرَعَبَ رُعْباً وارْتَعَبَ فهو مُرَعَّبٌ ومُرْتَعِبٌ أي فَزِعٌ(١٠٠٦).

ب ـ **(يخربون)** الخَرابُ ضِدُّ العُمْرانِ والجمع أخْرِبَةٌ وخَرِبَ خَرَباً فهو خَرِبٌ وأخْرَبَه وخَرَّبه والخَرْبَةُ موضع الخَرَابِ والجمع خَرِبَاتٌ(١٠٠٧).

(١٠٠٣) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٩، والشامل في القراءات المتواترة ص٢٦٣.

(١٠٠٤) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٧، والنشر ج٢ ص٢٩٣.

(١٠٠٥) انظر: غيث النفع ص٥٢٣.

(١٠٠٦) انظر: لسان العرب ج١ ص٤٢٠.

(١٠٠٧) انظر: لسان العرب ج١ ص٣٤٧.

ويخرِّبون بالتشديد يعني يهدمون، وبالتخفيف يخرجون منها ويتركونها[١٠٠٨].

ج - (**بيوتهم**) البيت من الشَّعَر ما زاد على طريقةٍ واحدةٍ، يقع على الصغير والكبير؛ وقد يقال للمبنيّ من غير الأبنية التي هي الأخبِيَةُ بيتٌ؛ والخِبَاءُ بيتٌ صغير من صوف أو شعر، فإذا كان أكبر من الخِباء، فهو بيتٌ، ثم مِظَلَة إذا كبرت عن البيت، وهي تسمى بيتاً أيضاً إذا كان ضخماً مُرَوَّقاً[١٠٠٩].

التفسير:

الله ﷻ هو الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ، وأنكروا رسالته من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير حيث أخرجهم من ديارهم، وكان ذلك حينما غزاهم النبي ﷺ، فاستسلموا بعد حصارهم وقبلوا النزول لأمر رسول الله ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم، ويخلوا له دورهم، وسائر أموالهم، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر، فذلك قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾[١٠١٠]. وقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ أي أن هذا الخروج هو أول حشرهم إلى الشام أي أول ما حُشِروا وأخرجوا ودلَّ بلفظ (أوّل) على أنهم لم يصبهم جلاء قبله[١٠١١]. وقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: وألقى في قلوب بني النضير الخوف الشديد، مما أضعف قوتهم، وسلبهم الأمن والطمأنينة، فكانت نتيجة هذا الرعب أنهم استسلموا ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ[١٠١٢].

(١٠٠٨) تاج العروس ج١ ص٥٢٩.

(١٠٠٩) انظر: لسان العرب ج٢ ص١٤.

(١٠١٠) انظر: جامع البيان ج١٠ ص٧٩٥٣.

(١٠١١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٣٤.

(١٠١٢) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ٱلرُّعُبَ﴾

قال الدكتور محمد محيسن: «هما لغتان»[1013].

وهذا صحيح ولكنه لا يمنع أن يكون هناك فرق بينهما، فلو نظرنا لوجدنا أن قراءة (الرُعُب) فيها زيادة حركة الضم على حرف العين والزيادة في المبنى زيادة في المعنى وقد ذكرنا ذلك سابقاً في عدد من المرات؛ فكيف لو كانت الزيادة بحركة هي من أقوى الحركات وهي الضم، وبضم العين يصبح عندنا ضمتان متلاحقتان مما يزيد في القوة في التعبير ويعبر عن المبالغة في الوصف لبيان شدة وقوة الرعب الذي ألقاه الله تعالى في قلوبهم، والدليل على قوة هذا الرعب هي النتيجة، فهم من شدة رعبهم استسلموا للنبي ﷺ بعد أن كانوا يتحصَّنون بحصون منيعة ومتينة والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

يظهر لنا بعد الجمع بيان مدى قوة الرعب الذي ألقاه الله تعالى في قلوبهم، لدرجة دفعهم بها إلى الاستسلام والنزول لأمر رسول الله ﷺ، والخروج من ديارهم.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿يُخۡرِبُونَ﴾

ذهب عدد من علماء التفسير والقراءات إلى أن المعنى في كلا القراءتين واحد.

فقال البغوي: «قرأ أبو عمر بالتشديد والآخرون بالتخفيف ومعناهما واحد»[1014]، وإلى ذلك ذهب. وقال الكرماني: «وهما سواء مثل فَرَّحْتُهُ

(١٠١٣) المستنير ج٣ ص١٧١.

(١٠١٤) تفسير البغوي ج٥ ص٢١٠.

وأَفْرَخْتُهُ»[١٠١٥].

وذهب آخرون إلى وجود فرق بين القراءتين: وممن ذهب إلى ذلك ابن جرير الطبري وغيره، قال ابن جرير الطبري: «بتخفيف الراء يعني يخرجون منها ويتركونها معطلة خراباً، وبالتشديد في الراء بمعنى يهَدِّمون بيوتهم»[١٠١٦]. وقال ابن خالويه: «فالحجة لمن خفف أنه أراد يرحلون ويخلونها، تقول العرب: أخرِبْنا المنزل إذا هم ارتحلوا عنه وإن كان صحيحاً. والحجة لمن شدد أنه أراد يهدمونها وينقضونها، تقول العرب: خرَّبنا المنزل إذا هم هدموه وإن كانوا فيه مقيمين»[١٠١٧].

ويرى الباحث: أن المعنى على قراءة التخفيف يكون فراغها وذلك أنهم يخرجون منها ويتركونها معطلة، وخرابها بفعل غيرهم وهي نتيجة ما قاموا به. أما القراءة بالتشديد، فهي بمعنى أنهم يهدمونها ويخربونها بأيديهم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، نعلم أنهم تركوا بيوتهم وليس ذلك فحسب، بل قاموا بتهديمها حسداً منهم حتى لا يستفيد منها المسلمون، وطمعاً في أخذ ما ينتفعون به من الأبواب وغيره. قال الفخر الرازي: «وكانوا ينظرون إلى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه أو الباب فيهدمون بيوتهم»[١٠١٨].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿بُيُوتَهُمْ﴾

قال الرازي: «جمع البيت بُيُوت وأَبْيَات وأَبَابِيْت. وقال: وتصغيره بُيَيْت وبِييت بضم أوله وكسره»[١٠١٩].

(١٠١٥) مفاتيح الأغاني ص٣٩٧.

(١٠١٦) جامع البيان ج١٠ ص٧٩٥٦ (بتصرف).

(١٠١٧) الحجة في القراءات السبع ص٣٤٤.

(١٠١٨) تفسير الرازي ج١٠ ص٥٠٣.

(١٠١٩) انظر: مختار الصحاح ص٤٩.

وهذا يشير إلى أن كلا القراءتين بمعنى واحد، إلا أننا لو نظرنا إلى حركة الضم على الباء في قوله تعالى: ﴿بُيُوتَهُم﴾ لوجدنا أن لها عملاً يحتمل أن تقوم به غير ما تقوم به حركة الكسر، وعليه فإن القراءة بالكسر اكتفت بالدلالة على المكان الذي خرَّبوه، وهو البيوت، بينما دلت القراءة بالضم على قوة ومتانة وحصانة هذه البيوت التي قاموا بتدميرها، ودليل ذلك استحسان اليهود لمحتوياتها، وركائز بنائها، فقاموا بالعمل على أخذ ما يستطيعون، وكذلك الحسد الذي وجدوه في أنفسهم من ترك هذه البيوت للمسلمين، يشير إلى ماهيتها بحيث أنهم استكثروها على المسلمين والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يمكننا أن نرسم صورة لهذه البيوت التي تركها اليهود، وخرجوا منها، فهي بيوت متينة وقوية ببنائها وقيمتها، وبمضمونها وشكلها، والله تعالى أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وهشام بخلف عنه (تَكُون) بتاء التأنيث و(دولةٌ) برفع التاء.

٢ ـ وقرأ هشام (يَكُون) بالتذكير و(دولةٌ) بالرفع.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿يَكُونَ﴾ بياء التذكير و﴿دُولَةً﴾ بالنصب(١٠٢٠).

(١٠٢٠) انظر: الشامل في القراءات ص٢٦٣، والنشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص٣٩٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (يكون) تأتي للدلالة على ما مضى من الزمان كذلك للدلالة على حدوث الشيء ووقوعه وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الحديد(١٠٢١).

ب ـ (دولة) الدَوْلَةُ في الحرب أن تُدَالَ إحدى الفئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدَوْلَةُ، والجمع الدِوَلُ. والدُولَةُ بالضم في المال يقال: صار الفيءُ دُولةً بينهم يَتَداوَلُونَه، يكون مرَّة لهذا ومرَّة لهذا والجمع دُولاتٌ ودُوَلٌ(١٠٢٢).

التفسير:

تأتي هذه الآية والتي قبلها تعقيباً على ما حدث لبني النضير لتعلِّم المسلمين وتخبرهم بكيفية توزيع مثل هذه الأموال سواء مثل ما حدث لبني النضير أو في سائر القرى التي تفتح هكذا بدون قتال. قال الصابوني: «وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ فحكمها أنها لله تعالى يضعها حيث يشاء، ولرسوله ﷺ يصرفها على نفسه وعلى مصالح المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ أي ولأقرباء الرسول من بني هاشم وعبد المطلب، ولليتامى الذين مات آباؤهم، وللمساكين ذوي الحاجة والفقر. وقوله تعالى ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي وللغريب المنقطع في سفره»(١٠٢٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذكر مكي القيسي: أن القراءة بالتاء (تكون) ورفع (دولةٌ) جعل كان تامّة بمعنى وقع وحدث تامة لا تحتاج إلى خبر فرفع الدولة بها. وأتى بالتاء

(١٠٢١) انظر: ص٢٨٤.

(١٠٢٢) انظر: الصحاح في اللغة ص٣٣٣.

(١٠٢٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣١.

لتأنيث لفظ الدولة. والقراءة بالياء ورفع دولة وتذكير الفعل لأن تأنيث الدولة غير حقيقي، فهو مؤنث مجازي، أما القراءة بالياء (يكون) ونصب الدولة (دولةً) جعلوا كان ناقصة تحتاج إلى اسم وخبر فأضمروا فيها اسمها ونصبوا دولة على خبرها وأتوا بالياء لتذكير اسم كان المضمر فيها، والتقدير: كي لا يكون الفيءُ دُولَةً و(لا) في (كيلا) غير زائدة في القراءتين(١٠٢٤).

وقال أبو منصور: «والدُّولة: اسم المال الذي يُتَدَاول فيكون مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء.

وأما الدَّولة فإنها تكون في الحروب وانتقال من حال إلى حال»(١٠٢٥).

يقول الباحث: وعلى هذا فتأنيث دولة على أنها هي الحال وهي الإنتقال من حال إلى حال في الحروب فالتأنيث حقيقي. قال ابن عاشور: «(تكون) بمثناة فوقية جرياً على تأنيث فاعله»(١٠٢٦).

وتذكيرها على معنى أنها هي المال أو الفيء على القراءة بالضم، والفيء مذكر فناسب التذكير. والمعنى في (تكون) و(يكون) واحد والاختلاف في الإعراب فقط.

أما (دولةٌ) بالضم فهو اسم للمال. و(دولةً) بالفتح فهي الحال التي تتداول وتكون في الحروب وهي الحال السارَّة للإنسان، فيقال هذه دولة فلان أي تداوله(١٠٢٧).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الله تعالى نهى أن يكون المال الذي أفاء الله به على نبيه ﷺ، وما يتبعه من حال جيدة ومكانة مرموقة، نهى أن

(١٠٢٤) انظر: الكشف ج٢ ص٣١٦.

(١٠٢٥) معاني القراءات ج٣ ص٦٤.

(١٠٢٦) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٨٦.

(١٠٢٧) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٥٠٧.

يكونا حكراً على الأغنياء دون غيرهم من أصحاب الحقوق مثل ذوي القربى والمساكين واليتامى وكافة المذكورين في هذه الآية والله تعالى أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة (ورُضْوَاناً) بضم الراء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ بالكسر[(١٠٢٨)].

المعنى اللغوي للقراءتين:

رضيَ يَرْضى رِضيً ورِضَاءً بالمد أيضاً. والرضى ضد السخط. وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الفتح[(١٠٢٩)].

التفسير:

جاءت هذه الآية تعقيباً على الآية السابقة وتفصيلاً لها. بمعنى أن الأموال التي ذكرت وبيَّن الله تعالى كيف يتم تقسيمها، ومنع الله تعالى أن تكون دولة بين الأغنياء؛ فهي كذلك حتى يكون للفقراء المهاجرين نصيب من هذه القسمة. قال الطبري: «كي لا يكون ما أفاء الله تعالى على رسوله ﷺ دُولة بين الأغنياء منكم، ولكن يكون للفقراء المهاجرين. وقِيل: عُنيَ بالمهاجرين مهاجرة قريش»[(١٠٣٠)]. وجاء في تنوير المقباس أخرجهم أهل مكة وكانوا نحو مائة رجل[(١٠٣١)].

(١٠٢٨) انظر: غيث النفع ص٥٢٣، الشامل في القراءات ص٢٦٣.

(١٠٢٩) انظر: ص٤٣.

(١٠٣٠) جامع البيان ج١٠ ص٧٩٦٧.

(١٠٣١) انظر: تنوير المقباس ص٥٤٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة الكسر (ورِضْوَاناً) على معنى أنهم يرجون من الله تعالى أن يرضى عنهم ويدخلهم الجنة، ولا يسخط أبداً، أما القراءة بالضم (ورُضْوَاناً) فهي على المبالغة، وهي طلب الزيادة في النعم بجميع أصنافها داخل الجنة. وقد مر بيانها وتفصيلها عند تفسير سورة الفتح[١٠٣٢].

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع ومكي والشامي وحفص ﴿رَءُوفٌ﴾ بواو ساكنة بعد الهمز.

٢ ـ وقرأ الباقون (رؤف) بدون واو[١٠٣٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

الرأفة أشد الرحمة وقد رؤف به بالضم رأفة ورآفة[١٠٣٤]. وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الحديد[١٠٣٥].

التفسير:

تذكر هذه الآية صنفاً آخر من أصناف وطبقات المسلمين التي تستحق أن يصرف عليها من الأموال التي جاءت بالطريق المذكورة، وهي التي أخذت عنوة بغير قتال.

(١٠٣٢) انظر: ص٤٦.

(١٠٣٣) انظر: غيث النفع ص٥٢٣، وإتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٣٠.

(١٠٣٤) انظر: مختار الصحاح ص١٣٣.

(١٠٣٥) انظر: ص٢٩٩.

قال الصابوني: «هذا هو الصنف الثالث المستحق للإحسان والفضل، وهم التابعون لهم بالإحسان إلى يوم القيامة»[1036].

وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ هذه الآية تذكر وتشير إلى جماعة من المؤمنين ووصْفِهِم بالسبق بالإيمان اعترافاً بفضلهم، لأن إخوة الدين عندهم أعز وأشرف من النسب[1037]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي خافوا على أنفسهم أن يقع في قلوبهم الحسد لِسَبْق ما أعطى النبي ﷺ المهاجرين الأولين دونهم فدعوا بهذه الدعوات[1038].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون واو على معنى أن الله تعالى يرأف بعباده وهو رحيم بهم.

أما القراءة بزيادة الواو فهي تدل على المبالغة في الرأفة والرحمة.

قال الصابوني: «قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي مبالغ في الرأفة والرحمة»[1039].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يخبرنا الله تعالى عن عظيم رأفته، وواسع رحمته ﷻ، فإن رحمة الله تعالى لا تحدها حدود، ولا تقف عند زمان أو مكان، فهي عامة، فالله ﷻ أرحم من الأم على طفلها، أو رضيعها.

٥ ـ قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ

(١٠٣٦) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٢.

(١٠٣٧) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص٢٢٩.

(١٠٣٨) انظر: تنوير المقباس ص٥٤٦.

(١٠٣٩) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٣.

بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر: ١٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿جُدُرٍ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (جِدَار) بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿جُدُرٍ﴾ بضم الجيم والدال[١٠٤٠].

ب ـ قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾

تم بيانها وإيضاحها تماماً عند تفسير سورة المجادلة[١٠٤١].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (جدر) الجَدْرُ والجِدارُ: الحائط. وجمع الجِدارِ جُدُرٌ، وجمع الجَدْرِ جُدْرَانٌ[١٠٤٢].

ب ـ (تحسبهم) الحسيب هو الله تعالى وهو الكافي. والحَسَب الشرف. ويحسب بمعنى يظنّ. وقد ورد بيانها عند تفسير سورة المجادلة[١٠٤٣].

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق عرض صفات ونفسية اليهود في القتال والحرب، فأخبرنا الله تعالى أن هؤلاء القوم كما قال ابن كثير في تفسيره

(١٠٤٠) انظر: مفاتيح الأغاني ص٣٩٧، والنشر ج٢ ص٢٩٤، والتجريد لبغية المريد في القراءات السبع ص٣١٩.

(١٠٤١) انظر: ص٣٢٠.

(١٠٤٢) انظر: الصحاح في اللغة ص١٣٦.

(١٠٤٣) انظر: ص٣٢٠.

للآية: إنهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة، بل إمَّا في حصون، أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة. وقوله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي عداوتهم فيما بينهم شديدة[1044]. وقوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي أهواؤهم متفرقة فيما بينهم. وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي: مثل يهود بني النضير كمثل اليهود الآخرين وهم بنو قينقاع الذين غزاهم الرسول ﷺ وأجلاهم قبل غزوة بني النضير[1045].

ويجوز أن يكون المقصود بالذين من قبلهم: هم كفار أهل مكة وما وقع لهم من الهزيمة والأسر. قال البيضاوي: «مثل اليهود كمثل أهل بدر أو بني قينقاع إن صحَّ أنهم أُخرِجوا قبل النضير»[1046].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(جدر) يجوز أن يكون أتى بالواحد والمراد الجمع؛ لأن المعنى يدلّ على الجمع، إذ لا يكون كلهم وراء جدار واحد. وقيل: الجدار في هذه القراءة يراد به السور، والسور واحد يعم جميعهم ويسترهم.

أما القراءة بالجمع فهي على معنى أن كل فرقة منهم وراء جدار، فهي جُدُر كثيرة يستترون بها في القتال، فجمع على هذا المعنى لكثرة الجدران التي يستترون خلفها[1047].

وقال إسماعيل الحنفي عن قراءة (جدار): لأنه أريد به الجنس فيكون في معنى الجمع، أو لأن المراد السور الجامع للجدر والحيطان[1048].

(١٠٤٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٦٤.

(١٠٤٥) انظر: روائع البيان ص٥٤٧.

(١٠٤٦) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٣٢٢.

(١٠٤٧) انظر: الكشف ج٢ ص٣١٦، ٣١٧.

(١٠٤٨) انظر: حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ج١٩ ص٢٦ / دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

ويرى الباحث: أنه يجوز أن يكون المقصود بالجدار هو السور الذي يبنونه حول مدينتهم ويتحصنون به. أو أن يكون المقصود بالجدار ما يستترون به من البناء داخل المدينة.

أما القراءة بـ (جدر) على الجمع فهي لبيان أن لديهم جُدُرَاً وتحصينات عديدة يتحصنون بها ويتنقلون من خلالها. وفي هذا بيان مدى حرصهم على سلامة حياتهم وهذا حاصل ومُشَاهَد.

الجمع بين القراءتين:

وبعد الجمع بين القراءتين يظهر لنا الله تعالى نفسية هؤلاء القوم الذين يتمسكون بالحياة ويحرصون عليها حرصاً شديداً فهم يبنون الحصون والجدر يبنون حول مدينتهم سوراً حصيناً ويبنون داخل المدينة أسواراً وجدراً متعددة لتحميهم وليحاربوا ويقاتلوا من خلالها.

٦ ـ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وهشام (بريّ) بالإدغام وقفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بَرِىٓءٌ﴾ بالهمز(١٠٤٩).

المعنى اللغوي للقراءتين:

برأ منه ومن الدَّيْن والعيب، من باب سلم، وبرئ من المرض بالكسر بُرءاً بالضم، وعند أهل الحجاز: بَرَأَ من المرض من باب قطع. وقال: وأبرأه من الدين وبرأه تبرئة وتبرأ من كذا فهو براء منه بالفتح والمد لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر كالسماع(١٠٥٠).

(١٠٤٩) انظر: البدور الزاهرة ص٤٠٠.

(١٠٥٠) انظر: مختار الصحاح ص٣٦.

التفسير:

يبيّن الله تعالى أن هذه الإغراءات التي وعد بها المنافقون لإغراء اليهود على القتال والوعود التي قطعها المنافقون على أنفسهم بنصرة اليهود، لم تكن إلا كذباً وخداعاً، ومثلهم في ذلك كمثل الشيطان الذي يغوي الإنسان ويأمره بالكفر ثم يتبرأ منه.

وهذا مثلٌ، مثله الله تعالى للمنافقين الذين أغووا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان الذي يُغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه، والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس، أي جميع الشياطين، وجميع الناس(١٠٥١).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

إن القراءة بدون همز ولا مد (بري) دلَّت على أن الشيطان يتبرأ من الكفار والذين أطاعوه وعصوا الله تعالى.

أما القراءة بالمد مع الهمز (بريء) فدلَّت على أن الشيطان يبالغ في التخلي والتبرئة من هؤلاء فكأنه يقول لهم إني بريء منكم براءة تامة مؤكدة أبدية، وكيف لا؟ وهو يعلم علم اليقين عاقبة فعله بإغوائهم، وعاقبة فعلهم بسبب معصيتهم لله تعالى، فيتبرأ ولكن هذا التبرؤ بالتأكيد لا يعفيه من العقاب.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر لنا شدة مكر هذا الشيطان الذي يوقع الإنسان في الكفر، ثم يتبرأ منه براءة تامة ويتخلى عنه تخلياً كاملاً، شماتةً ببني آدم، ومحاولة للتهرب من ما سيحل بمن يفعل مثل فعلهم من العقاب والنكال.

تمت سورة الحشر بحمد الله تعالى وتوفيقه.

(١٠٥١) التسهيل لعلوم التنزيل ج٤ ص١١٠.

الفصل الرابع
تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الممتحنة ـ الصف ـ المنافقون

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الممتحنة المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الصف المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة المنافقون المتضمنة للقراءات العشر.





المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الممتحنة
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية، وآياتها ثلاث عشرة آية، والممتحِنة بكسر الحاء أي المختَبِرة وهي صفة للسورة، وبفتح الحاء إضافتها إلى المرأة التي نزلت فيها السورة، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، التي جاءت مهاجرة لرسول الله ﷺ، وتاركةً زوجها عمرو بن العاص ومعها أخواها عِمارة والوليد، فرد رسول الله ﷺ أخويها وحبسها، فقالوا لرسول الله ﷺ: ردها لنا للشرط فقال لهم رسول الله ﷺ: كان الشرط في الرجال لا في النساء فأنزل الله تعالى الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ﴾(١٠٥٢).

مناسبتها لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في السورة السابقة موالاة المنافقين للذين كفروا من أهل الكتاب، ذكر في هذه نهي المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء حتى لا

(١٠٥٢) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٨٨ ـ ٣٩٥، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٩.

يكون حالهم كحال المنافقين(١٠٥٣).

الموضوع العام للسورة:

تتحدث هذه السورة الكريمة عن موضوع مهم ومركزي وهو الحب في الله تعالى والبغض فيه سبحانه، وتمحور هذا الحديث عبر عدد من النقاط وهي:

الأول: تناولت هذه السورة الكريمة موضوع الولاء والبراء، وابتدأت بالتحذير من موالاة أعداء الله تعالى، وبيّنت حكم موالاتهم، وضربت على ذلك أمثلة للبراءة من المشركين، مثل: قصة إبراهيم عليه السلام، وتحدثت أيضاً عن حكم الذين لم يقاتلوا المسلمين، وحكم الذين آذوهم، وحكم المؤمنات المهاجرات من ديار الكفر إلى دولة الإسلام في المدينة المنورة، وضرورة امتحانهن للتأكد من صدقهن.

الثاني: أشارت السورة إلى أن القرابة والنسب والصداقة في هذه الحياة الدنيا، لا تنفع الإنسان أبداً يوم القيامة، حيث لا ينفع يومئذ إلا العمل الصالح(١٠٥٤).

١ - **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ①﴾ [الممتحنة: ١].

القراءات:

١ - قرأ نافع (وأنا) بإثبات الألف وصلاً ووقفاً.

(١٠٥٣) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٥٩.

(١٠٥٤) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٩.

٢ ـ وقرأ الباقون بحذفها وصلاً وإثباتها وقفاً.

المعنى اللغوي للقراءتين:

أَنَا اسم مَكْنِيٌّ وهو للمتكلم وحده وإنما بُنِي على الفتح فَرْقاً بينه وبين أَنْ التي هي حرف ناصب للفعل، والأَلِفُ الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف، فإن توسطَت الكلامَ سقطَتْ إلا في لغة رَدِيئة[١٠٥٥].

التفسير:

نزلت هذه الآية في الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أنه كتب كتاباً لأهل مكة يخبرهم بقدوم النبي ﷺ غازياً فأنزل الله تعالى الوحي بالخبر على سيدنا محمد ﷺ يخبره بذلك[١٠٥٦].

وفي هذه الآية ينهى الله ﷻ عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ويذكِّرهم بما قام به هؤلاء المشركون من كفر بالله تعالى ورسوله، ومن إخراج الرسول والمؤمنين من ديارهم. كذلك نهاهم الله ﷻ عن حبهم ومودتهم ونقل الأخبار إليهم ـ أخبار الرسول ﷺ والمؤمنين ـ . وحذرهم سبحانه من الاستمرار في فعل ذلك؛ لأن الله تعالى يراهم، وسيحاسبهم على فعلهم، وسيكون مصيرهم الضلال والنكال.

قال سيد قطب: «تبدأ السورة بذلك النداء الودود الموحي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نداء من ربهم الذي آمنوا به، يدعوهم باسم الإيمان الذي ينسبهم إليه. يدعوهم؛ ليبصرهم بحقائق موقفهم، ويحذرهم حبائل أعدائهم، ويذكرهم بالمهمة الملقاة على عاتقهم»[١٠٥٧].

وقوله تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي تسرون إليهم الأخبار بسبب

(١٠٥٥) انظر: مختار الصحاح ص٢٧.

(١٠٥٦) انظر: فتح القدير ج٥ ص٢٥٠، وزاد المسير ص١٤٢٣، وأسباب النزول للسيوطي ص٤١١، ٤١٢.

(١٠٥٧) الظلال ج٦ ص٣٥٤٠.

المودة التي بينكم[١٠٥٨]. وقال العُكبري: «(تسرون) توكيد لتلقون بتكرير معناه»[١٠٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادة القراءة بدون ألف عند الوصل (وأنَ) للدلالة على بيان علم الله تعالى وأن الله تعالى يعلم السر وما يخفى.

أما القراءة بألف ممدودة وصلاً ووقفاً (وأنا) فالألف والمد هنا جاء لإظهار عظمة شأن الله تعالى وبيان انفراده في هذه الصفة عن غيره فهو سبحانه لا غيره الذي يعلم السر ويعلم ما تُخفي الصدور، فزيادة الألف والمد للدلالة على المبالغة والتفرد والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر لنا كم هي عظمة الله تعالى وقدرته في علم تفاصيل الأشياء، ولو كانت خافية من الخوافي، وسراً من الأسرار، تبارك الله رب العالمين.

٢ ـ قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ [الممتحنة: ٣].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان والمكي والبصري (يُفْصَل) بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخففة.

٢ ـ وقرأ ابن عامر (يُفَصَّل) بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددة.

(١٠٥٨) انظر: تفسير روائع البيان ص٥٤٩.

(١٠٥٩) إملاء ما منَّ به الرحمن ص٥٥٥.

٣ ـ وقرأ عاصم ويعقوب ﴿يَفْصِلُ﴾ بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخففة.

٤ ـ وقرأ الأخوان وخلف (يُفَصِّل) بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة(١٠٦٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن منظور: «وفَصَلْتُ الشيء فانْفَصَلَ أي قطعته فانقطع. وقال: والتفصيل: التبيين، وفصَّل القصَّاب الشاة أي عَضَّاها، والفَصْيَل الحاكم ويقال القضاء بين الحق والباطل، وقد فَصَل الحكم وحكم فاصِل وفَيْصَل ماض وحكومة فَيْصَل كذلك»(١٠٦١).

التفسير:

استمراراً في علاج مثل هذه المخالفة يبيِّنُ الله ﷻ أن الخوفَ على سلامة الأهل والأولاد لا يمكن أن يكون مبرراً صحيحاً لارتكاب مثل هذه المخالفة التي ارتكبها حاطب.

قال القرطبي: «لمَّا اعتذر حاطب بأنَّ له أولاداً وأرحاماً فيما بينهم، بيَّن الرَّب ﷻ أن الأهل والأولاد لا ينفعون شيئاً يوم القيامة إن عُصِيَ من أجل ذلك»(١٠٦٢).

وقوله تعالى: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ أي يحكم بينكم(١٠٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة (يُفْصَل) بضم الياء وفتح الصاد مخففة، والقراءة (يُفَصَّل)

(١٠٦٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٤، والبدور الزاهرة ٤٠١.

(١٠٦١) لسان العرب ج١١ ص٥٢١، ٥٢٢.

(١٠٦٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٩١.

(١٠٦٣) انظر: كلمات القرآن ص٤٣٨.

بضم الياء وفتح الصاد مع تشديدها على وجه ما لم يسمَّ فاعله.

أما قراءة (يَفصِل) بفتح الياء وكسر الصاد مخففة وقراءة (يُفَصِّل) بضم الياء وكسر الصاد مع التشديد، يفصل الله بينكم أيها القوم(١٠٦٤).

ويرى الباحث: أن القراءة بالبناء للمعلوم (يَفصِل) أو (يُفَصِّل) بالتخفيف والتشديد تدل على أن الله تعالى هو الذي سيفصل بينهم يوم القيامة بدون الإشارة إلى أدوات وكيفيات ذلك.

بينما القراءة على وجه ما لم يسمَّ فاعله تشير إلى كيفيات وبعض طرق الفصل التي ستشارك في عملية الفصل وسيتم بها الحكم عليهم.

ومن المعروف أن الله تعالى يستخدم في ذلك مشاركات من الغير، لإشهادهم على أنفسهم يوم القيامة بما فعلوا وأجرموا، فإن الله تعالى سيُنطق الجلود والأيدي التي فعلت، والأرجل التي مشت ويشهدها عليهم، وهذه ستعتبر من أدوات الفصل، كذلك هناك الميزان الذي له لسان وكفتان يزن بها الأعمال وينطق بالحق، وهناك الملائكة التي ستقوم بتنفيذ ما أمر الله تعالى به من قرار بعد نطق الحكم والفصل بينهم، إلى غير ذلك من اللوازم التي بيَّنها لنا الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية والله تعالى أعلم.

أما عن التشديد فالتشديد يفيد التكثير والمبالغة في الفعل، ومن المعروف أن الحساب يوم القيامة على الفتيل والقطمير، وهذا من أشد التفصيل.

قال مكي: «والتشديد فيه معنى التكثير. والتخفيف يحتمل التكثير والتقليل»(١٠٦٥).

وذكر أبو منصور بأن المعنى راجع إلى الله تعالى. والقراءة بالتشديد (يُفصَّل) للتكثير وكذلك (يُفصِّل)(١٠٦٦).

(١٠٦٤) انظر: جامع البيان ج١٠ ص٧٩٨٩، ٧٩٩٠.

(١٠٦٥) الكشف ج٢ ص٣١٨.

(١٠٦٦) انظر: معاني القراءات ج٣ ص٦٥.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما، يشير الله تعالى لنا إلى وجود بعض المشاركات والآليات التي ستُتَّبع بإذنٍ منه تعالى لإتمام عملية الفصل. كذلك يظهر الله تعالى لنا الطريقة الدقيقة والمبالغة في التفصيل والتبيين التي ستتبع في محاسبتهم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿أُسْوَةٌ﴾

١ ـ قرأ عاصم ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الألف.

٢ ـ وقرأ الباقون (إِسْوة) بالكسر(١٠٦٧).

ب ـ قوله تعالى: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾

١ ـ قرأ هشام (إبراهام) بفتح الهاء وألف بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ بكسر الهاء بعدها ياء(١٠٦٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ أسوة: أَسَّيْتُهُ تأسِيَةً أي عزَّيْتُهُ. وآسَيْتُهُ بمالي مواساةً أي جعلته إِسْوَتِي فيه. وواسَيْتُهُ لغةٌ ضعيفةٌ فيه. والإِسْوَةُ والأُسْوَةُ بالكسر والضم لغتان

(١٠٦٧) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٦٤.

(١٠٦٨) انظر: غيث النفع ص٥٢٥، والبدور الزاهرة ص٤٠١.

وهي ما يَأْتَسِيْ به الحزين، يتعزَّى به وجمعها إسىً وأسىً. ثم سُمِّيَ الصَبرُ أسىً. وائتسى به أي اقتدى، يقال: لا تَأْتَسِ بمن ليس لك بأسْوَة، أي لا تَقْتَدِ بمن ليس لك بقدوة(١٠٦٩).

ب ـ إبراهيم: هي اسم أعجمي وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الذاريات(١٠٧٠).

التفسير:

لا يزال الله ﷻ يعالج هذه القضية الخطيرة المتمثلة في السلوك الخاطئ الذي قد يدفع الانسان ليفعل مثل ما فعل حاطب ﷺ، واشتمل هذا العلاج على الحديث عن هذه القضية بلطف وود، والتوعية والتعليم، ثم التحذير من العواقب، وهو سبحانه بذلك يضع حدًّاً نهائياً لمثل هذا الفعل، ويُشعِر بخطره على سلامة المجتمع المسلم وأمنه، ولكنه تعالى في هذه المرة يسوق الأمثال ويضربها لهم، فالعمل للدين يحتاج إلى تضحية، وما يشعر به حاطب وغيره من الخوف على أهله لم يكن بدعاً ولا شاذاً، ولكن هذا الخوف وهذه الرابطة العاطفية الأسرية لا ينبغي لها أن تدفعه إلى مثل هذا الفعل. فإبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما تعلق الأمر بالكفر والإسلام، كان قراره حازماً وحاسماً في التبرأة من قومه وهو قدوة لنا. قال ابن عادل: «لما نهى الله تعالى عن موالاة الكفار ذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن من سيرته التَّبرؤ من الكفار، أي فاقتدوا به إلا في الاستغفار لأبيه»(١٠٧١).

وقال العُكبري: «قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ﴾ هو إستثناء من غير الجنس، والمعنى: لا تتأسوا به في الاستغفار للكفار»(١٠٧٢).

(١٠٦٩) انظر: الصحاح في اللغة ص٢٢ ـ ٢٣.

(١٠٧٠) انظر: ص١١٠.

(١٠٧١) اللباب ج١٩ ص١٥.

(١٠٧٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ص٥٥٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿أُسْوَةٌ﴾

إن من الواضح أن كلا القراءتين من اللغات العربية، فهما لغتان والمعنى قدوة[١٠٧٣]. وقال الدكتور محمد محيسن: «بضم الهمزة هي لغة قيس وتميم، وقال عن الكسر هي لغة الحجاز»[١٠٧٤]. إلا أن الضم من الممكن أن يفيد بيان قوة هذه القدوة والأسوة التي ذكرها الله تعالى وهي قصة إبراهيم مع قومه، ومن المعروف أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان أمة كما نص على ذلك القرآن الكريم، والضم يؤكد ذلك؛ لأن الضم من أقوى الحركات، بمعنى أن الله تعالى جاء لكم بقدوة وأسوة قوية لرجل له مكانة مهمة، وقوية في الدين، وفي الصبر والثبات، فحري بكم أيها المؤمنون أن تتبعوه، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يظهر مدى قوة أثر هذه القدوة والأسوة التي ذكرها الله تعالى وهي سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإبراهيم عليه السلام كان أمة في صبره وحلمه، وقوة حركة الضم دلَّت على قوة هذه الأسوة، وأهميتها في نفوس المؤمنين.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾

تمَّ الحديث عنها مفصلاً في سورة الذاريات[١٠٧٥].

٤ ـ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

(١٠٧٣) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٢٩٥.

(١٠٧٤) المستنير ج٣ ص١٧٥ (بتصرف).

(١٠٧٥) انظر: ص١١٠.

وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [الممتحنة: ١٠].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟﴾

١ ـ قرأ البصريان (ولا تُمَسِّكوا) بتشديد السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟﴾ بتخفيفها[١٠٧٦].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾

١ ـ قرأ المكي والكسائي وخلف (وسَلوا) بنقل حركة الهمزة إلى السين في الحالين، وحمزة في الوقف فقط.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾ بإسكان السين بعدها همزة مفتوحة[١٠٧٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (ولا تمسكوا): أمْسَكَ بالشَّيءِ وتَمَسَّك به اسْتَمْسَك به وامْتَسَكَ به كُلُّه بمعنى اعْتَصَم به، وكذا مَسَّكَ به تَمْسيكاً، وأمسك عن الكلام سَكَت[١٠٧٨].

ب ـ واسألوا: السؤال هو طلب الشيء يقال: سآل وسؤول وسُؤلة. وقوم سَأَلة وسؤَّال. وسألته عن كذا سُؤالاً ومسألة، وساءلته عنه مساءلة، وتساءلوا عنه، وسألته حاجة وأصبت منه سؤالي: أي: طَلْبَتي[١٠٧٩].

(١٠٧٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٤.
(١٠٧٧) انظر: غيث النفع ص٥٢٦، والنشر ج٢ ص٢٩٤، والبدور الزاهرة ص٤٠٢.
(١٠٧٨) انظر: مختار الصحاح ص٣٣٦.
(١٠٧٩) انظر: أساس البلاغة ص١٩٩.

التفسير:

قال القرطبي: «لما أمر الله تعالى المسلمين بترك موالاة المشركين، اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين عن بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وكان التناكح من أوكد أسباب الموالاة؛ فبيَّن أحكام مهاجرة النساء»[1080]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾. أي اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن فلقد كان صلح الحديبية الذي جرى بين رسول الله ﷺ وكفار مكة قد تضمَّن أن من أتى أهل مكة من المسلمين لم يُردَّ إليهم، ومن أتى المسلمين من أهل مكة رُدَّ إليهم، فجاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة إلى رسول الله ﷺ، فخرج في إثرها أخواها - عمارة والوليد - فقالوا للنبي ﷺ: ردها علينا بالشرط، فقال ﷺ: **«كان الشرط في الرجال لا في النساء»**، فأنزل الله تعالى الآية[1081].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي من المهر وذلك إذا كان الأزواج معاهدين، أما إذا كانوا حربيين فلا يعطون ما أنفقوا. وقوله: ﴿أُجُورَهُنَّۚ﴾ مهورهن[1082].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ قال: أيما امرأة كفرت بالله فقد انقطع ما بينها وبين زوجها المؤمن من العصمة ولا تعتدوا بها من أزواجكم[1083]. والإمساك هو الإبقاء على عقد الزواج بهنَّ[1084].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ﴾

(١٠٨٠) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٩٥.

(١٠٨١) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٤٤.

(١٠٨٢) انظر: روائع البيان ص٥٥٠.

(١٠٨٣) انظر: تنوير المقباس ص٥٥٠.

(١٠٨٤) انظر: كلمات القرآن ص٤٣٩.

كلا القراءتين بمعنى واحد، إلا أن التشديد يفيد المبالغة في التمسك[(١٠٨٥)].

قال ابن عادل: «(مسك، وأمسك) بمعنى واحد. يقال: أمسكت الحبل إمساكاً، ومسَّكته تمسيكاً، وفي التشديد مبالغة، والمخفف صالح أيضاً، والأصل (تتمسكوا) بتاءين فحذفت إحداهما»[(١٠٨٦)].

ويرى الباحث: أنَّ التشديد فيه إشارة لقطع الطريق على من يسول له الشيطان فعل ذلك، مستغلاً طول العشرة الزوجية والألفة بينهما، فجاء القرآن ليشرح ما قد يقع في القلوب، ويسبقهم بإصدار الحكم في التشديد في النهي لما في الفراق من صعوبة وثقل على النفس؛ ليمنعهم من التفكير الذي قد يَذْهَب بهم إلى المعصية والعياذ بالله.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين بعدم التمسك بِعِصَم الكافرات أو بزوجاتهم الكافرات، ويكون نهيهم عن المبالغة في هذا الأمر من باب أولى؛ وفي ذلك إشارة بضرورة تقديم أمر الله تعالى على ما يدور في النفس من نتائج هذا الانفصال، الذي يؤدي إلى الفراق والترك الذي هو صعب على هذه النفس البشرية التي تغصُّ بالمشاعر والأحاسيس، وتحنُّ إلى طول العشرة وحسن الصحبة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾

أفادت القراءة بدون همز (وسلوا) أي بمعنى اطلبوا حقكم مما أنفقتم من أموالكم في مهر تلك الزوجات، وكذلك مطلوب منكم أن تردوا مهر الزوجات المسلمات لأزواجهنَّ الكفار.

أما القراءة بهمز (واسألوا) فهي للدلالة على طلب ذلك بقوة، فهو حق

(١٠٨٥) بحر العلوم ج٣ ص٣٥٤.

(١٠٨٦) اللباب ج١٩ ص٢٧ (بتصرف).

لكم، وواجب عليهم أن يردوه لكم. ودل على ذلك زيادة الهمزة التي تدل على القوة والاجتهاد في الفعل.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما يؤكد الله ﷻ لنا بأحقية أخذ هذا الحق الذي شرعه لهم، ولا حرج في استرجاعه ولا إثم فيه.

تمت سورة الممتحنة بحمد الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الصف
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية، وهي أربع عشرة آية، وتتناول في طياتها الحديث عن القتال، وجهاد أعداء الله تعالى، والتضحية والبذل في سبيل إعزاز دين الله تعالى[١٠٨٧].

سبب التسمية:

سُمِّيت سورة الصف بهذا الاسم؛ للاصطفاف لقتال أعداء الله ﷻ، وتُسمَّى أيضاً سورة الحواريين وسورة عيسى، وذلك لذكر عيسى عليه السلام وحواريه الكرام[١٠٨٨].

سبب نزولها:

سبب نزولها هو قول شباب من المسلمين: فعلنا في الغزو كذا وكذا ولم يفعلوا، أو بسبب قول المنافقين للمؤمنين: نحن منكم ومعكم ثم يظهر

(١٠٨٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤٠٦، وروح المعاني ج١٤ ص٢٧٧، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٤٨.

(١٠٨٨) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٤٨.

من أفعالهم خلاف ذلك[١٠٨٩].

مناسبتها لما قبلها:

هذه السورة اشتملت على الحث على الجهاد، ورغبت فيه، وأكدت على النهي عن اتخاذ الكفار أولياء، وهذا ما تضمنته السورة التي قبلها[١٠٩٠].

الموضوع العام للسورة:

تحمل هذه السورة بين طياتها نقاطاً متعددة، كلها تخدم موضوعين أساسيين:

الموضوع الأول: هو استهداف السورة إلى التقرير والتأكيد في ضمير الإنسان المسلم أن دينه هو الدين القويم، والمنهج الإلهي المتكامل في صورته الأخيرة، فلقد سبقته صور منه تتناسب وأزماناً وأطواراً معينة في تاريخ البشرية، وسبقته كذلك مجموعة من التجارب للجماعات وللرسل الكرماء، كانت كلها بمثابة التمهيد لاستقبال هذا المنهج الذي هو خاتمٌ لجميع الرسالات.

أما الموضوع الثاني: فهو يقوم على جعل الإنسان المسلم يدرك هذه الحقيقة وتلك العقيدة؛ ليعرف حجم الأمانة التي تلقى على عاتقه تجاه دينه، مما يدفعه ذلك إلى البذل والجهاد والتقديم والعطاء والإخلاص، والتفاني لنصرة دينه دون تردد ولا وجل.

وأما النقاط التي تخدم هذين الهدفين فهما أيضاً نقطتان مركزيتان، النقطة الأولى: هي حث المؤمنين على الوفاء بما التزموا به، والتحذير من الإخلاف، والتأكيد على ضرورة العمل على نصرة دين الله تعالى وقتال أعداء الله تعالى بشجاعة وبسالة، فهي التجارة الرابحة الموجبة لرضى الله

(١٠٨٩) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٧٧.

(١٠٩٠) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٧٧.

تعالى ورحمته، وذكرت سنة الله تعالى في نصر عباده. والنقطة الثانية: تناولت موقف اليهود من دعوة موسى وعيسى عليهما السلام وما أصابهما من أذى وفي ذلك تسلية لرسول الله ﷺ(١٠٩١).

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (زاغُوْا) بالإمالة.

٢ ـ والآخرون (زَاغُوْا) بغير إمالة(١٠٩٢).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الزَّيْغُ المَيْلُ زاغ يزِيْغُ زَيْغاً وزَيَغاناً وزُيُوْغاً وزَيْغُوغةً وأَزَغْتُهُ أنا إزاغةً، وهو زائِغٌ من قوم زاغةٍ: مالَ وقومٌ زاغةٌ عن الشيء أي زائغون(١٠٩٣). وجاء في المعجم الوسيط: مال وتباعد يقال زاغت الشمس: مالت إلى الغروب. وقال: زَيَّغَه عوَّجَه. وأقام زيغه، وأصلح عوجه. وقال: والزيغ الميل عن الحق(١٠٩٤).

التفسير:

يخبر الله ﷻ رسولَه محمد ﷺ، ما حدث لنبيه وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام، من أذية وسوء من قومه، رغم أنهم كانوا يعلمون أنه

(١٠٩١) انظر: الظلال ج٦ ص٣٥٥٠، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٤٨.

(١٠٩٢) انظر: غيث النفع ص٥٢٨، والبدور الزاهرة ص٤٠٤.

(١٠٩٣) انظر: لسان العرب ج٨ ص٤٣٢.

(١٠٩٤) انظر: المعجم الوسيط ص٤٠٩ / وهو مجلد واحد يحوي جزأين / المكتبة الإسلامية استنبول تركيا ط١ ـ ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.

مرسل من الله تعالى، إلا أنهم وبرغم ذلك، لم يكفوا عن إيذائه ولم يسمعوا ويطيعوا له، لذلك وبسبب هذا الزيغ والميل عن الحق أزاغ الله تعالى قلوبهم عن الهدى؛ ولما ذكر الله ﷻ أمر الجهاد في أول السورة بيَّن ﷻ أن موسى وعيسى عليهما السلام أُمِرَا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله تعالى؛ وحل العقاب بمن خالفهما؛ أي واذكر لقومك يا محمد عليه الصلاة والسلام هذه القصة ليتعظوا بقصص من سبقهم(١٠٩٥).

ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «أي لم توصلون الأذى إليَّ وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة. وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمره له ﷺ بالصبر. وقال أيضاً: وكذلك فيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ. وقال في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي فلما عدلوا عن إتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان»(١٠٩٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون إمالة (زاغوا) على معنى أنهم مالوا عن الحق.

أما القراءة بالإمالة فجاءت لتؤكد معنى الفعل الذي قاموا به وهو الميل، فلو سأل سائل ما معنى زاغوا؟ لأجابته القراءة بالإمالة يعني مالوا. وفيه إشارة أنَّ الميل والزيغ حدث لهم في القول والفعل كما أن الميل جاء في اللفظ على قراءة الإمالة وفي المعنى أيضاً والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بينهما يظهر تأكيد المعنى المراد من الكلمة وهو الميل عن الحق، وإشارة إلى أن الميل حدث في القول والفعل عندهم، فهم يذكرون

(١٠٩٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤٠٩.

(١٠٩٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٨٤ (بتصرف).

غير الحق ويفعلون الباطل.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِى﴾

١ ـ قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان وشعبة (من بَعْدِيَ) بفتح الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مِنۢ بَعْدِى﴾ بإسكان الياء(١٠٩٧).

ب ـ قوله تعالى: ﴿سِحْرٌ﴾

١ ـ قرأ الأخوان وخلف (سَاحِر) بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سِحْرٌ﴾ بكسر السين وحذف الألف وإسكان الحاء(١٠٩٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ من بعدي: البُعْد ضدُّ القُرْب، وقد بَعُد بالضم بُعْداً فهو بَعيد أي مُتَبَاعِدٌ، وأبعَدَه غيره وباعَده وبَعَّد تبعيداً. وقال: والأباعِد ضدُّ الأقَارب وبَعْدُ ضِدُّ قَبْل(١٠٩٩).

ب ـ سحر: السِّحْرُ عَمَلٌ تُقُرِّبَ فيه إلى الشيطان، وبمعونةٍ منه، كل ذلك الأمر كينونة للسحر. ومن السحر الأُخْذَةُ التي تَأْخُذُ العينَ حتى يُظَنَّ أن

(١٠٩٧) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٩، والنشر ج٢ ص٢٩٥.

(١٠٩٨) انظر: البدور الزاهرة ص٤٠٣.

(١٠٩٩) انظر: مختار الصحاح ص٤٢، ٤٣.

الأمر كما يُرَى وليس الأصل على ما يُرى. والسِحْرُ الأُخْذَةُ وكلُّ ما لَطُفَ مأْخَذُه ودقَّ فهو سِحْرٌ والجمع أسْحَارٌ وسُحُورٌ(١١٠٠).

التفسير:

وهذا مثال آخر يسوقه الله ﷻ لرسوله وللمؤمنين من أخبار من سبقهم من الأنبياء والمرسلين. وذلك مزيد تسرية للنبي ﷺ، وكذلك لبيان ما يحدث لمن يكذب وينكر ولا يطيع لأمر النبي ﷺ، وفيه عبرة للمؤمنين الذين يتبعون محمد ﷺ؛ وذلك ليتَّعِظوا فلا يفعلوا مثل ما فعل من سبقهم.

قال الصابوني: «أي واذكر يا محمد عليه الصلاة والسلام لقومك هذه القصة أيضاً حين قال عيسى لبني إسرائيل إني رسول الله أرسلت إليكم بالوصف المذكور في التوراة. قال وقوله تعالى: ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي حال كوني مصدقاً ومعترفاً بأحكام التوراة وكتب الله تعالى وأنبيائه جميعاً، ولم آتِكم بشيء يخالف التوراة حتى تنفروا عني. ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ أي وجئت لأبشركم ببعثة رسولٍ يأتي بعدي يسمى أحمد»(١١٠١). قال القرطبي: «وقال عيسى: يا بني إسرائيل ولم يقل: يا قوم كما قال موسى؛ لأنه لا نسب له فيهم فيكونون قومه»(١١٠٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِى﴾

إن تحريك الياء بالفتح هي على الأصل، ومن أسكن حذف الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين، والساكنان هما الياء والسين(١١٠٣).

وقال ابن خالويه: «فالحجة لمن فتح التقاء الساكنين: سكونها وسكون

(١١٠٠) انظر: لسان العرب ج٤ ص٣٤٨.

(١١٠١) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٥١ (بتصرف).

(١١٠٢) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤٠٩.

(١١٠٣) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٥٢٨.

السين. والحجة لمن أسكنها استثقال الحركة فيها»[١١٠٤].

ويرى الباحث: أنَّ هذا الكلام صحيح إلا أن الفتح واثبات الياء فيه محافظة على بقاء الضمير وهي الياء حاضرة في اللفظ، وفيه إشعار بالتخصيص بمعنى أنه سيأتي من بعدي أنا مباشرة وبدون فاصل، لا من بعد غيري. وهذا حق وقد وقع فعلاً فالنبي محمد ﷺ قد جاء بعد عيسى عليه الصلاة والسلام ولم يفصل بينهما نبي ولا مرسل. أما القراءة بسكون الياء فإنه سيؤدي إلى سقوطها لفظاً بسبب التقاء الساكنين، وبحذف الياء فأن المعنى يصبح بحاجة إلى توضيح، هل سيأتي محمد ﷺ بعد عيسى مباشرة أم بعده ولكن بوجود فاصل أو نبي آخر؟ فجاءت القراءة بإثبات الضمير المخصص وهي الياء المفتوحة؛ لتفيد مجيئه بعد عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مباشرة والله تعالى أعلى وأعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر بأن عيسى عليه الصلاة والسلام أخبر قومه بأن محمداً ﷺ سيأتي بعده مباشرة لا من بعد غيره والله تعالى أعلم.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿سِحۡرٌ﴾

أفادت القراءة بإثبات الألف وكسر الحاء (ساحر) على أنها نعت لمن يقوم بهذا الفعل.

أما القراءة بدون ألف وبإسكان الحاء فهي نعت لنفس الفعل.

قال السمرقندي: «فمن قرأ (ساحر) فهو فاعل، ومن قرأ (سحر) فهو نعت الفعل»[١١٠٥].

وقال ابن عادل: «قرأ حمزة والكسائي: (ساحر) نعتاً للرجل. قال:

(١١٠٤) الحجة في القراءات السبع ص٣٤٥.

(١١٠٥) بحر العلوم ج٣ ص٣٥٨.

والباقون (سحر) نعتاً لما جاء به الرسول»[1106].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر بأن هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى: كذبوا بما جاءهم به رسول الله ﷺ من البينات والمعجزات الدالة على نبوءته وقالوا عنها: إنها سحر، وليس ذلك فحسب، بل اتهموا الرسول نفسه أنه هو الساحر، الذي يفعل هذا السحر، وبذلك فإنهم قد شككوا بالرسول وبما جاء به الرسول ﷺ؛ ليضمنوا نفور الناس عنه، وذهابهم من حوله.

٣ ـ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿لِيُطْفِئُوا۟﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر (لِيُطْفُوا) بحذف الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِيُطْفِئُوا۟﴾ بإثباتها[1107].

ب ـ قوله تعالى: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير المكي وحفص والأخوان[1108] ﴿مُتِمُّ﴾ غير منونة و﴿نُورِهِۦ﴾ بالخفض.

٢ ـ وقرأ الباقون (مُتِمٌّ) بالتنوين و(نورَهُ) بنصب الراء[1109].

(١١٠٦) اللباب ج١٩ ص٥٤.

(١١٠٧) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٣٧.

(١١٠٨) وهما: حمزة والكسائي.

(١١٠٩) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٦٤، والبدور الزاهرة ص٤٠٣.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ ليطفئوا: طَفِأَتِ النارُ تَطْفَأُ طفأً وطُفُوءاً وانْطَفَأَتْ ذهب لَهَبُهَا(١١١٠). وجاء في المعجم الوسيط أطفأ النار أو الفتنة ونحوها: أخمدها(١١١١).

ب ـ متم: تَمَّ الشيءُ يتِمّ بالكسر تَمَامَاً وأتمَهُ غيره وتمَّمهُ واسْتَتَمَّه بمعنى وأتَمَّت الحُبْلى فهي مُتِمٌ إذا تَمَّت أيامُ حَمْلِها ووَلَدَتْ لتَمَام وتِمَام ووُلِدَ المولودُ لتَمام وتِمام. وقمر تَمام وتِمامٌ إذا تَمَّ ليلة البَدْر(١١١٢).

ج ـ نور: النُّور الضِّياء والجَمْع أَنْوَار. وأَنَارَ الشَّيْءُ واسْتَنَار بمعنى أي أضَاء، والتَّنْوِيرُ الإنارة وهو أيضاً الإسْفار، وهو أيضاً إزْهار الشَّجَرَة، يقال: نوَّرت الشَّجَرة تَنْويراً وأَنَارَت أي أخْرَجَتْ نَوْرَها(١١١٣).

التفسير:

يبيِّن الله تعالى أن هؤلاء الكفار والمشركين يريدون أن يبطلوا دين الله تعالى، وذلك بتكذيب رسوله ﷺ، واتهامه بالسحر والكهانة أو بالسفه والجنون وغيره من التهم، ولكن مثل هذه الأقوال لا يمكن لها أن تمنع الحق أو أن تبطل دين الله تعالى، لأن الله تعالى تكفَّل بظهوره سواءً رضوا أم سخطوا.

وجاء في جامع البيان: «يقول تعالى ذكره يريد هؤلاء القائلون لمحمد ﷺ: هذا ساحر مبين ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يقول: يريدون ليبطلوا الحق الذي بعث الله تعالى به محمداً ﷺ بأفواههم يعني بقولهم إنه ساحر، وما جاء به سحر، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ يقول الله تعالى معلنٌ الحق ومظهر دينه وناصر محمداً عليه الصلاة والسلام على من عاداه فذلك إتمام نوره، وعني

(١١١٠) انظر: لسان العرب ج١ ص١١٤.
(١١١١) انظر: المعجم الوسيط ص٥٥٩.
(١١١٢) انظر: مختار الصحاح ص٥٥.
(١١١٣) انظر: مختار الصحاح ص٣٦٦.

بالنور في هذا الموضع الإسلام»[١١١٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾

أفادت القراءة بدون همز على معنى أنهم يسعون ليمنعون دين الله تعالى ويعملون على القضاء على دعوة رسول الله ﷺ.

أما القراءة بالهمز فقد بيّنت بأنهم يفعلون ذلك بقوة وبأقصى ما يملكون من جهد ووقت ومال، للوصول إلى غايتهم. ودل على ذلك وجود الهمز التي تشعر بالقوة والصعوبة في النطق، وهذه الصعوبة تدل على مدى ما يتحمله المشركون من المشاق للوصول إلى غايتهم، وذلك لأن الرسول ﷺ جاءهم بما يتعارض مع مصالحهم الشخصية وأهوائهم الباطلة، فهم يدافعون بقوة ويحاولون مراراً وتكراراً أن يطفئوا هذا النور، إلا أنه وبرغم من ذلك كله، فإن الله تعالى بقوته التي لا تُغلب سيُتم نوره وينشر هداه.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يتبيّن لنا قوة اجتهاد الكافرين، وما يبذلونه من مال وجهد ووقت، ليبُطلوا دين الله تعالى؛ إلا أن قوة الله أشد، وإرادته أعظم، ولا مطفئ لنوره ولا مبدل لكلماته.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾

أفادت القراءة بدون تنوين وبالجر على الإضافة والتخفيف. قال ابن عاشور: «وهي من إضافة اسم الفاعل على مفعوله»[١١١٥].

أما القراءة بالتنوين وبنصب نوره فهو الأصل في اسم الفاعل إذا كان

(١١١٤) جامع البيان للطبري ج١٠ ص٨٠١٩.

(١١١٥) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص١٩١.

للحال أو الاستقبال[1116].

وعلى هذا يكون المعنى أن الله تعالى متمٌ نورَه تماماً كاملاً في الحال وفي الاستقبال، وفي كل وقت، فالله ﷻ سينصر دينه في كل وقت، وحين في الحال وفي الاستقبال وعلى الدوام وأن هذا الظهور وهذا النصر هو ظهورٌ جليٌ وقويٌ، ودلَّ على ذلك: التنوين الذي هو للتكثير في اللفظ كما قال السيوطي[1117].

وقد ورد نحو ذلك في رسالة الباحثة أحلام أبو شعبان عند تفسير سورة الأنفال[1118].

وقال أبو منصور: «من قرأ (متمُّ نورِهِ) فهو على الإضافة. ومن قرأ (متمٌ نورَه) نصب النور بإيقاع الإتمام عليه والمعنى واحد»[1119].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يخبرنا الله تعالى بأنه سيتم نوره تماماً كاملاً وكثيراً وقوياً في الحال والاستقبال، وفي كل وقت وحين.

٤ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر الشامي (تُنَجِّيكم) بتشديد الجيم وفتح النون.

(١١١٦) انظر: الكشف ج٢ ص٣٢٠.

(١١١٧) انظر: الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي ج٢ ص١٤٠ / دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

(١١١٨) انظر: رسالة ماجستير بعنوان تفسير القرآن بالقراءات العشر ص٩٦ ـ إشراف د. زهدي أبو نعمة.

(١١١٩) معاني القراءات ج٣ ص٦٨.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُنجِيكُم﴾ بتخفيف الجيم وسكون الميم[١١٢٠].

المعنى اللغوي للقراءتين:

نجوت من كذا نجاءً ممدودٌ، ونجاةً مقصورٌ. والصدق منجاةٌ. وأنْجَيْتُ غيري ونجَّيْتُهُ. ونجوتُ أيضاً نجاءً ممدودٌ أي أسرعت وسبقت. والناجِيَةُ: السريعةُ تنجو بمن ركبها[١١٢١].

التفسير:

بعد أن ضرب الله تعالى أمثلة وحكايات عن الذين سبقوا، وكيف كان فعلهم مع أنبيائهم، وحذر الله تعالى المؤمنين من أن يسلكوا مسلكهم، وبيَّن أن هؤلاء الكفار الذين اختاروا تكذيب رسول الله تعالى لن يستطيعوا أن يظهروا على دين الله تعالى، بل إن دينه هو الذي سينتصر وسيظهر؛ بعد كل هذا يأخذ الله سبحانه المؤمنين بلطف إلى رضوانه وجنان طاعته، والبعد عن معصيته ويشجعهم على ذلك بقوله: هل أرشدكم وأخبركم بما ينجيكم من العذاب، ثم بيَّن أن هذا يكون بالإيمان به سبحانه وبرسوله ﷺ وبالجهاد في سبيل الله تعالى بالأموال والأنفس، قال الصابوني: «أي يا من صدقتم الله تعالى ورسوله ﷺ وآمنتم بربكم حق الإيمان، هل أدلكم على تجارة رابحة جليلة الشأن؟ والاستفهام للتشويق ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي تخلصكم وتنقذكم من عذاب شديد مؤلم»[١١٢٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ذكر ابن خالويه: بأن معناهما قريب، وهما لغتان[١١٢٣]، وقال أيضاً:

(١١٢٠) انظر: تحبير التيسير ص٢١٧.

(١١٢١) انظر: الصحاح في اللغة ص١١٤٥.

(١١٢٢) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٥٣.

(١١٢٣) انظر: الحجة في القراءات ص٣٤٥.

وهما سواء العرب تقول: أكرم وكرَّم. وأنجى ونجَّى بمعنى واحد[(١١٢٤)].
وذهب أبو منصور أيضاً إلى أنهما بمعنى واحد[(١١٢٥)].

ويرى الباحث: أن هذا الذي ذهب إليه العلماء لا يمنع النظر والتأمل لمعرفة الفرق المحتمل بينهما خاصة أننا أمام حرف مشدد، والتشديد يحمل معنى المبالغة والتأكيد كما بيَّنا في آيات سابقة، وعليه فيكون المعنى على قراءة التشديد بيان أهمية وقوة هذه التجارة، ليلفت انتباه الناس إليها فهي ليست كأي تجارة، لأنها تنجي من عذاب الله تعالى الأليم، فهي تجارة رابحة تماماً تفعل فعلها في تخليص الناس من النار، وإدخالهم في رحمة الله تعالى بإذنه سبحانه. كذلك فإن التشديد فيه معنى الاستمرار في الفعل، فهي أي هذه التجارة تنجِّي على الدوام مرة بعد مرة؛ لأن العذاب لا يقتصر على الآخرة، ولكن ربما يكون في الدنيا أيضاً وعلى فترات، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يعلمنا الله تعالى عن فضل هذه التجارة، ويخبرنا أنها تجارة ذات ميزة مهمة؛ لأنها تقوم بفعل قوي ومهم وهو تنجية الناس من العذاب مرة بعد مرة، وعلى الدوام وبكثرة، وهذا ما أفادته قراءة التشديد والله تعالى أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾

(١١٢٤) انظر: إعراب القراءات السبع ج٢ ص٣٦٤.

(١١٢٥) انظر: معاني القراءات ج٣ ص٦٨.

١ ـ قرأ ابن عامر ويعقوب والكوفيون (أنصَارَ الله) بغير تنوين، ويقفون على الراء، ويبتدئون لفظ (الله) بهمزة الوصل.

٢ ـ وقرأها الباقون وهم المدنيان والمكي والبصري (أنصَاراً لله) بالتنوين ولام الجر ويقفون بألف ويبتدئون (لله) بدون همزة وصل[١١٢٦].

ب ـ **قوله تعالى:** ﴿مَنْ أَنصَارِىَ إِلَى ٱللَّهِ﴾

١ ـ قرأ المدنيان[١١٢٧] (أنصاريَ) بفتح الياء.

٢ ـ وقرأها الباقون (أنصاريْ) بالسكون[١١٢٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

النَّصر إعانة المظلوم؛ نصره على عدوّه ينصُره ونصَره ينصُره نصرَاً، ورجل ناصِر من قوم نُصَّار ونَصْر مثل صاحب وصحْب وأنصار[١١٢٩].

التفسير:

هذه الآية تلخص ما جاءت به الصورة الكريمة، وتبيَّن ما هو المطلوب من المؤمنين، وتبيّن ما هو مطلوب منهم تجاه نبيهم ودينهم، فإذا كان النبي عيسى عليه السلام الذي جاء ليبشر بنبوءة محمد ﷺ كان له أنصار ومستخلصون ينصرونه ويدافعون عنه فحري بكم أنتم أن تكونوا أنصاراً لهذا النبي ولدينه.

قال سيد قطب: «في هذا الموضع الكريم الذي يرفعكم إليه الله. وهل أرفع من مكان يكون فيه العبد نصيراً للرب؟ إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم.

(١١٢٦) انظر: تقريب النشر في القراءات العشر ص٢٥٥، والبدور الزاهرة ص٤٠٣.

(١١٢٧) المدنيان هما: نافع وأبو جعفر.

(١١٢٨) انظر: تحبير التيسير ص٢١٧، والبدور الزاهرة ص٤٠٣.

(١١٢٩) انظر: لسان العرب ج٥ ص٢١٠.

وقال: وعيسى عليه السلام جاء ليبشر بالنبي الجديد والدين الأخير فما أجدر أتباع محمد ﷺ أن ينتدبوا لهذا الأمر الدائم، كما انتدب الحواريون للأمر الموقوت؛ وهذه هي اللمسة الواضحة في عرض هذا الحوار في هذا السياق»[(١١٣٠)].

وذكر القرطبي أنَّ في هذه الآية أكَّد الله تعالى أمر الجهاد؛ أي كونوا حواري نبيكم؛ ليظهركم الله على من خالفكم كما أظهر حواري عيسى على من خالفهم. وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ الطائفتان في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام افترقوا بعد رفعه إلى السماء[(١١٣١)]. وقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ أي قوينا الذين آمنوا بعيسى، وأنه عبد الله ورسوله فأصبحوا غالبين عالين. وقيل المقصود بالآية هم المؤمنون الذين بايعوا الرسول عليه الصلاة والسلام في العقبة، وآووه ونصروه حتى أظهر الله دينه[(١١٣٢)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: (كونوا أنصاراً لله)

أفادت القراءة بالتنوين على معنى التبعيض بمعنى كونوا بعض أنصار الله تعالى؛ لتنالوا هذا الشرف؛ لأن أنصار الله تعالى كُثُر على مر العصور والأزمان فكونوا بعضهم.

قال الألوسي: في قوله تعالى: **(أنصاراً لله)** «بالتنوين وهو للتبعيض فالمعنى كونوا بعض أنصاره عز وجل»[(١١٣٣)]. وقال بذلك البيضاوي أيضاً[(١١٣٤)].

(١١٣٠) الظلال ج٦ ص٣٥٦٠، ٣٥٦١ (بتصرف).

(١١٣١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤١٣، ٤١٤.

(١١٣٢) انظر: روائع البيان ص٥٥٢.

(١١٣٣) روح المعاني ج١٤ ص٢٨٥.

(١١٣٤) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٣٣٥.

أما القراءة بالإضافة (أنصار الله) فهي على معنى دوموا على ذلك الفعل.

ذكر مكي القيسي: أن الحجة لمن أضاف أنه على معنى دوموا على ذلك. وحجة من نوَّنه أنه حمله على معنى أنه أمرهم أن يدخلوا في أمرٍ لم يكونوا عليه. وقال: ويجوز أن تكون القراءتان بمعنى(١١٣٥).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يأمرنا الله تعالى أن نكون بعض أنصاره الكثيرين، فإن أنصار الله تعالى كُثُر، وأمرنا كذلك أن نداوم ونستمر على ذلك الفعل.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ﴾

أفادت القراءة بسكون الياء على معنى أن عيسى عليه السلام يسأل أصحابه، ويستحثهم على أن يكونوا كذلك. قال حقي: «قال بعض المفسرين «من» يحتمل أن يكون استفهاماً حقيقياً ليعلم وجود الأنصار ويتسلى به، ويحتمل العرض والحث على النصرة»(١١٣٦).

أما القراءة بفتح الياء فقد جاءت منسجمة مع القوة اللازمة للنصر. فالحديث هنا عن القوة التي تؤدي إلى النصر، وحركة الفتح أقوى من السكون، فجاءت مفتوحة قوية؛ لتنسجم مع حال الآية ونوع الطلب، فهو يحتاج إلى أنصار يقوُّونه ويعينونه، وفيه إظهار لهم بما هو مطلوب منهم، وهي القوة والنصرة والدفع. لذلك ناسب ذلك الفتحة، والدفع في اللفظ يدل على احتياجه إلى من يدفع عنه السوء والشر، والله تعالى أعلم. وقد مر مثل ذلك عند تفسير سورة المجادلة(١١٣٧).

(١١٣٥) انظر: الكشف ج٢ ص٣٢١.

(١١٣٦) تفسير حقي ج٩ ص٥٠٤.

(١١٣٧) انظر: ص٣٢٣.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يطلب عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام من أصحابه أن يكونوا أنصاراً قويين وفاعلين لدين الله تعالى ضد أعدائه، وكذلك أن يكونوا دائمين على هذا الفعل من نصر ومؤازرة، والله تعالى أعلم.

تمت سورة الصف بحمد الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة المنافقون المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية، وهي إحدى عشرة آية، وتتحدث هذه السورة وبإسهاب عن النفاق والمنافقين، وتعرض لنا صوراً مهمة عن عقليتهم وقلوبهم المريضة، وتفضح سرهم، وتكشف سترهم في عرضها لأخلاقهم وأفعالهم وصفاتهم الذميمة(١١٣٨).

سبب تسميتها بهذا الاسم:

سميت هذه السورة بسورة المنافقين لأنها تركز في آياتها على ذكر النفاق والمنافقين، وتفضحهم وتكشف سترهم(١١٣٩).

مناسبتها لما قبلها:

أنه لما ذكر الله ﷻ المؤمنين في السورة السابقة، ذكر هنا المنافقين، أو أنه لما كان المنافقون هم سبب انفضاض المؤمنين عن رسول الله ﷺ، جاءت بعدها سورة (المنافقون) لتذكرهم وتحذرهم(١١٤٠).

(١١٣٨) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص٤٣٦، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٦١.
(١١٣٩) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٦١.
(١١٤٠) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٣٠٣.

الموضوع العام للسورة:

إن الموضوع العام والمركزي لهذه السورة هو الحديث عن المنافقين، بل إن هذه السورة الكريمة تكاد أن تكون مقصورة للحديث عن المنافقين، فلقد بدأت السورة بالحديث عنهم وعن أخلاقهم وصفاتهم الذميمة، التي منها: الكذب والتآمر على رسول الله ﷺ، ومخالفة ظاهرهم للباطن الذي في قلوبهم، وفضحتهم، ثم ذكرت جانباً من مقالاتهم الشنيعة الباطلة في حق رسول الله ﷺ إذ كانوا يقولون:

إنهم سيطردون رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين بعد عودتهم من غزوة بني المصطلق؛ وذلك لاعتقادهم بأن رسول الله ﷺ سيهزم، وأن دعوته ستزول وتنتهي، وفي مقابل ذلك دعت السورة في ختامها إلى عدم الانشغال بزينة الدنيا عن طاعة الله تعالى وعبادته، وفي ذلك إشارة للمؤمنين وتحذيرٌ لهم من أن ينشغلوا عن مكر المنافقين لهم، وتحذيرهم من أن يسيروا سير المنافقين في فعلهم وقولهم[(١١٤١)].

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿خُشُبٌ﴾

١ ـ قرأ قنبل عن ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (خُشْبٌ) بإسكان الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿خُشُبٌ﴾ بضمها[(١١٤٢)].

ب ـ قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ﴾

(١١٤١) انظر: الظلال ج٦ ص٣٥٧٢، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٦١.

(١١٤٢) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٦٥، والبدور الزاهرة ص٤٠٥.

١ ـ قرأ ابن عامر الشامي وعاصم وحمزة وأبو جعفر المدني ﴿يَحْسَبُونَ﴾ بفتح السين.

٢ ـ وقرأ الباقون (يحسِبون) بالكسر(١١٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ خُشُب: قال ابن منظور: الخَشَبَةُ ما غَلُظَ مِن العِيدانِ، والجمع خَشَبٌ، مثل شجرةٍ وشَجَر، وخُشُبٌ وخُشْبٌ وخُشْبَانٌ. وقال: وتضم الشين وتسكن تخفيفاً(١١٤٤).

ب ـ يحسبون: الحسيب هو الله تعالى وهو الكافي. والحَسَب الشرف. حسب المال ونحوه حِساباً، وحُسْباناً: عدَّه وأحصاه وقدَّره فهو حاسب(١١٤٥). ويحسب بمعنى يظن وقد ورد بيانها عند تفسير سورة المجادلة(١١٤٦).

التفسير:

تصور لنا هذه الآية الكريمة بعض صور وأخلاق المنافقين، إذ أنهم أجسام بلا أرواح، وأبدان بلا قلوب، ورؤوس بلا عقول، فهم لا يسمعون ولا يعقلون، خطرهم شديد على معسكر المؤمنين، وهم دائموا الترقب والترصد والخوف والقلق والجبن؛ لأنهم يدركون عاقبة فعلهم، لذلك حذرت هذه الآية الشريفة منهم ومن مكرهم. قال ابن كثير في بيان معنى هذه الآية: «أي وكانوا أشكالاً حسنةً وذوي فصاحة وألسنة وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي

(١١٤٣) انظر: غيث النفع ص٥٢٩، وإتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٣٩.

(١١٤٤) انظر: لسان العرب ج١ ص٣٥١، ٣٥٢.

(١١٤٥) انظر: المعجم الوسيط ص١٧١.

(١١٤٦) انظر: ص٣٢٠.

كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم»[١١٤٧]. وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ هو ذمٌ لهم، أي كأنهم في جلوسهم مجالس الرسول ﷺ وهم مستندون فيها فارغة قلوبهم من الإيمان والخير، كأنهم بهذا المنظر والمضمون خشب منصوبة مسندة إلى الحائط، لا تحس ولا تعقل ولا تتحرك، فهي أجرام خالية عن الأرواح لا نفع فيها ولا ثمر. وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي واقعة عليهم ضارَّة لهم؛ لجبنهم وهلعهم. وقوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي الكاملون في العداوة الراسخون فيها. وقوله تعالى: ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ أي اتق شرهم. وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق والرشد إلى ما هم عليه من الكفر والضلال[١١٤٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾

قال ابن خالويه: «فالحجة لمن أسكن أنه شبهه في الجمع: ببَدَنَة وبُدْن، ودليله قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم﴾ [الحج: ٣٦]. أو يكون أراد الضم، فأُسكِنَ تخفيفاً.

والحجة لمن ضم الشين: أنه أراد جمع الجمع كقولهم: ثِمار وثُمُر»[١١٤٩]. ويحتمل أن يكون المعنى عند القراءة بإسكان الشين (خُشْب) هي الخشبة التي نُخِرَ جوفُها؛ وذلك تشبيهاً بحال المنافقين الذين فسدت بواطنهم.

قال الألوسي: «بإسكان الشين تخفيف خشب المضمومة، ونظيره بدنة وبدن. وقيل: جمع خشباء كحمر وحمراء، وهي الخشبة التي نُخِرَ جوفُها،

(١١٤٧) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٩٣.

(١١٤٨) انظر: روائع البيان ص٥٥٤، وتفسير ابن عربي ج٢ ص٣٢٤.

(١١٤٩) الحجة للقراءات ص٣٤٦.

شُبّهوا بها في فساد بواطنهم لنفاقهم»[١١٥٠]. وقال بذلك أبو حيان[١١٥١].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبرنا الله تعالى أن هؤلاء المنافقين لا خير فيهم، فهم مثل الخشب المسندة التي لا فائدة فيها ولا نفع، وهي نخرة من الجوف فاسدة لا تصلح لشيء، وهم كذلك فاسدون في بواطنهم، لا نفع منهم ولا خير فيهم حتى لو كانت أشكالهم حسنة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ﴾

قال الرازي: «وحَسِبْتُه صالحاً بالكسر أحْسِبَه بالفتح والكسر مَحْسَبَةً بكسر السين وفتحها وحِسْبَاناً بالكسر ظَنَنْتُه»[١١٥٢].

وقال الفيومي المقري: حسبت المال حسباً من باب قتل أحصيته عدداً، وفي المصدر أيضاً حسبة بالكسر وحسباناً بالضم[١١٥٣]. كل ما ذُكر يدل على أن كلا القراءتين بمعنى واحد.

فمعنى الحسب كما ورد في التعريف هو الظن أو هو العد، والعد يختلف في المعنى عن الظن؛ لأن الظن يطلق على الشك، وقد يطلق أيضاً على اليقين[١١٥٤]؛ بينما العد يطلق على الشيء المعتدّ به المحسوب، فهو معلوم وغير ساقط[١١٥٥]. وإذا علمنا أن الكسرة أقوى من الفتحة في الاستدلال، فيمكن القول بأن القراءة بالكسر جاءت لتؤكد بأن هؤلاء المنافقين كانوا من شدة رعبهم كلما نادى منادٍ، أو وقعت واقعة، ظنّوا أنهم هم المقصودون بذلك؛ لأنهم على وجل من أن يهتك الله أستارهم،

(١١٥٠) روح المعاني ج١٤ ص٣٠٦.

(١١٥١) انظر: البحر المحيط ج٨ ص٢٦٨.

(١١٥٢) مختار الصحاح ص٨٥.

(١١٥٣) المصباح المنير ص٨٣ ـ ٨٤.

(١١٥٤) انظر: المصباح المنير ص٢٣٠.

(١١٥٥) انظر: المصدر السابق ص٢٣٦.

ويكشف أسرارهم، فهم يتوقعون الإيقاع بهم ساعة فساعة[1156]؛ وهذا الظن كان قوياً لدرجة اليقين، ودلَّ عليه، قوة الرعب الذي كان يصيب قلوبهم، وحركة الكسر التي هي أقوى من الفتح[1157]، فجاءت القراءة بالكسر؛ لتشير إلى المعنى المقصود من القراءة بالفتح والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر مدى الرعب الذي كان يعيش به المنافقون، لدرجة أنهم كانوا يظنون ظناً قوياً وصل إلى درجة اليقين أن الله تعالى سيكشفهم في أيَّة لحظة؛ لذلك كانوا كلما نادى منادِ الحرب، أو سمعوا صوتاً، اعتقدوا أنهم هم المقصودون من شدة خوفهم.

٢ ـ **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وروح (لَوَوْا) بتخفيف الواو الأولى.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿لَوَّوْا﴾ بتشديدها[1158].

المعنى اللغوي للقراءتين:

لَوَ الحَبْلَ فَتَلَه. يَلْويه لَيّاً. ولَوَى رأسه وألْوَى برأسه أمَالَه وأعْرَض. وقال: وقولُه تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ التشديد لكثرة المبالغة[1159]. وقال في الصحاح: وألْوى برأسه: أمال وأعرض[1160].

(١١٥٦) انظر تفسير الرازي ج١٠ ص٥٤٧.

(١١٥٧) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / د. فاضل السامرائي ص١٠٢.

(١١٥٨) انظر: تحبير التيسير ص٢١٨.

(١١٥٩) انظر: مختار الصحاح ص٣٢٨.

(١١٦٠) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٧١.

التفسير:

وهذه صورة أخرى من صورهم، وصفة أخرى من صفات هؤلاء المنافقين؛ وذلك أنهم رفضوا الرجوع عن النفاق، وأبوا أن يتوبوا، وأصرُّوا على الصدود والاستكبار.

قال القرطبي: «لما نزل القرآن بصفتهم مشى إليهم عشائرهم وقالوا: افتضحتم بالنفاق فتوبوا إلى رسول الله ﷺ من النفاق، واطلبوا أن يستغفر لكم. فلووا رؤوسهم؛ أي حركوها استهزاء وإباء»(١١٦١). وأعرضوا واستهزءوا(١١٦٢).

وقوله تعالى: ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي وتراهم يصدون ويمتنعون عمَّا دُعوا إليه، وهم متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ، وجيء بصيغة المضارع ليدل على استمرارهم على الإعراض والعناد(١١٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف اكتفاء بإسناد الفعل إلى واو الجماعة، وبيان فعلهم القبيح رداً على دعوتهم للاستغفار والتوبة.

أما القراءة بالتشديد فقد دلَّت على التكثير والمبالغة في هذا الفعل وإصرارهم عليه(١١٦٤).

قال ابن عاشور: «﴿لَوَّوْا﴾ بتشديد الواو الأولى هي مضاعف لوى؛ للدلالة على التكثير فيقتضي كثرة اللَّي منهم، وبتخفيف الواو الأولى اكتفاءً بإسناد الفعل إلى ضمير الجماعة»(١١٦٥).

(١١٦١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤٤٠.

(١١٦٢) انظر: كلمات القرآن ص٤٤٠.

(١١٦٣) انظر: البحر المحيط ج٨ ص٢٦٩.

(١١٦٤) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٣١٤، والكشاف ج٤ ص١٠٢.

(١١٦٥) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٢٤٤ (بتصرف).

وذكر مكي: أن في التشديد معنى التكثير، أي: لوَّوهَا مرة بعد مرة، وفي التخفيف معنى التقليل، ويصلح للتكثير أيضاً(1166).

وقال ابن زنجلة عن قراءة التشديد: «وحجتهم في ذلك أن الرؤوس جماعة فوجهها التشديد، وكذلك كل فعل يكثر مرة بعد مرة»(1167).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يظهر شدة إصرارهم على نفاقهم، ومدى تكبرهم وجحودهم؛ فهم غير مترددين في عدم ذهابهم لرسول الله ﷺ، فهم بفعلهم وَبِلَيِّ رؤوسهم مرة بعد مرة، يؤكدون بأنهم لا يمكن أن يرجعوا عن نفاقهم، ولن يذهبوا لرسول الله ﷺ، ولم يجعلوا ذلك وارداً في حساباتهم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو البصري (وأكُوْنَ) بإثبات واو بعد النون وبنصب النون.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَأَكُن﴾ بحذف الواو وبسكون النون مجزومة(1168).

المعنى اللغوي للقراءتين:

أكن من كان، وتأتي للدلالة على ما مضى من الزمان، كذلك تأتي

(١١٦٦) انظر: الكشف ج٢ ص٣٢٢.

(١١٦٧) حجة القراءات ص٧١٠.

(١١٦٨) الكشف ج٢ ص٣٢٢، والنشر ج٢ ص٢٩٥، وغيث النفع ص٥٣٠.

للدلالة على حدوث الشيء ووقوعه. وقد ورد بيانها عند تفسير سورة الحديد[١١٦٩].

التفسير:

بعد أن حذر الله ﷻ عباده المؤمنين من الانغماس في شهوات الدنيا، والإلتهاء بالأموال والأولاد عن ذكر الله تعالى، أمرهم سبحانه بالإنفاق من أموالهم والتصدق بها قبل أن يأتيهم الموت فيندمون، وفي ذلك إشارة إلى بيان سبب الندم، وهو إدراكهم بأنهم سيتركون هذه الأموال، وسيذهبون من غيرها، وحينها سيتبيّن لهم كم كانوا مخطئين، ويودّون لو أنهم يمهلون إلى أجل ومدة قريبة حتى يتصدقوا ويزكُّوا أموالهم، ويتحصّلوا على الأجر والثواب ويَسْلَموا من العقاب؛ وإن أمر الله تعالى للمؤمنين بالإنفاق هو ترويضٌ لهذه النفس وكسرٌ لشهوتها؛ لإنقاذها من تقديس هذه الأموال والانشغال بها.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت: يا رب هلاَّ أخَّرتني فتُمْهِل لي في الأجل إلى أجل قريب ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ يقول: فأزكي مالي ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يقول: وأعمل بطاعتك، وأؤدي فرائضك»[١١٧٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإثبات الواو (وأكون) على أنها معطوفة على لفظ قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾. ومن قرأ: (وأكن) فهي معطوفة على موضع: (أصدق) ولو لم يكن فيه الفاء؛ لأن المعنى إن أخرتني أصدق وأكن[١١٧١]. وقد قال

(١١٦٩) انظر: ص٣٨٤.

(١١٧٠) جامع البيان ج١٠ ص٨٠٥٢.

(١١٧١) انظر: معاني القراءات ج٣ ص٧٢.

بذلك الطبري[(١١٧٢)]، وأورد مثله ابن الجوزي وغيرهم[(١١٧٣)].

وقال مكي: «وحجة من نصب أنه عطفه على لفظ (فأصَّدق)؛ لأن (فأصدق) منصوب بإضمار (أن)، لأنه جواب التمني. فهو محمول على المصدر (أخرتني).

وحجة من جزم أنه عطفه على موضع (فأصدق)؛ لأن موضعه قبل دخول الفاء فيه جزم؛ لأنه جواب التمني، وجواب التمني إذا كان بغير فاء ولا واو مجزوم؛ لأنه غير واجب. ففيه مضارعة للشرط وجوابه؛ فلذلك كان مجزوماً، كما يجزم جواب الشرط؛ لأنه غير واجب إذ يجوز أن يقع، ويجوز أن لا يقع»[(١١٧٤)].

وهناك من اعتبر أن القراءة بزيادة الواو (وأكون) عطفاً على (فأصدق)؛ والقراءة بحذف الواو (وأكن) لالتقاء الساكنين[(١١٧٥)].

وعليه فيكون الفرق في الإعراب فقط، إلا أن ذلك لا يمنع من إيجاد فرق في المعنى؛ لأن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وزيادة الواو والمد يدل على طلب الزيادة في الفعل فهم يطلبون أن يتم تأخيرهم ليكونوا صالحين تمام الصلاح، وهذا يستلزم وقتاً أطول؛ ليفعلوا الخير أكثر، وبالتالي يتحصَّلوا على الثواب الأكبر والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتبيّن كيف يتمنون لو أن الله تعالى يؤخرهم إلى وقت آخر، ويمد لهم في الأجل حتى يفعلوا الخير، ويصبحوا صالحين تمام الصلاح وأكمله.

(١١٧٢) انظر: جامع البيان ج١٠ ص٨٠٥٤.

(١١٧٣) انظر: زاد المسير ص١٤٤٠.

(١١٧٤) الكشف ج٢ ص٣٢٢ ـ ٣٢٣ (بتصرف).

(١١٧٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٤١، والمستنير ج٣ ص١٨٤.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة (بما يَعْمَلون) بالغيب.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بتاء الخطاب[١١٧٦].

المعنى اللغوي للقراءتين:

العمل هو حركة البدن بكله أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس، فهو إحداث أمر، قولاً كان أو فعلاً بالجارحة أو القلب. وقد ورد بيانه عند تفسير سورة الفتح[١١٧٧].

التفسير:

وفي ختام هذه السورة الكريمة يرد الله ﷻ على كل التخمينات والتخييلات، ويبيّن بأسلوب واضح وقاطع لا مجال فيه للبس أو الشك بأنه ﷻ لن يؤخر نفساً عن الموت إذا جاء وقت موتها، ولن ينفع حينئذ ندم النادمين، فمن أراد الخير فليفعل قبل حدوث ذلك؛ وإلا فالندم لا ينفع ولا يؤخر أجلاً أبداً. وقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ أي لن يمهلها ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾؛ آخر عمرها المكتوب في اللوح. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فسارعوا إلى الخيرات، واستعدوا لما هو آت[١١٧٨].

(١١٧٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص٤٠٥.

(١١٧٧) انظر: ص٣٦.

(١١٧٨) انظر: البحر المديد ج٨ ص٥٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء (يعملون) بلفظ الغيبة حمله على ما قبله من معنى.

أما القراءة بالتاء (تعملون) فهي على المخاطبة(1179).

قال مكي: «بالياء حمله على لفظ الغيبة التي قبله في قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ والنفس بمعنى الجماعة، فلذلك قال: (بما يعملون). وبالتاء جعلوه خطاباً شائعاً لكل الخلق»(1180).

ويجوز أن تكون القراءة بالياء على أن المقصود فقط المنافقون والكفار. والقراءة بالتاء على إرادة جميع الناس بلا استثناء.

قال ابن عطية: «بالتاء على المخاطبة لجميع الناس. وقال: وبالياء على تخصيص الكفار»(1181).

وقال البقاعي: «(بما تعملون) أي توقعون عمله في الماضي والحال والمآل كله ظاهره وباطنه من هذا الذي أخبرتكم أن المحتضر العاصي يقوله ومن غيره منه ومن غيره أيها الناس»(1182).

أو أن القراءة بالياء جاءت على معنى الإخبار عن من مات، بينما القراءة بالتاء على المخاطبة للحاضرين كذلك(1183).

وخلاصة ما ذُكر تكون القراءة بالياء على الغيبة حملاً على ما قبلها، أو بمعنى إرادة الكفار والمنافقين دون غيرهم، أو على الإخبار.

أما القراءة بالتاء فهي على الخطاب وإرادة جميع الناس والله تعالى أعلم.

(1179) معاني القراءات ج٣ ص٧٢.

(1180) الكشف ج٢ ص٣٢٣ (بتصرف).

(1181) المحرر الوجيز ج٥ ص٣١٦ ـ دار الكتب العلمية لبنان ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(1182) نظم الدرر ج٧ ص٦١٤.

(1183) انظر: اللباب ج١٩ ص١٢١.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر كيف أن الله تعالى يعلم ما يفعله العباد كل العباد، ويوجه الخطاب للمنافقين والكافرين على وجه الخصوص، تهديداً لهم، وذلك ظاهرٌ في القراءة بالياء على لفظ الغيبة والله تعالى أعلم.

وبهذه الكلمات الطيبة تمَّت هذه السورة وبتمامها تمَّت هذه الرسالة

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

الخـاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي أعانني على إتمام هذا البحث كما رزقني البداية فيه، إنها أيامٌ طيبةٌ مباركة جليلة، وأوقاتٌ ممتعة، وليالي سعيدة، وساعات ثمينة، ودقائق غالية نفيسة، تلك التي قضيتها في إعداد هذا البحث والسهر عليه، حتى صار جزءاً مني، يسكن معي حيث سكنت، ويرحل معي حيث رحلت، فلم تكن أدواته في لحظة من اللحظات جامدة، فهو حياة، بل قل هو روح تسري في النفس، وتشع في القلب، وتحيا في الوجدان، وكيف لا يكون ذلك وأكثر، وهو يعيش مع آيات الله تعالى الكريمات الخالدات، إنه لشرف ما بعده شرف، ونعمة من الله تعالى ليس لها عدّ ولا حدّ، فلك الحمد يا ربنا حمد المعترف بجميلك، والشاكر لفضلك وعظيم منتك، وأسألك يا مولاي أن تسخرني في خدمة دينك، ورفع لواء قرآنك، وأن تجود عليَّ من فيض علمك، وسعة رحمتك، فإنك على كل شيء قدير، وأصلي وأسلم علي النبي الأمي الأمين صاحب الأخلاق العظيمة، والمواقف الحكيمة، إمام اللغة والبيان والفصاحة والبلاغة في اللسان، أمره رشيد، وقوله سديد، لا ينطق عن الهوى، فوعى في قلبه وعقله عن جبريل عليه السلام ما وعى، أحب أمته فحزن من خوفه عليهم ولم يزل، حتى وعده ربه في أمته بالرضى، وذاك يوم الملتقى، فاز من صلى عليه وسلَّما. وبعد:

فإنني أمام هذا الموقف وفي هذا الوقت الذي أخط فيه كلمات الختام من آخر ليلة الجمعة وحتى بعد فجر يوم السبت، لا يسعني إلا أن أقول: أنَّ هذا البحث وما به من تفسير للسور الكريمة من أول سورة (الفتح) وحتى

آخر سورة (المنافقون)، وما فيه من فصول ومباحث وحجج وبراهين وآراء وتحليلات وأقوال للعلماء، ولطائف وإشارات وحكم ظاهرات ومعانٍ واضحات في بيان الفرق بين القراءات، كل ذلك وما جاء به من صواب فهو من الله تعالى وتفضلاً منه سبحانه، وما كان به من تقصير أو زللٍ أو خطأ فهو من عند نفسي، وإني لأستغفر الله تعالى عن ذلك وأتوب إليه، وأرجو منه ﷻ أن يعفو عن الزلل والخطأ، وأن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وإذا كان لا بد لي من كلمة في نهاية هذا البحث فإنه لمن دواعي سروري أن أقدم لإخواني بعضاً من النتائج التي خلصت إليها، وشيئاً من التوصيات التي أتمنى أن يتم تحقيقها.

أولاً: النتائج:

١ ـ إن هذا القرآن هو كلام الله تعالى الذي أعجز به خلقه، وتحداهم بآياته، وقهرهم بقوة بيانه، وعمق معانيه، وتعدد نواحيها مع تعدد الحرف التي نزل بها، وفيه من العلوم والمعارف ما لا نعرف له حداً ولا نهاية، وفيه من الأسرار والحكم الشيء الكثير الكثير، مما يفيدنا في حياتنا وآخرتنا، وهذا ما عشته من خلال هذا البحث.

٢ ـ إن القراءات القرآنية العشر هي قراءات ثابتة متواترة، وإذا كان الأمر كذلك، فإنه لا يجوز لأحدٍ أن يفاضل بينهما فيحسِّن واحدة على حساب الأخرى، أو أن ينكر بعضها أو يردها، كما حدث من بعض المفسرين.

٣ ـ إن القراءات القرآنية العشر التي تواترت عن النبي ﷺ هي أصل للغة والنحو، ولم يكن النحو ولا اللغة في يوم من الأيام أصلاً لها، ولا يجوز ذلك أبداً، وأي تشكيك أو إنكار لأيّة قراءة ثابتة، بحجة أنها تخالف أصول اللغة وقواعد النحو، فهو تشكيك واعتراض باطل ومردود على صاحبه.

٤ ـ إن العمل في البحث والتفسير للوصول إلى معنى واضح، وفرق

ظاهر بين القراءات أمر جيد ومهم، ولكن لا يجوز لنا أن نذهب بعيداً في ذلك بدون دليل شرعي واضح، أو رأي سديد، أو منطق سليم.

٥ ـ الكثير من القراءات القرآنية اعتبرها العلماء من اللغات العربية، إلا أنها كانت فاتحة خير أمام الوصول إلى معانٍ فريدة وعجيبة تفيد في الأحكام والعبادات.

٦ ـ لقد بات واضحاً أن هذه القراءات القرآنية هي درب من دروب الإعجاز في التفسير والبيان والبلاغة، فهي ورغم كثرتها وتنوعها واختلافها إلا أن هذا الإختلاف الحاصل فيها ليس إختلاف تضاد، بل هو اختلاف تنوع، وكل قراءة من هذه القراءات هي بمثابة آية على إيجازها وتسدُّ مسدها.

٧ ـ القراءات القرآنية السبع أو العشر ليست هي الأحرف السبعة بل هي جزء من هذه الأحرف فقط.

٨ ـ إن للقراءات القرآنية الأثر الواضح في التفسير والفقه والتيسير على الأمة.

ثانياً: أهم التوصيات:

١ ـ أدعو العلماء والمتخصصين إلى لفت انتباه طلاب العلم الشرعي إلى أهمية هذه القراءات كمصدر مهم من مصادر التفسير والفقه والأحكام.

٢ ـ أدعو العلماء المتخصصين في أحكام التجويد أن يتعاملوا مع علم القراءات القرآنية مثل تعاملهم مع أحكام التجويد، فيقوموا بإنشاء حلقات خاصة في تعلم القراءات في المساجد والمؤسسات الشرعية، لضمان نشر هذا العلم.

٣ ـ أدعو الجامعات والمعاهد للتخطيط للبدء بانشاء نواة صلبة متخصصة تأخذ على عاتقها انشاء أقسام خاصة بالقراءات القرآنية.

٤ ـ أدعوا الحكومة ووزارة الأوقاف في هذا البلد الحبيب وكل البلاد

الإسلامية إلى طباعة مصاحف قرآنية بالقراءات العشر المتواترة وتوزيعها بين يدي الناس وطلاب العلم؛ لضمان نشر هذا العلم وذياع صيته.

٥ ـ أتمنى على الجامعة الإسلامية بالقيام بإرسال إخوة متخصصين إلى البلاد الإسلامية العريقة ليلتقوا بجهابذة العلماء، ويأخذوا عنهم الأسانيد بالقراءات القرآنية العشر حتى يعودوا لبلدهم ولأبنائهم، ويساهموا في سرعة نشر هذا العلم القرآني الطيب.

٦ ـ العناية بالقراءات القرآنية الشاذة للوقوف على حقيقتها، ومعرفة سبب ضعفها، وبيان مدى انسجامها مع القراءات القرآنية المتواترة معنىً وحكماً.

٧ ـ كذلك فإنني أوصي بضرورة طباعة تفسير القرآن الكريم بالقرآءات القرآنية العشر، وذلك عبر جمع كل الرسائل التي تناولت هذا الموضوع من أول سورة الفاتحة وحتى آخر سورة الناس، علماً بأن هذا العمل قد تم وأنجز بتمام هذه الرسالة.

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يُقَدِّر لنا الخير حيثُ كان، وأن يفتحَ لنا من أبواب فضله وعلمه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.





الفهرس

□ □ □ □ □ □



فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر / أحمد البنا - تحقيق: د. شعبان إسماعيل - عالم الكتب - بيروت.

٢ - إتقان البرهان في علوم القرآن / د. فضل حسن عباس - دار الفرقان - ط١ - ١٩٩٧م.

٣ - الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي - تحقيق: أحمد علي - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤ - أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي دراسة تطبيقية في سورة البقرة / د. محمد عيسى - دار السلام - ط١ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٥ - أحكام القرآن / أبو بكر أحمد الجصاص - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / أبو السعود محمد العمادي الحنفي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧ - إرشاد المريد إلى مقصود القصيد في القراءات العشر / علي الضباع - دار الصحابة للتراث بطنطا - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٨ - أساس البلاغة / جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق: عبد الرحيم محمود - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٩ - الأساس في التفسير / سعيد حوى - دار السلام - ط٦ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠ - أسباب النزول / للسيوطي - تحقيق: حامد الطاهر - دار الفجر للتراث - القاهرة - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١١ - الأشباه والنظائر في النحو / جلال الدين السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

١٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الشنقيطي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٣ - إعجاز القرآن الكريم / د. فضل حسن عباس، سناء فضل عباس - عمان - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٤ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى الرافعي - تحقيق: عبد الله المنشاوي - مكتبة الإيمان - المنصورة - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٥ - إعراب القراءات السبع وعللها / أبو عبد الله أحمد بن خالويه - تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين - مكتبة الخانجي - بالقاهرة - ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٦ - الإقناع في القراءات السبع / أبو جعفر أحمد الأنصاري - تحقيق: أحمد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٧ - إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب في القرآن / عبد الله العبكري - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٨ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المشهور بتفسير البيضاوي / ناصر الدين الشيرازي البيضاوي - تحقيق: عبد القادر حسونة - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٩ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير / أبو بكر جابر الجزائري - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ط٣ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٠ - بحر العلوم / أبو الليث السمرقندي - تحقيق علي معوض وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٢١ - البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي - تحقيق: مجموعة من العلماء - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٢ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد / أبو العباس أحمد بن محمد المهدي ابن عجيبة الحسني - تحقيق عمر أحمد الراوي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٣ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة / عبد الفتاح القاضي - مكتبة أنس بن مالك - مكة المكرمة - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٤ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / د. فاضل صالح السامرائي ـ شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٥ ـ تاج العروس من جواهر القاموس / محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان.

٢٦ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين أحمد محمد بن عماد المعروف بابن الهيثم ـ تحقيق د. ضاحي محمد ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط١ ـ ٢٠٠٣م.

٢٧ ـ تثقيف اللسان وتنقيح الجنان / أبو حفص عمر الصقلي النحوي اللغوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٨ ـ التجريد لبغية المريد في القراءات السبع / أبو القاسم عبد الرحمن الصقلي المقري ـ تحقيق عبد الرحمن بدر ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ط١ ـ ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشر / محمد بن محمد الدمشقي المشهور بابن الجزري ـ تحقيق: جمال شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ بطنطا.

٣٠ ـ التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور ـ دار سحنون ـ تونس.

٣١ ـ التذكرة في القراءات / أبو الحسن طاهر بن غلبون ـ تحقيق: د. عبد الفتاح إبراهيم ـ الزهراء للإعلام العربي ـ ط٢ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٢ ـ التسهيل لعلوم التنزيل / محمد أحمد بن جزي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٣٣ ـ تفسير ابن عربي / أبو بكر محيي الدين الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٤ ـ تفسير إطفيش / إطفيش ـ إباضي ـ المكتبة الشاملة ـ الإصدار الثاني.

٣٥ ـ تفسير الجلالين مذيلاً بلباب النقول / جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي ـ مكتبة الصفا ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٦ ـ تفسير الحسن البصري/ جمع د. محمد عبد الرحيم ـ دار الحديث ـ القاهرة.

٣٧ ـ تفسير الصافي / الفيض الكاشاني ـ مكتبة الصدر ـ إيران ـ ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥١م.

٣٨ ـ تفسير العز بن عبد السلام / عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي ـ تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٩ ـ تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٠ - التفسير الكبير/ الفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٢ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤١ - تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي - دار الفكر.

٤٢ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / وهبة الزحيلي - دار الفكر - دمشق - ط١ - ١٩٩١م.

٤٣ - التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق / د. صلاح الخالدي - دار النفائس - عمان - ط١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٤ - التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم / د. وهبة الزحيلي - دار الفكر - دمشق - سورية - ط٥ - ١٤٢٧هـ.

٤٥ - التفسير الوسيط / محمد السيد طنطاوي - مطبعة السعادة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٦ - تفسير آيات الأحكام / القصبي محمود زلط - المجد للثقافة والعلوم - ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٤٧ - تفسير غريب القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤٨ - تفسير مجاهد / مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي - تحقيق وتقديم: عبد الرحمن السورتي - باكستان - المنشورات العلمية - بيروت - .

٤٩ - تفسير مقاتل/ أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي - تحقيق: أحمد فريد - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٠ - تقريب النشر في القراءات العشر / محمد بن محمد المشقي المشهور بابن الجزري - دار الحديث - القاهرة - تحقيق إبراهيم عوض - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥١ - التمهيد في علم التجويد / شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري - تحقيق: غانم حمد - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٢ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس / أبو الطاهر الفيروز آبادي - مكتبة الثقافة الدينية - ط١ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن السعدي - تحقيق: محمد النجار - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - ١٤٠٤هـ.

٥٤ - التيسير في القراءات السبع / أبو عمرو الداني - دار الكتب العلمية - بيروت - صححه: أوتويرتزل - ط١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥٥ - التيسير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير/ د. محمد محيسن - دار الجيل - بيروت - ط١ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٥٦ - التيسير في علم التجويد برواية حفص عن عاصم / د. عبد الرحمن الجمل - ط٣ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٧ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق أحمد البكري وآخرين - دار السلام - ط ٣ - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٥٨ - الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي، كنيته أبو عيسى - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٥٩ - الجامع لأحكام القرآن المسمى بتفسير القرطبي / أبو عبد الله محمد القرطبي - تحقيق د. وجدي باسلوم - دار البيان العربي - ط١ - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٦٠ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن الثعالبي - تحقيق: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسيني - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦١ - حجة القراءات / أبو زرعة بن زنجلة - تحقيق: سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٥ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٢ - الحجة في القراءات السبع / ابن خالويه - تحقيق: د. عبد العال مكرم - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٦ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٦٣ - الحجة في القراءات السبعة / أبو علي الفارسي - تحقيق بدر قهوجي، بشير جويجاتي - دار المأمون - للتراث - ط٢ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٦٤ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي - تحححقيق: د. أحمد محمد الخراط - دار القلم - دمشق - ط١ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٥ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / شهاب الدين أبو العباس المعروف بالسمين الحلبي - تحقيق: علي معوض وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٦ - الدر المنثور في التفسير المأثور / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٦٧ - رسالة في تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر من أول سورة الزمر وحتى آخر سورة محمد / الباحث عماد شعبان الشريف - إشراف د. رياض محمود قاسم - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦٨ - رسالة ماجستير في تفسير القرآن بالقراءات من خلال سورة الأنفال والتوبة ويونس / للباحثة أحلام أبو شعبان - إشراف: د زهدي أبو نعمة - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦٩ - روائع البيان لمعاني القرآن / أيمن عبد العزيز جبر - دار الأرقم - عمان - ط٢ - ١٩٩٧م.

٧٠ - روح البيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير حقي / إسماعيل حقي البروسوي - ضبط وتصحيح عبد اللطيف عبد الرحمن - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / شهاب الدين الألوسي البغدادي - ضبطه علي عطية - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧٢ - زاد المسير في علم التفسير/ أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي القرشي البغدادي - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٧٣ - زبدة التفاسير / محمد متولي الشعراوي - المكتبة التوفيقية القاهرة - مصر.

٧٤ - سنن أبو داود / الإمام سليمان بن أشعث السجستاني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد المجيد - دار الفكر.

٧٥ - سير أعلام النبلاء / أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي - تحقيق: بشار عواد - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٧ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٧٦ - سير أعلام النبلاء / أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي - تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد العرقسوس - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٩ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٧٧ - الشامل في القراءات المتواترة / د. محمد حبش - دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت.

٧٨ - شذرات العرف في فن الصرف / أحمد الحملاوي - مكتبة المعارف - ط١ - ١٤٢٢هـ - ص١٤٨.

٧٩ - الصحاح في اللغة والعلوم / نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي - دار الحضارة العربية - بيروت - ط١ - ١٩٧٥م.

٨٠ - صحيح البخاري / الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزيه، كنيته أبو عبد الله البخاري الحنفي - تحقيق: عبد الرؤوف سعد - ١٤٢٣هـ.

٨١ ـ صحيح مسلم / الإمام مسلم بن الحجاج، كنيته أبو الحسن النيسابوري ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨٢ ـ صفوة التفاسير / محمد الصابوني ـ دار الصابوني ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٣ ـ طبقات المفسرين / الحافظ شمس الدين محمد الداوودي ـ تحقيق: علي عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٨٤ ـ طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية / عمر النسفي ـ دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٨٥ ـ غاية النهاية في طبقات القراء / شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٨٦ ـ غيث النفع في القراءات السبع / علي النوري الصفاقسي ـ تحقيق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ بطنطا ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٨٧ ـ فتح الرحمن في تفسير القرآن / عبد المنعم تعيلب ـ دار السلام مصر ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٨٨ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد الشوكاني ـ تحقيق: سيد إبراهيم ـ دار الحديث القاهرة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.

٨٩ ـ في ظلال القرآن / سيد قطب ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ط٢٥ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٩٠ ـ القاموس المحيط في اللغة / الفيروز آبادي ـ ضبط وتوثيق: يوسف البقاعي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩١ ـ كتاب الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي، كنيته أبو عيسى ـ تحقيق: أحمد محمد عطا ـ مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٩٢ ـ كتاب السنن الكبرى / الإمام النسائي ـ ج٩ ص٩٣.

٩٣ ـ كتاب فتح الباري / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٩٤ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

٩٥ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق: د. محيي الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٩٦ - كلمات القرآن / تاج الدين اليماني، عبد الرحمن السعدي - جمع: محمود ابن الجميل - مكتبة الصفا - ط٢ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٩٧ - لباب التأويل في معاني التنزيل المسمى تفسير الخازن / علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ط٢ - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٩٨ - اللباب في علوم الكتاب / أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي - تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٩٩ - لسان العرب / أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور المصري - دار صادر - بيروت - ط١ - ١٣٠٠هـ.

١٠٠ - مباحث في علوم القرآن / مناع القطان - مكتبة المعارف - الرياض - ط٣ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠١ - المبسوط في القراءات العشر/ أبو بكر أحمد الأصبهاني - تحقيق: جمال الدين شرف - دار الصحابة للتراث بطنطا.

١٠٢ - محاسن التأويل المشهور بتفسير القاسمي / محمد القاسمي - دار إحياء الكتب العربية - تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٠٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي - تحقيق عبد السلام محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٠٤ - مختار الصحاح / محمد الرازي - دار الحديث - القاهرة - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٥ - مدارك التنزيل / عبد الله النسفي - دار إحياء الكتب العربية.

١٠٦ - المستنير في القراءات العشر / أبو طاهر بن سوار - دار الصحابة للتراث بطنطا - ٢٠٠٢م.

١٠٧ - مسند أحمد / الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - مؤسسة قرطبة.

١٠٨ - المصباح المنير / أحمد الفيومي المقري - دار الحديث - القاهرة - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٩ - مصحف الصحابة في شرح كلمات القرآن الكريم / عبد الله علوان - دار الصحابة للتراث بطنطا - ط١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

١١٠ - معالم التنزيل في التفسير والتأويل المشهور بتفسير البغوي/ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١١١ - معاني الأبنية في العربية / د. فاضل السامرائي - جامعة الكويت - ط١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١١٢ - معاني القراءات / أبو منصور الأزهري - تحقيق: د. عيد درويش، عوض القوزي - مطابع دار المعارف - مصر - ١٩٩٣م.

١١٣ - معاني القرآن / أبي محمد زكريا بن يحيى بن زياد الفراء - تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي - دار السرور.

١١٤ - معاني النحو / د. فاضل صالح السامرائي - شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط٢ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١١٥ - معترك الأقران في إعجاز القرآن / جلال الدين السيوطي - ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١١٦ - معجم الأدباء / كامل سلمان الجبوري - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١١٧ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان للتراث - دار الحديث مصر - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١١٨ - معجم المقاييس في اللغة / ابن فارس - تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو - دار الفكر - ط٢ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١١٩ - المعجم الوسيط / إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار - المكتبة الإسلامية استانبول - تركيا - ط١ - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

١٢٠ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار / أبو عبد الله محمد الذهبي - تحقيق أبو عبد الله الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٢١ - المغني في علم التجويد / د. عبد الرحمن الجمل - ط٨ - ٢٠٠٦م.

١٢٢ - مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني / أبو العلاء الكرماني - تحقيق: د. عبد الكريم مدلج - دار ابن حزم.

١٢٣ - من بلاغة القرآن المعاني، البيان، البديع / د. محمد علوان، د. نعمان علوان - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٢٤ - المنتخب في تفسير القرآن الكريم - وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر - ط١٨ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٢٥ - المنجد في اللغة والأعلام / دار المشرق - بيروت - ط٣٣ - ١٩٩٢م.

١٢٦ - نتاج الفكر في النحو / أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي - تحقيق: عادل الموجود، علي معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٢٧ - النشر في القراءات العشر / محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - دار الصحابة للتراث - طنطا - ط١ - ٢٠٠٢م.

١٢٨ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٢٩ - النكت والعيون / أبو الحسن علي الماوردي البصري - دار الكتب العلمية - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ط١ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٣٠ - نهاية القول المفيد في علم التجويد / مكي الجريسي - مكتبة الصفا - القاهرة - ط١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣١ - الوافي في شرح الشاطبية / عبد الفتاح القاضي - دار السلام - ط٦ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٣٢ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد المشهور بتفسير النيسابوري / أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - تحقيق: مجموعة من العلماء - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.



فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة







